المرأة والأسرة

سلسلة المعارف التعليمية

أدوار المرأة وواجباتها

دار المعارف الإسلامية الثقافية

سلسلة المعارف التعليمية

أدوار المرأة وواجباتها

الـــكـــتـــاب: أدوار المرأة وواجباتها

إعـــــــــداد: مركز المعارف للتأليف والتحقيق

إصـــــــدار: **دار المعارف الإسلامية الثقافية**

تصميم وطباعة: DB UK 00961 3 336218

الطبعة الأولى: 2018م

ISBN 978-614-467-093-4

books@almaaref.org.lb
00961 01 467 547
00961 76 960 347

سلسلة المعارف التعليمية

أدوار المرأة وواجباتها

دار المعارف الإسلامية الثقافية

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

المقدّمة 9

الدرس الأوّل: الرؤية الإسلاميّة للمرأة 11

تمهيد 13

الهويّة الإنسانيّة للمرأة 13

واقع المرأة عبر التاريخ 14

المرأة في ظلِّ الإسلام 15

المرأة وأدوارها المتنوّعة 18

الدرس الثاني: المرأة والأسرة 21

الأسرة وأهمّيّتها 23

دور المرأة في الأسرة 24

دور الفتاة تجاه الوالدين 26

واجبات الفتاة تجاه إخوتها 29

الدرس الثّالث: دور الفتاة المسلمة 33

تمهيد 35

الفتاة والتربية العقليّة والعلميّة 36

الفتاة والتربية الأخلاقيّة والروحيّة 38

الفتاة والتربية البدنيّة 38

الفتاة والتربية الأسريّة 40

الفتاة والتربية الاجتماعيّة 40

الدرس الرابع: المرأة والحياة الزوجيّة 45

جهادكِ حسن التبعّل 47

مقوِّمات الحياة الزوجيَّة 48
دور المرأة تجاه الزوج 53
لمن القواميَّة في الحياة الزوجيَّة؟ 55
الدرس الخامس: المرأة وتربية الأبناء (1) 59
مقام الأمّ 61
الوظيفة التربويّة للأمّ 62
ما هي التربية؟ 63
أهداف التربية 64
متى تبدأ التربية في الرؤية الإسلاميّة؟ 65
طرائق التربية 66
الدرس السادس: المرأة وتربية الأبناء(2) 69
التقنيّات التربويّة 71
بين تربية البنات وتربية البنين 72
الدرس السابع: المرأة والعلم(1) 79
قيمة تعلّم المرأة في الإسلام 81
دوافع تعلّم المرأة 82
الأدلّة والشواهد على منح الإسلام المرأة حقّ التعلّم 84
الدرس الثامن: المرأة والعلم (2) 89
1. العلوم التي تحتاجها المرأة 91
2. العلوم التي يحتاجها المجتمع 93
المحاذير التي على المرأة الالتفات إليها في عمليّة التعلّم 94
آثار تعليم المرأة 95
الدرس التاسع: المرأة والعمل 99
تمهيد 101
عمل المرأة حقٌّ تشريعيّ 102
لماذا تعمل المرأة؟ 103

التزاحم بين العمل وإدارة الأسرة 105
ضوابط وأحكام عمل المرأة 106
الدرس العاشر: المرأة والجهاد 109
المرأة صانعة الإنسان 111
ميدان المرأة الأوّل 113
المرأة في ميادين الجهاد والثورة 114
دور المرأة في القتال 117
المرأة ودورها السياسيّ 811
الدرس الحادي عشر: المرأة والحياء 121
ما هو الحياء؟ 123
الحياء في الآيات والروايات 123
آثار الحياء عند المرأة 126
تجلّيات الحياء والعفّة ومظاهرهما عند السيّدة الزهراء عليها السلام والسيّدة زينب عليها السلام 129
الدرس الثاني عشر: الحجاب ومواكبة العصر 133
معنى الحجاب 135
غايات الحجاب 135
حدود الحجاب الشرعيّ 138
السفور المقنَّع 138
هل الإسلام يرفض «الموضة» و«الأزياء»؟ 140
العباءة السوداء مصداق للستر 141
الدرس الثالث عشر: المرأة وحُسن المظهر 145
تمهيد 147
النظافة أدب إسلاميّ 148
مصاديق النظافة 149
ما هي الزينة؟ 151
الزينة في الآيات والروايات 151

أقسام الزينة وحكمها 152
مواضع الزينة المحلَّلة 152
مواضع الزينة المحرَّمة 154
لباس الشهرة 155
مظاهر الزينة 155
لباس التقوى خير 157
الدرس الرابع عشر: الاختلاط (1) 161
تمهيد 163
ما هو الاختلاط؟ 163
الاختلاط في الآيات والروايات الشريفة 164
الأحكام الشرعيّة للاختلاط 167
الدرس الخامس عشر: الاختلاط (2) 171
تمهيد 173
مفاسد الاختلاط المحرّم 173
مظاهر الاختلاط المحرم 175
سبل المعالجة والوقاية 178
الدرس السادس عشر: المرأة القدوة 181
تمهيد 183
السيّدة فاطمة عليها السلام القدوة 184
فاطمة عليها السلام الابنة 185
بعض شؤون فاطمة عليها السلام الحياتيّة 185
فاطمة عليها السلام المجاهدة 186
السيّدة آمنة الصدر (بنت الهدى) 186

المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على سيّدنا محمّد ﷺ، وعلى آله الطيّبين الطاهرين، وبعد...

تتجلّى أهمّيّة المرأة في الرسالة الإنسانيّة التي تؤدّيها؛ وذلك من خلال الأدوار المتنوّعة التي تقوم بها في الميادين المختلفة؛ إذ إنَّ القيمة الحقيقيّة لكلّ موجود ترتكز على أهميّة الدور الملقى على عاتقه في مسيرة التكامل الإنسانيّ.

من هنا، تبرز ضرورة معرفة أدوار المرأة وواجباتها ورسالتها في الحياة، كونها عنصرًا فاعلاً ومؤثّرًا في المجتمع، بل في تأسيس الحضارة الإنسانيّة وبنائها. وهذا ما يتحقّق من خلال معرفة طبيعة المرأة وخصائصها الوجوديّة والمعنويّة والماديّة، والواقع الذي عاشته عبر التاريخ القديم، وصولًا إلى العصر الجاهليّ، طبعاً إلى جانب معرفة مكانة المرأة في ظلّ الرسالة الإسلاميّة، وتنوّع أدوارها بلحاظ طبيعتها التكوينيّة.

ويوضح الإمام الخمينيّ قدس سره الوظيفة المثلى للمرأة بقوله: «المرأة هي رمز تحقّق آمال البشريّة، المرأة هي المربّية للنساء والرجال العظام. فمن أحضان المرأة يتسامى الرجل، وحضن المرأة هو الموضع الذي يتربّى فيه النساء العظام والرجال[1]».

هذا الكتاب «أدوار المرأة وواجباتها»، يسلّط الضوء على جانب من وظيفة المرأة الرساليّة والاجتماعية. وقد عولجت موضوعاته وفق أولويّات ابتلائيّة، وبأسلوب سلس ومبسّط، بما ينسجم مع الشريحة المخاطبة، وأهداف هذا الكتاب.

والحمد لله رب العالمين

مركز المعارف للتأليف والتحقيق

(1) الإمام الخمينيّ، صحيفة الإمام (تراث الإمام الخمينيّ قدس سره)، مؤسّسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخمينيّ، طهران - إيران، 1430هـ - 2009م، ط1، ج7، ص 341.

الدرس الأوّل

الرؤية الإسلاميّة للمرأة

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يتعرّف إلى طبيعة المرأة وخصائصها الوجوديّة.

2 . يبيّن مكانة المرأة في العصور الغابرة والعصر الجاهليّ.

3 . يشرح موقعيّة المرأة في ظلّ الشريعة الإسلاميّة، ويبيّن أدوارها المتنوّعة.

تمهيد

تبرز أهمّيّة معرفة أدوار المرأة وتفاصيل رسالتها في الحياة، من كونها عنصرًا مؤثّرًا وفعّالًا في تأسيس بنيان المجتمع الذي يبتدئ بالأسرة. وهذا ما يتحقّق من خلال معرفة الأمور الآتية:

أوّلًا: طبيعة المرأة وخصائصها الوجوديّة والمعنويّة والمادّيّة.

ثانيًا: الواقع الذي عاشته عبر التاريخ القديم، وصولًا إلى العصر الجاهليّ.

ثالثًا: مكانة المرأة في ظلّ الرسالة المحمّديّة.

رابعًا: تنوّع أدوار المرأة بلحاظ طبيعتها التكوينيّة.

الهويّة الإنسانيّة للمرأة

ابتدع الله الإنسان وصوّره في أحسن تقويم، فكانت المرأة شريكة الرجل في نيل نعمة الوجود. نشأت معه من نفسٍ واحدة، وبحقيقة واحدة وجوهر إنسانيّ واحد، وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾[1].

فالمرأة في أصل خلقتها التكوينيّة، كائنٌ مركّبٌ من جسد وروح، متقوّمٌ ببعدين هما: البعد المادّيّ والبعد المعنويّ.

1. **البعد المادّيّ:** هو البعد الجسديّ الذي يعطي الهويّة الأنثويّة للمرأة، وتتميَّز به عن الرجل. وهذا البعد هو البعد الطبيعيّ التكوينيّ المادّيّ، والمحدّد منذ الولادة،

(1) سورة الأنعام، الآية 98.

فلا يخضع للاختيار، ولا تحدّده الظروف البيئيّة، أو العوامل التاريخيّة والاجتماعيّة والثقافيّة؛ أي لا يحتاج إليها لتمامه وكماله. فالمرأة تعلم أنّها أنثى بفطرتها، وتحدّد إلى أيِّ جنس من البشر تنتمي بالعقل والإدراك والشعور، وقبل أن يطرأ أيّ عنصر ينمّي عندها هذا البعد الوجوديّ الأنثويّ.

2. **البعد المعنويّ:** هو البعد الروحيّ والفكريّ والعقليّ، الذي يشترك فيه الرجل والمرأة على حدٍّ سواء، ويتميّزان به عن سائر الخلق. وهو البعد الذي يملك قابليّة حمل القيَم الأخلاقيّة والإنسانيّة، ويشكّل المعيار في درجة التكامل.

والمرأة تتّخذ هويّتها وشخصيّتها على أساس التلازم بين هذين البعدين، وانعكاس كلّ منهما على الآخر، إذ لا يمكن الفصل بين البعد المادّيّ بما هو أنثويّ، والبعد المعنويّ والروحيّ والفكريّ بمقتضى الفطرة والوجدان. وانطلاقًا من هذين البعدين تتحدّد وظائف المرأة، وترتسم معالم أدوارها في مسيرة التكامل الإنسانيّ.

واقع المرأة عبر التاريخ[1]

تعاقبت على مرّ الأزمنة وفي أصقاع الأرض المختلفة، حضاراتٌ وشعوبٌ كثيرة، كلٌّ منها اختصّ بمعتقداته وعاداته وأنظمته وأسلوب حياته.

وواقع المرأة في هذه المجتمعات الغابرة، يحمل كلّ معاني الاستعباد والاضطهاد الفكريّ والنفسيّ والجسديّ؛ فقد كانت تعيش - في الغالب - أزمةً في هويّتها الإنسانيّة.

حتّى إنّ النقاش استمرّ في بعض الأمم حول روح تلك المخلوقة، أهي إنسانيّة أم حيوانيّة؟ ففي بعض القبائل في أفريقيا وأستراليا وأميركا وبعض الجزر، كانت المرأة بمنزلة الحيوان، يُستفاد من شعرها ولحمها وعظمها ودمها وجلدها وحراستها، تحمل الأثقال، وتحرث الأرض، وتُستخدَم في الصيد. والمرأة في معتقداتهم كانت ملكاً للرجل، تُباع وتُقرَض للاستيلاد.

وفي الفلسفة اليونانيّة، اختلفوا في بشريّتها ونفسها الناطقة. وكانت البحوث الفلسفيّة عند الروم واليونان تدور حول جنس الأنثى، هل هو حيوانيّ، أم من جنس برزخيّ يتوسّط

(1) من العصور الغابرة وصولًا إلى الجاهليّة.

بين الحيوان والإنسان. وفي تاريخ الصين القديم، لم يكن للمرأة أي قيمة مطلقاً، فهي خُلقت لخدمة الرجل، تُباع وتُوأَد. وفي تاريخ الهند، نجد أنَّ للمرأة مفهوم الوباء، وأنَّ النار خيرٌ منها، تُقدَّم قربانًا للآلهة، ولا يحقّ لها الاستقلال عن الرجل، سواء أكان أبًا أم زوجًا أم ولدًا، وليس لها الحقّ بالحياة بعد وفاة زوجها، بل تُحرَق معه وهي حيّة.

وحين تتّجه الأنظار إليها في بعض المجتمعات، كالمجتمعات الفرعونيّة، يكون السبب وراء ذلك سلبيًّا وغيرَ أخلاقيّ، وهو إمّا اتّخاذها آلهة للجمال، وإمّا تسخيرها في المعابد لخدمة كهنتهم المتنوّعة. وفي كلتا الحالتين، يوجد إبراز للجانب المادّيّ للمرأة وامتهان لكرامتها.

وكذلك في المجتمع الجاهليّ، نجد أنّ المرأة عاشت في مجتمعٍ معظمه قبليّ، تُوأد فيه البنت على الغالب، أو تُذبح، أو تُغرَق خوفًا من العار. وكانت تعدّ مصدرًا للفقر، إذ لا تعوّض أهلها ما ينفقونه عليها، كالفتى عندما يكبر، وتؤجّر، ولا حقَّ لها بالتعلّم ولا بالإرث، ولا رأي لها في مسألة الزواج[1].

المرأة في ظلّ الإسلام

بزغ نور الإسلام، وبلَّغ رسول الله ﷺ شريعةً إلهيّة متكاملة، أزاحت ستار الظلم عن المـرأة، ورفعت مكانتها؛ لتجعلها أحد شطري البنية الإنسانيّة. قال تعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[2]. فالأنثى والذكر يشكّلان المجتمع الإنسانيّ من دون فرق بينهما، والمرأة صنو الرجل في الخلق والإنسانيّة. ورسول الله ﷺ يقرِّر هذه الحقيقة بقوله: «**إنَّ النساء شقائق الرجال**»[3]. وأخوّة النسب على هذا النحو تقتضي المساواة فيه، إذ لا يكون أحد الشقيقين أوفر حظًّا في النسبة إلى أبويْه من الآخر.

(1) انظر: لجنة التأليف في مركز المعارف للتأليف والتحقيق، مكانة المرأة وحقوقها في الإسلام، دار المعارف الإسلاميّة الثقافيّة، لبنان - بيروت، 2015م، ط1، الفصلان: الأوّل والثالث.

(2) سورة الحجرات، الآية 13.

(3) مغنية ، محمد جواد، التفسير الكاشف، دار العلم للملايين، لبنان - بيروت، لا.ت، ط2، ج2، ص233.

والأنثى في المنظور الإسلاميّ ذات خِلقة مستقلّة مماثلة لخلقة الذكر في استقلالها، على خلاف ما ورد في سفر التكوين في التوراة، من أنّ الأنثى خُلِقت من ضلع من أضلاع آدم. وهذا المبدأ في الخلقة جليٌّ في قوله سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[1]. فالنفس الواحدة هي آدم وزوجه حوّاء، وإليهما ينتهي نسل المجتمع الإنسانيّ، ومعنى قوله: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا﴾، أي خلق من جنسها، كالقول مثلًا: الخاتم من فضّة، أي من جنس الفضّة. فالزوجان متماثلان، ولولا التماثل لما استقامت الحياة الإنسانيّة.

ولقد شملت العناية الإلهيّة الإنسان لمّا جعلته أفضل الخلائق، وسخّرت له الشمس والقمر. ولا تختصّ هذه الكرامة بالذَكَر فحسب، بل هي عامّة تشمل الأنثى، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[2]. فالكرامة الإلهيّة في الآية مُنِحَت لجميع بني آدم، ولم تلحظ الذكورة أو الأنوثة. ولأجل هذه الكرامة العامّة، جُعِل الذكر والأنثى في كفّة واحدة في ميزان المسؤوليّة والتكليف الإلهيّ، كذلك في ميزان الثواب والعقاب الأخرويّ. فقد قال سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[3].

وفي مقابل هذه التكاليف والمسؤوليّة الملقاة على عاتق الأنثى، بنت الشريعة السمحة، منظومة حقوقيّة متكاملة للمرأة، على خلاف المجتمعات الغابرة، فمنحتها حقّ التعلّم، والعمل، والتملّك، والوراثة والتوريث، واختيار الزوج...، وغيرها من الحقوق الناظرة لإنسانيّة المرأة. وآيات الأحكام والروايات المتضافرة، كفيلة ببيان هذه الحقوق.

فقد اعترف الإسلام للمرأة بحقّ التملّك والاستقلال الاقتصاديّ منذ أربعة عشر قرنًا،

(1) سورة النساء، الآية 1.
(2) سورة الإسراء، الآية 70.
(3) سورة غافر، الآية 40.

وأعلن القرآن الكريم: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ﴾[1].

وأقرّت الشريعة الإسلاميّة حقّ الإرث للمرأة عندما أطلق القرآن قواعد الإرث في قوله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَالِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَالِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾[2].

وفي حقّ المرأة بالتعلّم، نجد أنّ الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، قد نادى بوجوب طلب العلم للرجل والمرأة على حدٍّ سواء: «**طلب العلم فريضة على كلّ مسلم**»[3]. وخطاب الرسول عامّ، فكلمة مسلم تشمل الرجل والمرأة. وفي رواية أخرى، يوصي أمير المؤمنين عليه السلام ابنه محمّد بن الحنفيّة بالمرأة، فيقول عليه السلام: «**إِنَّ الْمَرْأَةَ رَيْحَانَةٌ وَلَيْسَتْ بِقَهْرَمَانَةٍ، فَدَارِهَا عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَأَحْسِنِ الصُّحْبَةَ لَهَا؛ لِيَصْفُوَ عَيْشُكَ**»[4].

وخلاصة القول، إنَّ المرأة في كنف الشريعة الإسلاميّة أضحت معزّزةً مكرَّمة شامخة، فهي مكرّمة ببعدها الإنسانيّ، وهي مخاطبة بالتكاليف الإلهيّة كالرجل، ولديها حقوق، وعلى عاتقها أدوارٌ وواجباتٌ في الميادين المختلفة من الحياة الاجتماعيّة والسياسيّة والاقتصاديّة، وغيرها من الميادين في مسيرة التكامل البشريّ. وأضحت المرأة كما وصفها الإمام الخمينيّ قدس سره: «رمز تحقّق آمال البشريّة»[5].

---

(1) سورة النساء، الآية 32.

(2) سورة النساء، الآية 7.

(3) الكلينيّ، الشيخ محمّد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، تحقيق وتصحيح علي أكبر الغفاري، نشر دار الكتب الإسلاميّة، إيران - طهران، 1407هـ ط4، ج1، ص30، باب فرض العلم، ح1.

(4) الصدوق، الشيخ محمّد بن عليّ بن بابويه، من لا يحضره الفقيه، تحقيق وتصحيح علي أكبر غفاري، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقم، إيران - قم، 1413 هـ، ط 2، ج3، ص556، باب النوادر، ح4911.

(5) الإمام الخمينيّ، صحيفة الإمام (تراث الإمام الخمينيّ قدس سره)، طهران - إيران، مؤسّسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخمينيّ، 1430هـ - 2009م، ط1، ج7، ص341.

المرأة وأدوارها المتنوّعة

لحظ الدين الإسلاميّ في تشريعاته، التفاوت في الخلقة والبنية الجسديّة والنفسيّة للرجل والمرأة، فأوكل إليهما أدوارًا ووظائف تتلاءم والطبيعة التكوينيّة لكلٍّ منهما.

وفي هذا السياق، يقول الإمام السيّد عليّ الخامنئيّ دام ظله: «لقد جعل الله سبحانه خصائص جسمانيّة في كلّ من الجنسين، على نحو يكون لكلّ منهما دورٌ في استمرار الخلقة وفي تكامل الإنسان ورقيّه»[1].

والاختلاف في توزيع الأدوار ليس منقصة من شأن المرأة المتعالي والرفيع، إنّما هو عين الرحمة والإنصاف، واقتضاءٌ لازمٌ للتوازن في النظام الإلهيّ الأتمّ.

من هنا، نجد الشهيد «مطهّري» يقول: «هذه الفوارق لا علاقة لها بكون الرجل أو المرأة جنسًا أفضل والثاني جنسًا أدنى وأحقر وأنقص، فإنَّ لقانون الخلقة قصدًا آخر في ذلك. فالله سبحانه أوجد هذه الفوارق من أجل توثيق العلاقات العائليّة بين الرجل والمرأة، وتقوية أساس الوحدة بينهما. أوجد هذه الفوارق من أجل أن يوزّع المسؤوليّات بينهما، ويُحدّد الحقوق والواجبات لكلٍّ منهما على صعيد الأسرة وغيرها. وإنّ الهدف من الاختلاف بين الرجل والمرأة، يُشبه إلى حدّ بعيد الهدف من اختلاف أعضاء الجسد الواحد. فحين عيّن موقع كلٍّ من العين والأذن واليد والعمود الفقريّ... لم يكُن يُفضِّل عضوًا على عضو، أو يُحبّ عضوًا أكثر من الآخر»[2].

وتتنوّع أدوار المرأة في الميادين المختلفة، انطلاقًا من دورها المحوريّ الأوّل، وهو الدور التكامليّ. فنجدها من جهةٍ المرأة الفتاة والزوجة والأمّ الّتي تتقن دورها الأسريّ، ومن جهة أخرى نجدها المرأة المثقّفة، الواعية المتعلّمة، العاملة في مختلف الساحات الاجتماعيّة، والسياسيّة، والجهاديّة والاقتصادية، بما يتلاءم وطبيعتها الأنثويّة، وبما لا يتعارض مع الشريعة الإلهيّة.

وهذا ما سوف نبيّنه في الدروس اللاحقة بشكل تفصيليّ.

---

(1) خطاب الإمام الخامنئيّ دام ظله في لقاء المشاركات في المؤتمر العالميّ للمرأة والصحوة الإسلاميّة، بمناسبة المؤتمر العالميّ للمرأة والصحوة الإسلاميّة، في طهران، بحضور المشاركات في المؤتمر (من 84 دولة)، بتاريخ 2012/07/11م.

(2) مرتضى مطهّري، نظام حقوق المرأة في الإسلام، مؤسّسة الإعلام الإسلاميّ، لبنان - بيروت، 1985م، لا.ط، ص 145 - 146.

المفاهيم الرئيسة

1. إنَّ المرأة في أصل خلقتها التكوينيّة، كائنٌ مركّبٌ من جسد وروح، متقوّمٌ ببعدين هما: البعد المادّيّ والبعد المعنويّ.
2. البعد المادّيّ هو البعد الجسديّ الذي يعطي الهويّة الأنثويّة للمرأة، وتتميَّز به عن الرجل. والبعد المعنويّ هو البعد الروحيّ والفكريّ والعقليّ، الّذي يشترك فيه الرجل والمرأة على حدٍّ سواء، ويتميّزان به عن سائر الخلق.
3. إنَّ واقع المرأة في المجتمعات الغابرة يحمل كلّ معاني الاستعباد والاضطهاد الفكريّ والنفسيّ والجسديّ؛ حيثُ كانت المرأة تعيش - في الغالب - أزمةً في هويّتها الإنسانيّة.
4. بزغ نور الإسلام ، وقدّم رسول الله ﷺ شريعةً إلهيّةً متكاملة، أزاحت ستار الظلم عن المرأة، ورفعت مكانتها؛ لتجعلها أحد شطري البنية الإنسانيّة. والأنثى في المنظور الإسلاميّ ذات خِلقة مستقلّة مماثلة لخلقة الذكر في استقلالها.
5. بَنت الشريعة السمحة منظومةً حقوقيّة متكاملة للمرأة، على خلاف المجتمعات الغابرة، فمنحتها حقّ التعلّم، والعمل، والتملّك، والوراثة والتوريث، واختيار الزوج...، وغيرها من الحقوق الناظرة لإنسانيّة المرأة. وآيات الأحكام والروايات المتضافرة، كفيلة ببيان هذه الحقوق.
6. إنَّ المرأة في كنف الشريعة الإسلاميّة، أضحت معزّزةً مكرَّمة شامخة. فهي مكرّمة ببعدها الإنسانيّ، وهي مخاطبة بالتكاليف الإلهيّة كالرجل، ولديها حقوق، وعلى عاتقها أدوارٌ وواجبات في الميادين المختلفة من الحياة الاجتماعيّة والسياسيّة والاقتصاديّة، وغيرها من الميادين في مسيرة التكامل البشريّ.

الدرس الثاني

المرأة والأسرة

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يعرّف المعنى اللغويّ والاصطلاحيّ للأسرة، ويذكر أهميّتها في الإسلام.

2 . يحدّد دور المرأة في الأسرة.

3 . يبيّن دور الفتاة تجاه والديها وتجاه إخوتها.

الأسرة وأهمّيّتها

الأسرة لغةً، هي عشيرة الرجل ورهطه الأدنون، وهي جماعةٌ يربطها أمرٌ مشترك[1].

واصطلاحًا، الأسرة هي رابطة الزواج التي تصحبها ذُرّية[2]، والرابطة الاجتماعيّة التي تتكوّن من زوج وزوجة وأطفالهما، وتشمل الجدود والأحفاد وبعض الأقارب[3].

والأسرة - في الإسلام - هي مجموعة من أفراد تجمعهم صلات سببيّة (عقد الزواج)، وقرابة (أبوّة، بنوّة، أخوّة). يتبنّى هؤلاء الأفراد حسب صلتهم وعلاقة بعضهم ببعض، مهامَّ اجتماعيّة، وحقوقيّة، وتربويّة، وسلوكيّة واقتصاديّة[4].

ولا ريب في اعتبار الأسرة إحدى المؤسّسات المهمّة في المجمتع البشريّ، بل تُعدّ الخليّة الأولى واللبنة الأساسيّة في بنائه؛ إذ تؤدّي دورًا لا يمكن إنكاره في اتّزان الأفراد وصلاحهم، وفي ازدهار المجتمعات وتكاملها. ولذلك يُلاحظ أنّ جميع الفلاسفة والمنظِّرين في العلوم الإنسانيّة، منذ بداية التاريخ العلميّ المكتوب، كتبوا عن الأسرة.

وقدَّمت الديانات الإلهيّة تعاليم مُهمّة في هذا المجال، خصوصاً الدين الإسلاميّ، باعتباره آخر الأديان؛ فهو اعتبر أنّ الأسرة أحبّ مؤسّسة بشريّة عند الله وأعزّها. قال

---

(1) راجع: ابن منظور، العلّامة أبو الفضل جمال الدين محمّد بن مكرم بن منظور الأفريقيّ المصريّ، لسان العرب، نشر أدب الحوزة، قمّ - إيران، 1405هـ، لا.ط، ج4، ص20. والمعجم الوجيز، مجمع اللغة العربيّة، 16، دار الثقافة، قمّ 1411 هـ، مادّة أسر، ج4، ص20.

(2) محمّد عاطف غيث، علم الاجتماع، دار النهضة العربيّة للطباعة والنشر والتوزيع، لا.م، 1990م، ط1، ص92.

(3) علي عبد الواحد وافي، الأسرة والمجتمع، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، لا.م، 2016م، ط1، ص15.

(4) سالاري فر، الدكتور محمّد رضا، الأسرة من منظور الإسلام وعلم النفس، لا.ن، لا.م، لا.ت، 2014م، ط1، ص34.

رسول الله ﷺ: «**ما بُني في الإسلام أحبّ إلى الله من التزويج**»[1]. والتزويج كما هو معلوم، هو المقدّمة والشرط الأساس لبناء الأسرة.

وفي بيان أهمّيّة الأسرة ودورها، قال سماحة الإمام الخامنئيّ دام ظله: «إنَّ الأسرة هي الوحدة البنيويّة والحجر الأساس للمجتمع الإسلاميّ، ومركز رشد الإنسان وتعاليه، ودعامة السلامة والاقتدار والتسامي المعنويّ للبلاد والنظام»[2].

دور المرأة في الأسرة

لا ريب في أنَّ المرأة تؤدّي دورًا أسريًّا محوريًّا، يتمثّل بتأمين السكينة والاستقرار والمودّة والرحمة والدفء، وإيجاد البيئة الأسريّة السليمة والملائمة لصناعة الإنسان الصالح. ويتنوّع دورها انطلاقًا من كونها أمًّا، أو ابنة، أو أختًا.

1. **دور الزوجة:** الأصل في الزواج هو تحصيل الأنس والسكينة بين الزوجين، وتحت هذا العنوان يندرج الحبّ والصبر والتضحية والإيثار والتودّد، وغيرها من مستلزمات العيش في مكان مغلق. وتحته يندرج الجمال والأناقة والنظافة، وغيرها من ضرورات الجذب. يقول تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3].

لذا، يُعتبر دور الزوجة من أهمّ الأدوار الملقاة على عاتق المرأة، وهو يعادل الجهاد لدى الرجال صعوبة وقيمة. وفي هذا السياق يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**جهاد المرأة حسن التبعّل**»[4].

فصبر المرأة وثباتها أمام المشاكل، ودعمها لزوجها، والتكافل معه دينيًّا واجتماعيًّا

---

(1) الحرّ العامليّ، الشيخ محمّد بن الحسن، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام، إيران - قم، 1414هـ، ط2، ج14، ص3.

(2) الإمام الخامنئيّ دام ظله، تبليغ «السياسات العامّة للأسرة» لرؤساء السلطات الثلاث في الجمهوريّة الإسلاميّة، ورئيس مجمع تشخيص مصلحة النظام، بتاريخ 03/09/2016م.

(3) سورة الروم، الآية 21.

(4) الرضيّ، السيّد محمّد بن حسين، نهج البلاغة، خطب الإمام عليّ عليه السلام، تحقيق وتصحيح صبحي الصالح، دار الهجرة، إيران - قم، 1414هـ، ط1، ج4، ص 34.

واقتصاديًّا، يخلق جوًّا مناسبًا لإقامة علاقات أسريّة ناجحة، ويحقّق السكينة والأنس لكلا الزوجين[1]. ونِعمَ الواعظ في ذلك ما ورد في سيرة الزهراء سيّدة نساء العالمين: قالت: «**يا أبا الحسن، إنّي لأستحي من إلهي أن أكلّفكَ ما لا تقدرُ عليه**»[2]. فالسيّدة الزهراء عليها السلام كما قال الإمام الخامنئيّ دام ظله: «في حياتها العائليّة والزوجيّة، وفي إدارتها لشؤون البيت، وفي حياتها الأُسريّة، مثال تحتذي به الفتاة أو ربّة البيت، أو من تشرّفت توًّا وأصبحت ربّة بيت»[3].

2. **دور الأمّ:** إنَّ لكلٍّ من الأبوين دوره وموقعه ووظيفته في الأسرة، إلاّ أنّ للأمّ حصةَ الأسد في العمليّة التربويّة، وفي الإحاطة العاطفيّة لأسرتها، وفي تأمين بيئة أسريّة سليمة ومستقيمة، تتكفّل ببناء الأجيال الصالحة. وفي هذا السياق، يقول الإمام الخامنئي دام ظله:«على المرأة المسلمة أن تسعى في طريق الحكمة والعلم، وفي طريق بناء الذات، معنويًّا وأخلاقيًّا، وأن تكون في البيت سكينة للزوج والأولاد، وراحة للحياة الزوجيّة، وتُربّي في حضنها الحنون والرؤوف، وبكلماتها اللطيفة والحنونة، أولادًا مهذّبين بلا عُقد، وذوي روحيّة حسنة وسليمة، وتُربّي رجال المجتمع ونساءه وشخصيّاته. إنّ الأمّ أفضل من يبني، فقد يصنع أكبر العلماء آلة إلكترونيّة معقّدة جدًّا مثلًا، أو يصنعون أجهزة للصعود إلى الفضاء، أو صواريخ عابرة للقارّات، ولكن كل هذا، لا يُعادل أهمّيّة بناء إنسانٍ سامٍ، وهو عمل لا يتمكّن منه إلّا الأمّ»[4].

3. **دور الفتاة:** إنَّ دور الفتاة في الأسرة يتمحور حول مسألتين: واجبات الفتاة تجاه الوالدين، وواجباتها تجاه إخوتها، وأفراد أسرتها. وسوف نتناول الحديث عن هذا الدور بشكل تفصيليّ ضمن العناوين اللاحقة.

---

(1) انظر الدرس الرابع: دور المرأة في الحياة الزوجيّة.

(2) المجلسيّ، العلّامة محمّد باقر بن محمّد تقي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار، مؤسّسة الوفاء، لبنان - بيروت، 1403هـ - 1983م، ط2، ج 41، ص30، في نزول مائدة على فاطمة عليها السلام، ح1.

(3) خطاب الإمام الخامنئيّ دام ظله بمناسبة أسبوع الشباب في الجمهوريّة الإسلاميّة، في طهران، بحضور جمع من الشباب من مختلف الشرائح الاجتماعيّة، بتاريخ 1419/01/11هـ.ق.

(4) انظر الدرس الخامس: المرأة وتربية الأبناء.

دور الفتاة تجاه الوالدين

وضع المنهج الإسلاميّ حقوقاً وواجبات على جميع أفراد الأسرة: آباءً وأمهات وأبناءً وإخوة... وأمر بمراعاتها من أجل إشاعة الاستقرار والطمأنينة في أجواء الأسرة، والتقيّد بها يسهم في تعميق الأواصر وتمتين العلاقات، وينفي كلّ أنواع المشاحنات والخلافات المحتملة، والّتي تؤثّر سلباً في جوّ الاستقرار الذي يحيط بالأسرة، وبالتالي تؤثّر في استقرار المجتمع المتكوّن من مجموعة من الأسر.

ومن الواجبات المترتّبة على الفتاة تجاه والديها، الأمور الآتية:

1. **برّ الوالدين:** عدّ القرآن حقوق الوالدين ضمن مستوى المسؤوليّات الإلهيّة: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾[1]. واعتبرت أنّ برّ الوالدين واحترامهما من أهمّ الأعمال الدينيّة، بل يتوقّف عليه قبول سائر الأعمال؛ فإنّ رضى الله مرهونٌ برضى الوالدين، وغضبه نابع من استيائهم. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**رِضَا اللَّهِ مَعَ رِضَا الْوَالِدَيْنِ، وَسَخَطُ اللَّهِ مَعَ سَخَطِ الْوَالِدَيْنِ**»[2].

ثمّ إنّ دعاء الوالدين لأبنائهما له تأثير كبير في فلاحهم. كلّ ذلك إن دلّ على شيء، فإنّما يدلّ على أنّ التسامي المعنويّ والدينيّ للأبناء يترتّب على التعامل المناسب مع الوالدين.

ولا يقتصر البرّ بالوالدين على الحياة فحسب، بل يمتدّ حتّى بعد مماتهما. وإذا لم يوفّ الابن هذه الواجبات بعد ممات والديه، واكتفى بما عليه في الدنيا، فلن يُحصّل رضاهما عنه. ويرى الإسلام أنّ الابن، ذكرًا كان أو أنثى، تمتدّ واجباته تجاه والديه حتّى بعد زواجه، وتتضخّم هذه المسؤوليّات أكثر في فترة شيخوخة الوالدين.

ويتكشّف عدم محدودية هذه الواجبات وإطلاقها بمعرفة أنّه حتّى عدم المبالاة الدينية للوالدين أو عدم انتصافهم لحقوق أبنائهما، لا يُبرِّر تخلّي الأبناء عن أداء هذه الواجبات.

2. **تخصيص الأمّ:** اعتبرت بعض الروايات أنّ الإحسان للأمّ يعادل ضعف الإحسان للأب.

---

(1) سورة لقمان، الآية 14.

(2) النيسابوريّ، الشيخ محمّد بن الفتّال، روضة الواعظين، تقديم السيّد محمّد مهدي السيّد حسن الخرسان، منشورات الشريف الرضيّ، إيران - قم، لا.ت، لا.ط.، ص368.

عن أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: «**قَالَ مُوسَى عليه السلام: يَا رَبِّ أَوْصِنِي. قَالَ: أُوصِيكَ (بِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ). قَالَ: يَا رَبِّ أَوْصِنِي. قَالَ: أُوصِيكَ بِأُمِّكَ مَرَّتَيْنِ. قَالَ يَا رَبِّ أَوْصِنِي. قَالَ: أُوصِيكَ بِأَبِيكَ. فَكَانَ لِأَجْلِ ذَلِكَ يُقَالُ إِنَّ لِلْأُمِّ ثُلُثَيِ الْبِرِّ وَلِلْأَبِ الثُّلُثَ**»[1].

ووصف القرآن معاناة الأمّ؛ ترغيبًا للأبناء في برّها والتعامل الحسن معها: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾[2]، و﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾[3]. وقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أيضًا عن حقوق الأمّ: «**هيهات هيهات، لو أنّه عدد رمل عالج، وقطر المطر أيّام الدنيا، قام بين يديها، ما عدل ذلك يوم حملته في بطنها**»[4]. من هنا وجب على الفتاة تخصيص الأمّ، ومضاعفة البرّ والمعاملة الحسنة.

3. **مراعاة آداب الكلام والمحادثة:** في ما يتعلّق بالمحادثة مع الوالدين، اشترط الإسلام أن يكون صوت الأبناء منخفضًا وهادئًا ولطيفًا: «**ولا ترفع صوتك فوق أصواتهما**»[5]، بعيدًا عن أيّ ضجيج أو صراخ. فقد نهى القرآن حتى عن التفوّه بلفظ «الأفّ» في وجه الوالدين، حيث قال تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾[6]، وأوجب مخاطبتهما باحترام وتبجيل، فلا يُستحسن مخاطبتهما إلّا بـ«**الأب والأمّ**». بل اعتبرت الشريعة ذلك حقًا من حقوق الوالدين. قال النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم فِي وَصِيَّتِهِ لِعَلِيٍّ عليه السلام: «**حَقُّ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ أَنْ لَا يُسَمِّيَهُ بِاسْمِهِ..**»[7]. ذلك أنّ هاتين الكلمتين (الأمّ والأب) تُعبّران عن عمق الرابط الروحيّ والعرقيّ بين الابن ووالديه لذا نجد أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كان يطلب من السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام، أن تُخاطبه بالأب، ولا بتسميات أخرى، كرسول الله مثلًا. فكان صلى الله عليه وآله وسلم يخاطبها قائلًا: «**إنّ قولك يا أباه، أحبّ إلى قلبي وأرضى للربّ**»[8].

(1) الشيخ الحرّ العامليّ، وسائل الشيعة، ج21، ص 492.
(2) سورة لقمان، الآية 14.
(3) سورة الأحقاف، الآية 15.
(4) الطبرسيّ، الميرزا حسين النوري، مستدرك الوسائل، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، لبنان - بيروت، 1408هـ - 1987م، ط1، ج 15، ص182.
(5) الشيخ الحرّ العامليّ، وسائل الشيعة، ج21، ص488.
(6) سورة الإسراء، الآية 23.
(7) الشيخ الحرّ العامليّ، وسائل الشيعة، ج2، ص57.
(8) البحرانيّ، السيّد هاشم، البرهان في تفسير القرآن قسم الدراسات الإسلاميّة - مؤسّسة البعثة، إيران - قم، لا.ت، لا.ط، ج5، ص429، ذيل الآية 63 من سورة النور: «إنّ قولك يا أباه، أحبّ إلى قلبي وأرضى للربّ».

4. **التواضع للوالدين واحترامهما:** إنّ أهمّ شيء في التعامل غير الكلاميّ هو التحلّي بالتواضع أمام الوالدين، وقد استخدم القرآن استعارة جميلة للتواضع أمام الوالدين: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾[1]. لذا، فليس من اللائق أن تسبق الفتاة والديها في الجري[2]، أو تجلس قبلهما[3]، أو تتّكئ عليهما[4].

كما أنّ على الأبناء . عند محادثتهم للآخرين . أن يذكروا والديهما باحترام، متجنّبين المساس بهما، وأن يغمراهما بالدعاء وإن لم يكونا في الدرب الصحيح.

5. **النظر إلى الوالدين بمحبّة وعطف:** لا ينبغي للابنة أن ترمق والديها بنظرة حادّة متحاملة عليهما، وإن كانا فعلًا قد مارسا ظلمًا بحقّها، بل لا بدَّ لها من النظر إليهما بعطف ومحبّة، ليُكتب لها الأجر والثواب، وتفتح لها أبواب الرحمة الإلهيّة. ويعدّ تقبيل الوالدين أيضًا عملًا عباديًّا[5]. ثمّ ليس على الابن أن يغتاظ من والديه أو يقطع صلته بهما[6].

6. **المسارعة إلى تلبية جميع حوائج الوالدين:** إنّ الوالدين كلّما تقدّما في السنّ، ابتُليا بمشاكل صحيّة عديدة، وبالتّالي تجب مساعدتهما. لذا شدّدت النصوص الدينيّة على العناية بهما من قِبَل الأبناء[7]، وأوصت بشكلٍ عامّ أن يسارع الأبناء في تأمين احتياجات والديهم قبل أن يطلبا منهم ذلك[8]. عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ شُعَيْبٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: إِنَّ أَبِي قَدْ كَبِرَ جِدًّا وَضَعُفَ، فَنَحْنُ نَحْمِلُهُ إِذَا أَرَادَ الْحَاجَةَ، فَقَالَ: «**إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَلِيَ ذَلِكَ مِنْهُ فَافْعَلْ، وَلَقِّمْهُ بِيَدِكَ، فَإِنَّهُ جُنَّةٌ لَكَ غَدًا**»[9].

(1) سورة الإسراء، الآية 24.
(2) الشيخ الحرّ العامليّ، وسائل الشيعة، ج15، ص205.
(3) المصدر نفسه، ج15، ص220.
(4) المصدر نفسه، ج15، ص217.
(5) العلّامة المجلسيّ، بحار الأنوار، ج100، ص221.
(6) المصدر نفسه، ج23، ص113.
(7) الشيخ الحرّ العامليّ، وسائل الشيعة، ج15، ص205.
(8) سورة الإسراء، الآية 24.
(9) الشيخ الحرّ العامليّ، وسائل الشيعة، ج21، ص506.

واجبات الفتاة تجاه إخوتها

يتضمّن الإسلام نقاطًا في ما يتعلّق بالعلاقات الأخويّة، أكثرها يرتبط بمرحلة الرشد. وتحمل النصوص الإسلاميّة تعاليم كثيرة حول الأخوّة، وجلّها يتعلّق بالأخوّة الدينيّة، إلّا أنّ بعضًا منها يشمل الأخوّة النسبيّة. وتشبيه القرآن المؤمنين بالإخوة في قوله تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[1]، هو دليل على أهميّة الأخوّة النسبيّة.

إنّ الصلة الأخويّة النسبيّة يُعبَّر عنها في النصوص الإسلاميّة الروائيّة بصلة الرحم. وقد أولت الشريعة أهميّة كبرى لصلة الرحم وأكّدتها، بل جعلتها أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله عزّ وجلّ. يُروى أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَخْبِرْنِي مَا أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ؟ فَقَالَ ﷺ: «**الْإِيمَانُ بِاللَّهِ. قَالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ ﷺ: صِلَةُ الرَّحِمِ**»[2].

لذا وجب على الفتاة المسلمة الالتزام بصلة الرحم، والحفاظ على الصلة الأخويّة النسبيّة، وفق ما ورد ضمن تعاليم الشريعة الإسلاميّة المقدّسة. نذكر في ما يأتي أبرزها:

1. **المحبّة والمواساة:** إنَّ المحبّة والمودّة تشكّلان عماد العلاقة الأخويّة، ومعيار الأخوّة الحقيقيّة. لذا نجد أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام قال في حديثه لـ«كميل بن زياد النخعيّ»: «**يا كميل، إن لم تحبَّ أخاك فلست أخاه**»[3]. ولذا، نجد أنَّ دور الفتاة المسلمة يتجلّى في إظهار المحبّة والعاطفة والحنان لإخوتها، والاهتمام بشؤونهم، وتلبية حوائجهم، ومواساتهم في شتّى الظروف. ونعم القدوة في هذا الأمر ما ورد في سيرة السيّدة زينب عليها السلام، في علاقتها مع أخيها الإمام الحسين عليه السلام، ففي أصعب اللحظات والظروف، في أرض كربلاء، كان الإمام عليه السلام يأتي إلى الحوراء زينب عليها السلام ليبثّ همّه وحزنه. يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله:

«كانت زينب كمواسٍ وصديقٍ وشخصٍ، لم يشعر الإمام الحسين عليه السلام مع وجوده

(1) سورة الحجرات، الآية 10؛ الشيخ الكلينيّ، الكافي، ج3، ص241-244.
(2) الفقه المنسوب إلى الإمام الرضا عليه السلام، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام، إيران - مشهد، 1406هـ، ط1، ص377.
(3) العلّامة المجلسيّ، بحار الأنوار، ج74، ص414.

بالوحدة أو التعب. إنّ المرء ليُشاهد مثل هذا الدور في وجه زينب عليها السلام، وفي كلماتها، وفي حركاتها»[1].

2. **العفو والتسامح:** قد تتوتّر العلاقات بين الإخوة نتيجة موقف انفعاليّ معيّن، أو بسبب مشكلة ما، ويؤدّي هذا الأمر إلى شرخ وتنافر قد يصلان إلى المعاداة أحيانًا.

وعليه، ينبغي للفتاة أن تحرص على تجنّب حدوث أيّ خللٍ أو صدع في علاقتها الأخويّة، فتعمل على مقابلة الغضب بالهدوء والتسامح وكظم الغيظ، وتبادر إلى العفو والمسامحة، ليشملها حينئذٍ الثناء الإلهيّ؛ فقد امتدح الله عزّ وجلّ في كتابه العزيز الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس، واعتبر ذلك إحسانًا منهم وعطفًا على الآخرين. قال تعالى: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[2].

3. **الإيثار والتضحية:** يصف الله عزّ وجلّ المؤمنين في كتابه العزيز فيقول: ﴿وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ﴾[3]. والإيثار صفةٌ أخلاقيّة ملازمة لمن عمر قلبه بالإيمان. فالإيثار مكرمةٌ وفضيلةٌ حثَّ عليها الشارع المقدّس، وأكّد ضرورة اكتسابها. ومعنى الإيثار، تقديم الآخر على النفس في البذل والعطاء.

ثمّ إنَّ مفهوم الآية الكريمة - السابق ذكرها - يتضمّن دعوةً إلى جعل الإيثار حاكمًا على العلاقة بين المؤمنين. وهذه الدعوة القرآنيّة آكد بالنسبة للأسرة الواحدة، ومجتمع الأرحام الذي تربطه العلاقات النسبيّة، فضلًا عن العلاقات السببيّة.

وعليه، يجدر بالفتاة المؤمنة أن تجعل الإيثار والتضحية عنوانًا لعلاقتها الأخويّة، تمسّكًا بالتعاليم القرآنيّة، وتقدّم بعض التنازلات والتضحيات لكسب القلوب والظفر بها، فـ «**أَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ اكْتِسَابِ الْإِخْوَانِ، وَأَعْجَزُ مِنْهُ مَنْ ضَيَّعَ مَنْ ظَفِرَ بِهِ مِنْهُم**»[4].

---

(1) الإمام الخامنئيّ، إنسان بعمر 250 سنة، ترجمة لجنة التأليف في مركز المعارف للتأليف والتحقيق، دار المعارف الإسلاميّة الثقافيّة، لبنان - بيروت، 2013م، ط1، ص225.

(2) سورة آل عمران، الآية 134.

(3) سورة الحشر، الآية 9.

(4) السيد الرضي، نهج البلاغة، ص470.

المفاهيم الرئيسة

1. الأسرة هي رابطة الزواج التي تصحبها ذُرّيّة، والرابطة الاجتماعيّة الّتي تتكوّن من زوج وزوجة وأطفالهما، وتشمل الجدود والأحفاد وبعض الأقارب. ولا ريب في اعتبار الأسرة إحدى المؤسّسات المهمّة في المجتمع البشريّ.
2. تؤدّي المرأة دورًا أسريًّا محوريًّا، يتمثّل بتأمين السكينة والاستقرار والمودّة والرحمة، وإيجاد البيئة الأسريّة السليمة والملائمة لصناعة الإنسان الصالح. ويتنوّع دورها انطلاقًا من كونها أمًّا، أو ابنة، أو أختًا.
3. إنَّ لكلٍّ من الأبوين دوره وموقعه ووظيفته في الأسرة، إلاّ أنّ للأمّ حصّة الأسد في العمليّة التربويّة، وفي الإحاطة العاطفيّة لأسرتها، وفي تأمين بيئة أسريّة سليمة ومستقيمة تتكفّل ببناء الأجيال الصالحة.
4. يُعتبر دور الزوجة من أهمّ الأدوار الملقاة على عاتق المرأة، وهو يُضاهي الجهاد لدى الرجال صعوبة وقيمة. وفي هذا السياق يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**جهاد المرأة حسن التبعّل**».
5. إنَّ دور الفتاة في الأسرة يتمحور حول مسألتيْن: واجبات الفتاة تجاه الوالديْن، وواجباتها تجاه إخوتها، وأفراد أسرتها.
6. من الواجبات المترتّبة على الفتاة تجاه والديها، الأمور الآتية: برّ الوالدين، ومراعاة آداب الكلام والمحادثة، والتواضع للوالدين واحترامهما، والنظر إلى الوالدين بمحبّة وعطف، والمسارعة إلى تلبية جميع حوائج الوالدين.
7. من واجبات الفتاة تجاه إخوتها: المحبّة والمواساة، والعفو والتسامح، والإيثار والتضحية.

الدرس الثّالث

دور الفتاة المسلمة

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يذكر اهتمام الشريعة بالفتاة الشابّة، ويبيّن أهميّة مرحلة الشباب.
2. يبيّن أهمّيّة التربية العقليّة والروحيّة والجسديّة للفتاة المسلمة.
3. يشرح الكيفيّة العمليّة لتربية الفتاة أسريًّا واجتماعيًّا.

تمهيد

أولت الشريعة الإسلاميّة الفتاة اهتمامًا بالغًا، بل خصّتها بالتفضيل في بعض الأمور. فقد ورد عن الرسول الأكرم ﷺ قوله: «**خير أولادكم البنات**»[1]. وفي حديث آخر عَنْه ﷺ: «**نِعْمَ الْوَلَدُ الْبَنَاتُ، مُلْطِفَاتٌ مُجَهِّزَاتٌ مُونِسَاتٌ مُبَارَكَاتٌ مُفَلِّيَاتٌ.**»[2] وعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ ﷺ: «**الْبَنَاتُ حَسَنَاتٌ، وَالْبَنُونَ نِعْمَةٌ، فَإِنَّمَا يُثَابُ عَلَى الْحَسَنَاتِ، وَيُسْأَلُ عَنِ النِّعْمَةِ**»[3].

والمُلاحظ من خلال هذه الأحاديث الشريفة وغيرها من النصوص الإسلاميَّة، أنَّ كفّة العناية الإلهيّة بالمرأة قد ترجح على كفَّة الرجال. لكنَّ الصحيح أنَّ الإسلام هو دين الإنسانيّة الذي لم يُفرِّق بين رجل وامرأة إلّا بالتقوى: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾[4]. ومسألة العناية الإلهيّة بالمرأة ومكانتها، إنّما جاءت انطلاقًا من أهميَّة وعِظم الدور الذي تقوم به المرأة، ومحوريّته في بناء الأفراد والمجتمعات.

ولا يقتصر دور المرأة على الأمومة والزوجيّة فحسب، فالفتاة في مرحلة الشباب، تمتلكُ دورًا تأسيسيًّا في بناء ذاتها وبناء مجتمعها، انطلاقًا من الطاقات والقابليّات التي أودعها الله عزّ وجلّ في النفس البشريّة، والتي تكون في مرحلة الشباب في أوجها وجذوتها القصوى.

---

(1) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج15، 116.

(2) الشيخ الكلينيّ، الكافي، ج5، ص6.

(3) المصدر نفسه، ج5، ص6.

(4) سورة الحجرات، الآية 13.

لذا، نجد أنَّ الإمام الخمينيّ قدس سره، أوصى السيّدة فاطمة الطبطبائيّ (زوجة السيّد أحمد الخمينيّ قدس سره)، بضرورة الاستفادة من مرحلة الشباب، فقال: «ما دام الشباب في يدك فجدّي في العمل»[1].

والاستفادة من فرصة الشباب لا تقتصر على بناء الذات، بل تتعدّاها لتصل إلى بناء المجتمعات وتكاملها. لذا، يؤكّد السيد عليّ الخامنئيّ دام ظله، أهمّيّة الدور الاجتماعيّ للنساء، وضرورة تسخير الإمكانات والطاقات من أجل بلوغ الكمال الإنسانيّ؛ فيَخصّ في قوله الفتيات اللواتي ما زلن يمتلكن فرصة العمل والجدّ: «أيّتها النساء الكريمات، وبخاصّة الفتيات منكنّ، أمامكنّ عمر أطول، وينبغي أن تسخّرن الإمكانات الّتي خلقها الله في هذا العالم من أجل تكامل الإنسان. فتجب معرفتها معرفة دقيقة، ومعرفة السبيل المؤدّي إليها»[2].

وعليه، فإنَّ إنجاز الدور التكامليّ على المستوى الشخصيّ والاجتماعيّ، يتحقّق بإعداد الفتاة نفسها تربويًّا، وروحيًّا، وأخلاقيًّا، وفكريًّا وعقليًّا.

وهذا ما سوف نتناوله في درسنا الحالي.

الفتاة والتربية العقليّة والعلميّة

لا ريبَ في أنَّ تربية العقول هي أحد أهداف بعثة الأنبياء عليهم السلام. لذا، نجد الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام يقول في سبب بعثة الأنبياء عليهم السلام: «**ليستأدوهم ميثاق فطرته**»، ويستمرّ إلى أن يقول: «**ويثيروا لهم دفائن العقول**»[3]؛ أي إنّ هدف الأنبياء عليهم السلام، هو استخراج كنوز العقل والفطرة البشريّة.

والتربية العقليّة ضروريّة لجميع أفراد المجتمع الإنسانيّ، لكنّها أكثر ضرورة وآكد

(1) راجع: الإمام الخمينيّ، المظاهر الرحمانيّة، مؤسّسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخمينيّ قدس سره - الشؤون الدوليّة، إيران - طهران، 1995م، ط1، ص37.

(2) خطاب الإمام الخامنئيّ دام ظله بمناسبة ولادة الصدّيقة الطاهرة عليها السلام ويوم المرأة، في طهران - ملعب الحرّيّة الرياضيّ، بحضور جموع غفيرة من النساء المؤمنات، بتاريخ 1418/06/19هـ.ق.

(3) الرضي، نهج البلاغة، الخطبة رقم 1.

للفتيات؛ لأنّهنَّ أمّهات الغدِ، والمسؤولات عن تربية العقول ونشأتها، وللآثار والفوائد المتنوّعة للتربية العقليّة الّتي تجنيها الفتاة على المستوى الشخصيّ. فبالرقيّ الفكريّ والعقليّ تتمكّن من التسلّط على الشهوات والرغبات والأهواء، والنجاة من الوقوع في الزلل. وبالعقل تمتلك القدرة على اتّخاذ القرار الصائب، ومعرفة الطريق الأقوم، وتشخيص الحقّ من الباطل. وقد تضافرت الروايات[1] التي تحثّ على استخدام العقل وتؤكّد أهمّيّته. ورد عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام أنّه قال: «**إِنَّ أَوَّلَ الْأُمُورِ وَمَبْدَأَهَا وَقُوَّتَهَا وَعِمَارَتَهَا الّتي لَا يُنْتَفَعُ بِشَيْءٍ إِلَّا بِهِ، الْعَقْلُ الذي جَعَلَهُ اللَّهُ زِينَةً لِخَلْقِهِ، وَنُورًا لَهُمْ. فَبِالْعَقْلِ عَرَفَ الْعِبَادُ خَالِقَهُمْ، وَأَنَّهُمْ مَخْلُوقُونَ، وَأَنَّهُ الْمُدَبِّرُ لَهُمْ، وَأَنَّهُمُ الْمُدَبَّرُونَ، وَأَنَّهُ الْبَاقِي وَهُمُ الْفَانُونَ. وَاسْتَدَلُّوا بِعُقُولِهِمْ عَلَى مَا رَأَوْا مِنْ خَلْقِهِ، مِنْ سَمَائِهِ، وَأَرْضِهِ، وَشَمْسِهِ، وَقَمَرِهِ، وَلَيْلِهِ، وَنَهَارِهِ، وَبِأَنَّ لَهُ وَلَهُمْ خَالِقًا وَمُدَبِّرًا، لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزُولُ، وَعَرَفُوا بِهِ الْحَسَنَ مِنَ الْقَبِيحِ، وَأَنَّ الظُّلْمَةَ فِي الْجَهْلِ، وَأَنَّ النُّورَ فِي الْعِلْمِ. فَهَذَا مَا دَلَّهُمْ عَلَيْهِ الْعَقْلُ. قِيلَ لَهُ: فَهَلْ يَكْتَفِي الْعِبَادُ بِالْعَقْلِ دُونَ غَيْرِهِ؟ قَالَ: إِنَّ الْعَاقِلَ لِدَلَالَةِ عَقْلِهِ الذي جَعَلَهُ اللَّهُ قِوَامَهُ وَزِينَتَهُ وَهِدَايَتَهُ، عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ، وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّهُ، وَعَلِمَ أَنَّ لِخَالِقِهِ مَحَبَّةً، وَأَنَّ لَهُ كَرَاهِيَةً، وَأَنَّ لَهُ طَاعَةً، وَأَنَّ لَهُ مَعْصِيَةً؛ فَلَمْ يَجِدْ عَقْلَهُ يَدُلُّهُ عَلَى ذَلِكَ، وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يُوصَلُ إِلَيْهِ إِلَّا بِالْعِلْمِ وَطَلَبِهِ، وَأَنَّهُ لَا يَنْتَفِعُ بِعَقْلِهِ إِنْ لَمْ يُصِبْ ذَلِكَ بِعِلْمِهِ، فَوَجَبَ عَلَى الْعَاقِلِ طَلَبُ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ الذي لَا قِوَامَ لَهُ إِلَّا بِهِ**»[2].

وعليه، ينبغي لكلِّ فتاة الاهتمام بالتربية العقليّة، وذلك من خلال استخراج طاقات عقلها وقدراته، وتفعيلها، وتحكيمها على الأفكار والأعمال والسلوكيّات المختلفة.

ولبلوغ هذا الهدف، لا بدَّ للفتاة من أن تهتمّ بتنمية الجانب المعرفيّ والتحصيل العلميّ، من خلال متابعة الدراسة الأكاديميّة والحوزويّة، ومطالعة الكتب وقراءتها، إذ لا ريب في وجود علاقة متينة بين العلم والرشد الفكريّ. بل إنَّ الكثير من المشاكل التي تواجه الإنسان في حياته، تعود إلى الجهل وعدم الوصول إلى مرحلة النضج الفكريّ. وفي

(1) ينظر كتاب الكافي، ج1، كتاب العقل والجهل.
(2) الشيخ الكلينيّ، الكافي، ج1، ص 29.

هذا السياق، يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «إنّ دراسة النساء أمرٌ مهمّ جدًّا بهدف اكتساب المعرفة، ومهمّة من أجل رفع مستوى الرشد الفكريّ..»[1].

الفتاة والتربية الأخلاقيّة والروحيّة

لا يمكن للفتيات الاكتفاء بتنمية القدرات الفكريّة والعلميّة فحسب، بل لا بدّ من أن يرادف ذلك السعي من أجل إعداد أنفسهنّ وتربيتها أخلاقيًّا أيضًا. لذلك ورد في العديد من الآيات القرآنيّة تقدّم التزكية على التعليم، للدلالة على أهمّيّة التزكية والتربية الأخلاقيّة. قال تعالى: ﴿وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[2].

فالهدف الغائيّ من التعلّم والتربية العقليّة، هو تربية النفس وتهذيبها أخلاقيًّا وروحيًّا. لذا، نجد أنَّ الإمام الخمينيّ قدس سره يقول في وصيّته العرفانيّة للسيّدة فاطمة الطباطبائيّ: «ابنتي، اهتمّي برفع الحجب، لا جمع الكتب»[3].

من هنا، يجدر بالفتاة العمل على تهذيب النفس وتطهيرها، ومجاهدتها وتخليصها من الأخلاق الذميمة والرذائل؛ كالغيبة، والنميمة، والفتنة، والغرور، وحبّ الأنا، والتعلّق بالمظاهر الدنيويّة الفانية، واكتساب الأخلاق والفضائل الممدوحة، وغرسها وتأصيلها في القلب والروح، وتجسيدها عمليًّا على مستوى السلوك.

الفتاة والتربية البدنيّة

أكّد الإسلام احترام الجسد، وشرَّع الله عزّ وجلّ منظومة متكاملةً من الأحكام المتعلّقة بصحّة الجسد وسلامته، فأوجب الحفاظ على نظافته، وحرّم بعض الأطعمة المضرّة بسلامته. لذا، ينبغي للإنسان الاهتمام بالتربية الجسديّة تمسّكًا بالشريعة الإسلاميّة، وانطلاقًا من التأثيرات المختلفة لصحّة الجسد على مستوى القلب والروح.

(1) لجنة التأليف في مركز المعارف للتأليف والتحقيق، المرأة: علم عمل جهاد، دار المعارف الإسلاميّة الثقافيّة، لبنان - بيروت، 2003م - 1424هـ، ط1، ص 12.

(2) سورة الجمعة، الآية 2.

(3) راجع: الإمام الخمينيّ، المظاهر الرحمانيّة، ص40.

وعليه، ينبغي للفتاة المسلمة الاهتمام بسلامة جسدها وصحّته ونظافته. ومن أجل سلامة الجسم، يجب الاعتناء مثلًا، بإنارة وتهوئة الغرفة، ونظافة الأظفار، وغسل الأطراف، والحركات الرياضيّة، وبنظام معيّن للنوم لا يقلّ عن ثماني ساعات في اليوم، والتنزّه وممارسة المشي في الهواء الطلق. وبشأن النظام الغذائيّ، يمكن القول إنّ مقدار غذاء الفتاة في سن 14 - 17 عامًا، يُساوي تقريبًا سبعة أعشار غذاء الشخص الكبير. وبشكل عامّ، فإنّ غذاء امرأة عاديّة يُساوي تقريبًا ثمانية أعشار غذاء الرجل[1].

وللتغذية الجيّدة آثار بالغة الأهميّة في نموّ الفتيات وقوّتهنّ ونشاطهنّ - كما بات واضحاً في الكثير من الدراسات والتجارب العلمية في هذا العصر- ، فهي تُساهم في زيادة طاقاتهنّ، وبالتالي قدرتهنّ على الحركة والنشاط والفعّاليّة في حياتهنّ. وعلى العكس من ذلك، فإنّ من شأن سوء التغذية أن يترك آثارًا مخرّبة في صحّة الفتيات وسلامتهنّ. من هنا، ينبغي الموازنة في الغذاء، والتركيز في الألبان والأجبان، والخُضَر، والسعي إلى الحيلولة دون إفراطهنّ في تناول الأطعمة الدسمة، التي قد تسبّب أمراضًا عديدة، أبرزها البدانة.

كما ينبغي للفتاة ممارسة الرياضة البدنيّة[2] بشكل منتظم، فإنّ للرياضة والتمارين البدنيّة فوائد مهمّة في هذه المرحلة، وتأثيرات عديدة في صحّة القلب والعظام وقوّة العضلات، وخصوصًا إذا جرت في الهواء الطلق، لكن مع الحفاظ على الموازين الشرعيّة. يقول السيّد الإمام الخامنئي دام ظله في هذا الصدد: «على النساء ممارسة الرياضة، فليمارسن الرياضة مثلما يأكلن، مثلما يؤدّين أعمالهنّ اليوميّة، مثلما يدرسن. ينبغي للرياضة أن تكون واحدة من برامجهنّ الحياتيّة الحتميّة؛ ولكن ينبغي لأجواء رياضة النساء أن تكون بنحوٍ لا تمسّ الحدود الإسلاميّة مطلقًا»[3].

(1) القائمي، الدكتور علي، دنيا الفتيات المراهقات، ترجمة سالم كريم - البيان للترجمة، دار النبلاء، لبنان - بيروت، 2002م - 1423هـ، ط2، بتصرّف.

(2) يوصي اختصاصيو الرياضة البدنيّة بتمارين رياضيّة عديدة خاصّة بالفتاة؛ كالبروك وإلصاق الركبتين بالصدر، والسير على أربع (سير القطة)... وهذه التمارين تساعد على تقوية العضلات التي تحفظ الأعضاء الداخلية للحوض.

(3) من خطاب لسماحة الإمام الخامنئي دام ظله، بتاريخ: 8 -10- 1375.

الفتاة والتربية الأسريّة

الأسرة نواة المجتمع، ومن خلالها تُبنى وتتشكّل المجتمعات الإنسانيّة، وهي تنشأ من الرابطة الزوجيّة بين الرجل والمرأة. قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

ولا ريبَ في أنَّ الدور الأسريّ للمرأة محوريٌّ وأساسيّ؛ انطلاقًا من كونها أحد العناصر المؤسِّسة للبناء الأسريّ. والفتيات الشابّات هنَّ زوجات وأمّهات في المستقبل. وعليه، ينبغي للفتاة أن تؤهّل نفسها للدخول في مرحلة الزوجيّة والأمومة.

فبداية، ينبغي للفتاة أن تمتلك الرؤية الإسلاميّة الصحيحة عن مفهوم الزواج وأهدافه وكيفيّة اختيار الزوج، وغيرها من مقوّمات بناء الأسرة الصالحة، وتدرك خطورة موقعيّتها كزوجة وكأمّ في الصرح الأسريّ. ثمّ تسعى لامتلاك بعض المهارات المتعلّقة بالإدارة المنزليّة والتربية الأسريّة، ولا سيّما في ما يتعلّق بتربية الأبناء، لتكون قادرةً على تحمّل الواجبات والمسؤوليّات العمليّة في الحياة؛ فتجنح إلى القيام ببعض الأعمال المنزليّة على سبيل المثال؛ كالطهي، وإعداد المائدة، والخياطة، ورعاية الإخوة والأخوات الأصغر سنًّا، وغيرها من المهارات التي تساعدها في شؤونها المستقبليّة.

الفتاة والتربية الاجتماعيّة

إنّ حرص الدين الإسلاميّ على تماسك المجتمع الواحد، يتجلّى من خلال القيم التي أرساها لتكون دعامة تماسك هذا المجتمع، الذي ينبغي أن يكون الأنموذج الأمثل في الترابط والتفاهم والحرص على الآخر، من خلال السنن التي سنَّها الله تعالى لتكون دعامة أساسيّة في التعاطي الإيجابيّ بين أفراد المجتمع الواحد.

وتحت هذه السنن والقيم الاجتماعيّة، تنطوي مجموعة من اللياقات التي وردت في الشريعة الإسلاميّة الغرّاء. والمقصود من اللياقات هذه، الأمور التي يتبادلها المؤمنون

(1) سورة الروم، الآية 21.

بينهم، من المجاملات الكلاميّة والخصال التي تساهم في توطيد أواصر القربى بين المؤمنين الإخوة في الله تعالى.

ومن التوفيقات والنعم الإلهيّة الكبرى، أن تتعرَّف الفتاة إلى هذه السنن والقيم الاجتماعيّة، وتغترف منها ما يأخذ بيدها في مسيرتها التربويّة الاجتماعيّة، ويقرّبها إلى الله عزّ وجلَّ. وسنذكر بعضًا من المبادئ الاجتماعيّة الإسلاميّة التي تمثّل منطلقًا للسلوكيّات كافّة:

1. التربية على مبدأ الأخوّة الإيمانيّة:

لقد شدّد المنهج القرآنيّ والنبويّ على أهمّيّة مبدأ الأخوّة الإسلاميّة والإيمانيّة، معتبرًا أنّ المسلمين والمؤمنين من أبناء المجتمع الواحد هم إخوة، وأنّهم بمنزلة الجسد الواحد، ولا يوجد أيّ مذهب اجتماعيّ قد رفع من شأن العلاقة بين أبناء المجتمع إلى منزلة الأخوّة إلّا الإسلام. يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[1].

وهذه الأخوّة الإيمانيّة هي مبنى اجتماعيّ قرآنيّ، يترتّب عليه العديد من الأصول التربويّة في العلاقات الاجتماعيّة؛ كالتعاطف، والتبارّ، والتراحم، وإصلاح ذات البين، وعدم الظلم أو الخيانة أو الغشّ... إلخ.

وعليه، ينبغي للفتاة أن تبني علاقاتها الاجتماعيّة انطلاقًا من هذه الروحيّة الأخويّة، وانطلاقًا من هذه القيم التربويّة المتعدّدة، التي أرساها النبيّ ﷺ وأئمّتنا عليهم السلام في رواياتهم وسيَرهم العمليّة. فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «**إنّ المؤمن أخو المؤمن، عينه ودليله، لا يخونه، ولا يظلمه، ولا يغشّه، ولا يعده عدة فيخلفه**»[2].

2. التربية على مبدأ التآلف الاجتماعيّ:

عن رسول الله ﷺ: «**المؤمن ألِفٌ مألوفٌ، ولا خير في من لا يألف، وخير الناس أنفعهم للناس**»[3].

---

(1) سورة الحجرات، الآية 10.

(2) الشيخ الكلينيّ، الكافي، ج2، ص166.

(3) القضاعي، محمّد بن سلامة، مسند الشهاب، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسّسة الرسالة، لبنان - بيروت، 1405هـ - 1985م، ط1، ج1، ص108.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «**المؤمن مألوف، ولا خير فيمن لَا يَأْلَفُ ولَا يُؤْلَف**»[1].

ومفردة «ألف» في اللغة العربيّة تدلّ على انضمام شيء إلى شيء[2]، والألفة من الائتلاف، وهو الالتئام والاجتماع، وتألّف القوم: اجتمعوا وتحابّوا. والألفة: الأنس والمحبّة[3]، والأنس: سكون القلب، وهو ضدّ الوحشة.

فالتآلف الاجتماعيّ من أهمّ الأصول الاجتماعيّة في حياة الإنسان المسلم. لذا، ينبغي للفتاة المسلمة أن تعمد إلى تربية نفسها على محبّة الناس والتآلف معهم، وحُسن معاشرتهم.

وينبغي للفتاة الابتعاد عمّا يُقابل التآلف الاجتماعيّ، كالتفرّق والانقسام، والنفور من الناس، والوحشة منهم، والتكبّر عليهم، والتباغض والتحاسد.

اكتفينا بذكر أصليْن من أصول التربية الاجتماعيّة في شريعتنا السمحة، ومن هذه الأصول يتفرّع الكثير من الآداب الاجتماعيّة العامّة، وهي تتعلّق بكلّ السلوكيّات الاجتماعيّة للإنسان، من المشي، واللباس، والطعام، والجلوس، وجميع أشكال الحركة في المجتمع، وأنواع العلاقات مع فئات المجتمع المختلفة. وسوف نذكر بعضًا من هذه الآداب العامّة[4]:

أ. تنمية روح التعاون الاجتماعيّ، والتطوّع في الخدمة الاجتماعيّة، ودفع الأذى عن أبناء المجتمع. عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أيّما مسلم خدم قومًا من المسلمين، إلّا أعطاه الله مثل عددهم خدّامًا في الجنّة**»[5].

(1) الشيخ الكلينيّ، الكافي، ج2، ص102.

(2) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريّا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمّد هارون، مكتبة الإعلام الإسلاميّ، إيران - قم، 1404هـ، لا.ط، ج1، ص131.

(3) الفيوميّ، أحمد بن محمّد المقريّ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعيّ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لا.م، لا.ت، لا.ط، ج1، ص18.

(4) لم نذكرها بصورة تفصيليّة لأنّ المقام لا يسع التوسعة في الآداب الاجتماعيّة، ويمكن مراجعتها في كتب الروايات والآداب والأخلاق.

(5) الشيخ الكلينيّ، الكافي، ج2، ص207.

ب. تعويد النفس الإحساس بالآخرين في ضوء مبدأي التكافل والتضامن الاجتماعيَّيْن، مثل: الصدقة على الفقراء والأيتام، من قبيل التبرّع بالطعام والثياب والمال، وهبتها لمن يستحقّها.

ج. التفاعل الإيجابيّ مع المعارف والأرحام، وتفقّد أحوالهم من خلال الزيارات الاجتماعيّة بين الحين والآخر، أو عيادة المريض وزيارته، أو تعزية أو زيارة قبور الأقارب والمؤمنين، والمبادرة إلى إلقاء التحيّة والسلام على المؤمن، والردّ عليها، وتسميت العاطس، وطلاقة الوجه وحسن البشر.

د. تعويد النفس آداب اللسان، مثل: حفظ اللسان عن إباحة السرّ، والغيبة والبهتان والنميمة واللغو والكذب. ففي وصيّة الإمام أبي الحسن عليه السلام، قال: «**احفظ لسانك تُعزّ، ولا تمكّن الناس من قيادك فتذلّ رقبتك**»[1]. وطيب الكلام، فعن الإمام الصادق عليه السلام عندما سُئل: ما حدّ حسن الخلق؟ قال: «**تلين جناحك، وتطيب كلامك، وتلقى أخاك ببشر حسن**»[2].

هذا بعض ما أشارت إليه الشريعة الإسلاميّة الغرّاء التي أرسل الله تعالى بها نبيّه الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وقد دعانا أهل البيت عليهم السلام إلى الاستنان بهذه السنن، فإنّها تصبّ أولًا وأخيرًا في صلاحنا وسعادتنا، سواء في الدنيا أو الآخرة. وفّقنا الله تعالى لمراضيه، وجنّبنا معاصيه، إنّه سميع مجيب.

(1) الشيخ الكلينيّ، الكافي، ج2، ص113.
(2) المصدر نفسه، ج2، ص103.

المفاهيم الرئيسة

1. أولت الشريعة الإسلاميّة اهتمامًا بالغًا بالمرأة ومكانتها، انطلاقًا من أهميَّة وعِظم الدور الذي تقوم به، ومحوريّته في بناء الأفراد والمجتمعات.
2. إنَّ التربية العقليّة ضروريّة لجميع أفراد المجتمع الإنسانيّ، لكنّها أكثر ضرورة وآكد للفتيات، لأنهنَّ أمّهات الغدِ، والمسؤولات عن تربية العقول ونشأتها، وللآثار والفوائد المتنوّعة للتربية العقليّة التي تجنيها الفتاة على المستوى الشخصيّ. فبالرقيّ الفكريّ والعقليّ تتمكّن من التسلّط على الشهوات والرغبات والأهواء، والنجاة من الوقوع في الزلل، وبالعقل تمتلك القدرة على اتخاذ القرار الصائب، ومعرفة الطريق الأقوم، وتشخيص الحقّ من الباطل.
3. يجدر بالفتاة العمل على تهذيب النفس وتطهيرها، ومجاهدتها وتخليصها من الأخلاق الذميمة والرذائل؛ كالغيبة، والنميمة، والفتنة، والغرور، وحبّ الأنا، والتعلّق بالمظاهر الدنيويّة الفانية، واكتساب الأخلاق والفضائل الممدوحة، وغرسها وتأصيلها في القلب والروح، وتجسيدها عمليًّا على مستوى السلوك.
4. أكّد الإسلام احترام الجسد، وشرَّع الله عزّ وجلّ منظومة متكاملةً من الأحكام المتعلّقة بصحّة الجسد وسلامته، فأوجب الحفاظ على نظافته، وحرّم بعض الأطعمة المضرّة بسلامته. لذا، ينبغي للإنسان الاهتمام بالتربية الجسديّة تمسّكًا بالشريعة الإسلاميّة، وانطلاقًا من التأثيرات المختلفة لصحّة الجسد على مستوى القلب والروح.
5. الأسرة نواة المجتمع، ومن خلالها تُبنى وتتشكّل المجتمعات الإنسانيّة، وهي تنشأ من الرابطة الزوجيّة بين الرجل والمرأة. ولا ريبَ في أنَّ الدور الأسريّ للمرأة محوريٌّ وأساسيّ؛ انطلاقًا من كونها أحد العناصر المؤسِّسة للبناء الأسريّ، والفتيات الشابات هنَّ زوجات وأمّهات في المستقبل. وعليه، ينبغي للفتاة أن تؤهّل نفسها للدخول في مرحلة الزوجيّة والأمومة.
6. من المبادئ الاجتماعيّة الإسلاميّة التي تمثّل منطلقًا للسلوكيّات كافّة: التربية على مبدأ الأخوّة الإيمانيّة، والتربية على مبدأ التآلف الاجتماعيّ.

الدرس الرابع

المرأة والحياة الزوجيّة

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يتعرَّف إلى أبرز مقوّمات الحياة الزوجيَّة، من خلال الآيات والروايات.

2 . يبيِّن دور المرأة تجاه الزوج.

3 . يفهم أنَّ القواميَّة في الحياة الزوجيَّة حقّ خاصّ بالزوج.

جهادكِ حسن التبعّل

كرَّم الإسلام المرأة وعزّزها؛ بأن خصَّها بأحد مصاديق الجهاد، وجعل ساحته بيتها، وأطلق عليه تسمية حسن التبعّل: «**.. وجهاد المرأة حسن التبعّل**»[1]، فما المقصود من ذلك؟

حسن التبعّل «**هو طاعة المرأة لزوجها، وحسن العشرة معه**»[2]. وهو موضع بلاء وامتحان لمدى صبر الزوجة وتحمّلها وقدرتها على القيام بمهمّتها، والدور الأساس الموكل إليها: من توفير السكن النفسيّ والجسديّ للزوج، فيكون مرآها مدعاة لسرور نفس الزوج، واستقرارها، وسكينتها؛ كالترحيب به عند دخوله، فتكون باسمة، ويفوح من دارها أريج النظافة، ورونق الترتيب، وتنثر بذور الراحة والاطمئنان. وكتوديعه عند خروجه، والتواصل معه في سفره، وتفقّد أحواله. كلّ ذلك يُنشئ في نفس الزوج حضورًا دائمًا لزوجته.

باختصار، حسن التبعّل، إضافة إلى الطاعة، هو الحرص على العلاقة الزوجيّة الهادئة والمستقرّة، وتأمين الراحة للزوج كما يحبّ.

وإنّ المرأة الصالحة المطيعة للتكاليف الإلهيَّة، تزرع ورود الحبّ والودِّ في ربوع بيتها، وتنزع أشواك التوتّر والنفور، فلا تفعل ما يُسخط زوجها، وتعمل على إرضائه، بل تصبر على الأذى والإساءة إن صدرت عنه. وتهتمّ بتربيَة أطفالها على ضوء التعاليم المحمّديَّة، إلى غيرها من المسؤوليّات الملقاة على عاتقها. ومن المؤكّد أنَّ الاهتمام بشؤون الحياة الزوجيَّة ليس عائقًا أمام تطوّرها الدينيّ والثقافيّ والاجتماعيّ.

ولا بدَّ من الالتفات إلى أنَّ المرأة شريكة في مسيرة جهاد الرجل، في ميدان المقاومة

(1) الرضي، نهج البلاغة، ج4، ص34.

(2) العلّامة المجلسيّ، بحار الأنوار، ج18، ص107.

والنصر والشهادة؛ لأنَّه في الحقيقة وليد بيئة صنعتها له امرأة: سواء كانت أمًّا، أو أختًا، أو زوجة، عبر مساهمتها في التعبئة والدعم.

وحسن التبعّل هو إحدى الركائز لبناء الحياة الزوجيّة الناجحة واستمرارها، لذلك على الزوجة إتقان هذا العمل الصالح، وإعطاؤه الأولويَّة؛ لأنَّ آثاره المباركة تبدأ من المنزل، وتنعكس وتتجلّى في الخارج، ولا تُدرَك لحدودها نهاية.

يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله في هذا الصدد: «**جهاد المرأة حسن التبعّل**»[1]؛ أي إنّ ثواب ذلك الشابّ المجاهد الذي وضع دمه على كفّه وذهب إلى ميدان الحرب، يُعطى لهذه المرأة؛ لأنّ هذا العمل لا يقلّ تعبًا عن الجهاد. مؤكّد أنّ التبعّلَ أمرٌ صعبٌ جدًّا، مع توقّعاتهم، انتظاراتهم، مع سوء أخلاقهم، وصوتهم المرتفع (صفات بعض الرجال)، فأن تستطيع امرأة مع هذه الظروف أن تحافظ على محيط المنزل دافئًا، وفيه سكينة وهدوء، ذلك فنٌّ كبير. وهو حقًّا جهاد، وفرع من ذلك الجهاد الأكبر: جهاد النفس»[2].

مقوِّمات الحياة الزوجيَّة

الحياة الزوجيَّة الناجحة هي أساس بناء المجتمع، وبمقدار تماسكها والتزامها بالتعاليم المحمّديَّة، ستساهم في تكوين مجتمع صالح. وقد رسم الإسلام مقوِّمات لتكون الحياة الزوجيَّة: جمالاً، وأنساً، وتفاعلاً. لذا، ينبغي للزوجين التعرُّف إلى أهمّ تلك المقوِّمات الصحيحة.

وانطلاقًا ممّا ورد في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، فإنّ مقوّمات الحياة الزوجيَّة يمكن أن نلخّصها على الشكل الآتي[3]:

1. المودّة والمحبّة:

يقول تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[4]. أي ينبغي أن تسود أنسام

(1) الرضي، نهج البلاغة، ج4، ص34.

(2) خطاب الإمام الخامنئيّ دام ظله في لقاء المشاركين في الملتقى الثالث للأفكار الاستراتيجيّة في موضوع المرأة والأسرة، بمناسبة إقامة الملتقى الثالث للأفكار الاستراتيجيّة، في طهران، بحضور جمع من العلماء والمفكّرين والمسؤولين والنخب، بتاريخ 2012/01/14م.

(3) راجع: لجنة التأليف في مركز المعارف للتأليف والتحقيق، مكانة المرأة وحقوقها في الإسلام، الدرس 13.

(4) سورة الروم، الآية 21.

المودّة والمحبَّة والرحمة بين الزوجين، لأنَّ الحياةَ الخالية من الحبّ لا معنى لها. وإذا كانت المودّة أساس العلاقة الزوجيَّة ومادّتها، فالرحمة روحها وبلسمها. وقد عرَّف العلّامة الطباطبائيّ «المودَّة» في تفسير الميزان بـ «الحبّ الظاهر أثره في مقام العمل»[1]. والإسلام يُوجب أن نبرّز عواطفنا تجاه من نُحبّهم، وهو أمرٌ تتجلّى ضرورته في الحياة الزوجيَّة. فالمرأة كما يؤكِّد الحديث الشريف، لا تنسى كلمة الحبّ التي ينطقها زوجها أبدًا. فعن رسول الله ﷺ: «**قول الرجل لزوجته إنّي أحبّك، لا يذهب من قلبها أبدًا**»[2].

2. التعاون والتفاهم:

إنَّ أساس الحياة الزوجيَّة يقوم على المساعدة والتعاون والمشاركة المخلصة بين الزوجين، في جوٍّ من الدعم المتبادل، وبذل أقصى الجهود. وصحيح أنّ لكلٍّ من الزوجين وظيفته المحدَّدة، ولكنَّ التعاون والتفاهم يلغيان هذا التقسيم، ويجعلان كلًّا منهما نصيرًا للآخر وعونًا له، وهذا ما يُضفي على الحياة جمالًا وحلاوة. ومن الأمور الأساس التي لا بدَّ من تعاون كلا الزوجين وتفاهمهما عليها، هي «خدمة العيال»، ومنهم الأولاد، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال: «**عِيَالُ الرَّجُلِ أُسَرَاؤُهُ، وَأَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَحْسَنُهُمْ صُنْعاً إِلَى أُسَرَائِه**»[3].

فبعين الله يعملان معاً على خدمة أطفالهم وتنشئتهم روحًا، وفكرًا، وعاطفةً، وجسداً، في جميع شؤون معيشتهم وحياتهم، ويكونان كالشمس لأقمارها، نوراً واحداً ساطعاً، أي يتعاونان ويتفاهمان على كيفيّة وضع بذور المفاهيم والأخلاق الإسلاميَّة في قلوب أطفالهما بطريقة جليَّة واضحة وموحَّدة.

3. مراعاة إمكانيّات الزوج:

لكي يستمرّ إشراق المودّة والألفة بين الزوجين، لا بدّ من أن ترافقهما الرحمة، والمراعاة للشريك. ففي ذلك وعي وذكاء وفطنة. وقد تبرز تلك المراعاة عند وجود نقص أو خلل أو

(1) الطباطبائيّ، العلّامة السيّد محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقمّ المشرفة، إيران - قم، لا.ت، لا.ط، ج16، ص166.

(2) الشيخ الحرّ العامليّ، وسائل الشيعة، ج14، ص10.

(3) المجلسي، محمد تقي بن مقصود علي، روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه (ط قديمة)، مؤسسة كوشانبور للثقافة الإسلامية، إيران - قم، ط2، 1406 هـ.

ضعف أو فروق ما في أحد جوانب العلاقة الزوجيَّة الفكريّة، أو الثقافيّة، أو الروحيّة، أو الجسديّة، أو العاطفيّة، أو الاجتماعيّة، أو الماديّة،....

ومع مراعاة إمكانيّات الزوج، ستتوافر الحياة السليمة المتكاملة، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[1].

إنَّ الله لا يكلِّف نفسًا إلّا طاقتها وإمكاناتها؛ وهي سنّة الحياة التي لا تقبل الجدل، ومن يعاندها، فلا محالة سوف يقع في الأخطاء الكبيرة. فطاقات النساء وإمكانيّاتهنّ متفاوتة. فمن النساء من تكتفي بأن توفّر الوجود الأكمل لأسرتها في بيتها، ومنهنّ من تفوق ذلك، فإلى جانب جهادها في بيتها تخرج طالبةً للعلم والثقافة والتفقّه، أو تنطلق إلى ميدان العمل، أو تساهم في العمل الاجتماعيّ.

وبالنسبة إلى الزوج، عليه أن يراعي إمكانات زوجته النفسيَّة، والجسديَّة والعاطفيّة، ويلتفت إلى أنَّه «لا يجب على الزوجة القيام بخدمات البيت، من الطبخ، والكنس، وتمهيد الفراش، والخياطة، ورعاية الأطفال، وما إلى ذلك من أمور إدارة البيت. نعم، يُستحبّ لها ذلك، كما يُستحبّ للزوج مساعدتها في ذلك أيضًا»[2].

وبالنسبة إلى الزوجة الصالحة، عليها مراعاة إمكانيّات الزوج. منها على سبيل المثال: مراعاة مزاجه وطبعه الخاصّ؛ كعدم قدرته على الاستماع إليها، ولا سيما عندما يرجع من عمله متعبًا، أو عدم تعبيره عن حبّه لها بشكل مستمرّ. كذلك على سبيل المثال المراعاة الماليَّة للزوج في النفقة وغيرها. نعم، يجب على الزوج الإنفاق على زوجته - ما دامت مطيعة له ولم تنشز - بالمقدار اللائق بحالها وشأنها عرفًا، من المأكل والمشرب والملبس والمسكن وسائر الاحتياجات العرفيَّة الأخرى»[3].

ولكن على الزوجة أن لا تكلّف الزوج ما لا يطيقه من أمر النفقة، فتكون متطلّبة تبحث عن كلّ جديد في الأسواق، بل عليها أن تقنع بكفاف العيش. ونِعمَ الواعظ في ذلك

(1) سورة البقرة، الآية 286.
(2) الإمام الخامنئيّ، السيد عليّ، منتخب الأحكام، أحكام النكاح، مسألة 25 - 26.
(3) الإمام الخامنئيّ، منتخب الأحكام، أحكام النكاح، مسألة 25 - 26، نقلا عن استفتاء خطّيّ من الأرشيف.

ما ورد في سيرة السيّدة الزهراء عليها السلام، سيّدة نساء العالمين: قالت: «**يا أبا الحسن، إنّي لأستحي من إلهي أن أكلّفكَ ما لا تقدرُ عليه**»[1].

4. المعاشرة بالمعروف:

قال الله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[2].

المعروف: اسم مفعول من عرف، وهو كلّ فعل حسن يُعرف بالعقل، أو بالشرع، أو بالعرف أحياناً بين الناس.

وتتجلّى المعاشرة بالمعروف من خلال عدد ضخم من المفاهيم الأخلاقيّة والتربية السلوكيّة، منها:

العِشرة الحسنة: «**بحسن العشرة تدوم المودَّة**»[3]، فإن كانت الكلمة الطيّبة صدقة، فكيف بالعشرة بين الزوجين إن تحوّلت إلى طيب القول، ولين الحديث، وجميل الفعل، والاحترام المتبادل، فأضحى ذلك نمطًا وأسلوب حياة! على أن يكون الإحسان هو الهدف الحاكم على سير الحياة الزوجيّة بينهما. يقول تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾[4]. فالإنسان في أعماق فطرته يشعر بالامتنان والودّ لمن يُسدي إليه معروفًا وإحسانًا، مهما كانت درجة هذا المعروف والإحسان، وما ألطفَ الإحسان بين الزوجين حين يحبُّ أحدهما للآخر ما يحبّه لنفسه.

5. الإكرام والرحمة:

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**من اتّخذ زوجة فليكرمها**»[5]. فالزوج يكرم زوجته بأن يصونها ويحميها، ويكفيها مؤونة العيش. فإضافة إلى الرحمة، فهي ترتوي من كلمات الرأفة والعطف والحنان، ولمسات التقدير لما تضحّي به. وفي المقابل، على الزوجة أن تكرمه كذلك،

---

(1) العلّامة المجلسيّ، بحار الأنوار، ج 43، ص59.

(2) سورة النساء، الآية 19.

(3) الليثيّ الواسطيّ، الشيخ كافي الدين أبو الحسن عليّ بن محمّد، عيون الحكم والمواعظ، تحقيق الشيخ حسين الحسيني البيرجندي، دار الحديث، إيران - قم، 1418هـ، ط1، ص 187.

(4) سورة الرحمن، الآية 60.

(5) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج 2، ص 550.

بأن تطيعه وتحفظه في غيبته؛ فتكون عفيفة وشريفة مصداقًا لقوله تعالى: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾[1].

ولو حصل الكره بين الزوجين لسبب ما، ولكن بقي طائر المعروف باسطًا جناحيه، ففي ذلك الخير الكثير، من حيث الثواب الجزيل أو التوفيق في الذرّيَّة والنسل الصالح. يقول تعالى: ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[2].

6. الاهتمام بالمظهر:

إنَّ المعاشرة الزوجيَّة بالمعروف تقتضي اهتمام كلّ من الزوجين بهيئته، بل أن يتزيَّن كلٌّ منهما للآخر بلباس النظافة والترتيب والأناقة والتجدّد في المظهر اللائق. وقد زخر الإسلام بآداب وسلوكيَّات جمَّة عن النظافة والمظهر الجميل، «فيجب على الزوجة إزالة المنفِّرات المضادَّة للاستمتاع، فإذا تركت التنظيف والتزيين مع ميل الزوج لذلك، تكون قد عصت، وتُعتبر ناشزة ولا تستحقّ النفقة»[3]. فمن الضروريّ أن يراعي الزوجان زينتهما ومظهرهما، بالظهور أمام شريك حياته بالمظهر المحبّب. وهذه المسألة على الرغم من بساطتها، إلّا أنَّها حسّاسة جدًا في الحفاظ على العفّة، وصيانة الزواج من أخطار الانحراف والسقوط. ورد عن الإمام الباقر عليه السلام: «**لا ينبغي للمرأة أن تعطِّل نفسها؛ ولو أن تعلّق في عنقها قلادة**»[4].

7. المداراة وضبط النفس:

إنّ الحياة الزوجيَّة التي لا تشهد نزاعًا أو تصادمًا بين الطرفين أمرٌ خياليّ بعيد عن الحقيقة والواقع، ولكي لا يضيع الزوجان في متاهات الدروب المظلمة، عليهما أن يستخدما المداراة وضبط النفس بوصلة للاستمرار في درب الحياة الزوجيَّة السليمة. عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**أمرني ربّي بمداراة الناس، كما أمرني بأداء الفرائض**»[5].

---

(1) سورة النساء، الآية 34
(2) سورة النساء، الآية 19
(3) الإمام الخامنئيّ، السيّد علي، أحكام الزواج والطلاق، ص69، نقلًا عن استفتاء خطّيّ من الأرشيف.
(4) الشيخ الحرّ العامليّ، وسائل الشيعة، ج3، ص333.
(5) الشيخ الكلينيّ، الكافي، ج2،ص117.

ولعلّ الصمت من الطرف الآخر هو الخطوة الأولى لامتصاص أيّ خلاف بين الزوجين، ثمّ يأتي النقاش لاحقاً للوصول إلى الحلّ. ولا بدَّ من مدّ جسور التواصل والتفاهم والحوار عبر النقد السليم والبنَّاء بعيدًا عن أيّ تجريح.

والمرأة الصالحة هي الشخص الأكثر تأثيرًا في الآخر، فينبغي للمرأة أنْ تفهم ضرورات الرجل، ولا تفعل ما من شأنه أنْ يُبعِده ويحزنه منها، فيلتجئ إلى الأساليب الخاطئة وغير المشروعة. ويجب أنْ تُشجّعه على الصمود والمقاومة في ميادين الحياة، وإذا كان عمله يستلزم عدم تمكّنه من تلبية كلّ احتياجات العائلة، فلا تُعيد ذلك عليه دائمًا.

دور المرأة تجاه الزوج

يعتمد دور المرأة على أسس متينة عمادها التعاليم التي أرساها الإسلام، وطبّقها أهل بيت العصمة عليهم السلام. ويشتمل من ناحية على الواجبات الشرعيَّة تجاه الزوج، ومن ناحية أخرى على دور تطوّعيّ يشمل الجانب الأخلاقيّ من المستحبّات، الذي يساهم في توطيد العلاقة بين الزوجين، ويرسم مسيرة الصلاح والسلام والشوق للوصول نحو الكمال.

وإليكم غيض من فيض ذاك الدور:

1. **الدور الشرعيّ في إطاعتها لزوجها:**

في غير معصية، يجب إطاعة الزوجة لزوجها في حقوقه الشرعيّة، وذلك في أمرين[1]:

أ. أن تؤدّي له حقّ الاستمتاع، فتجيبه إلى رغبته مع عدم وجود المانع القهريّ كالمرض، أو الشرعيّ كالحيض.

ب. أن لا تخرج من بيتهِ إلّا بإذنه. يجبُ على الزوجة استئذان زوجها للخروج من بيتها، فلا يجوز لها ذلك دون إذنه أو رضاه، إلّا لضرورة أو واجب مضيق[2].

(1) راجع: الشيخ نعيم قاسم، شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين - حقوق الزوج والزوجة -، دار الهادي للطباعة والنشر، لبنان - بيروت، 2003م، ط1، ص49.

(2) الإمام الخامنئيّ، السيّد عليّ ، أحكام الزواج والطلاق، مسألة 25-29، نقلًا عن استفتاء خطّيّ من الأرشيف.

2. **الدور الأخلاقيّ، ويشمل:**

أ. **النفاذ إلى قلب زوجها:** من خلال الحبّ، والمودّة، والرحمة، والكلمة الطيّبة، وتفقّدها لزوجها في حضوره وغيبته، واستقباله، وتوديعه، ورعايته حال مرضه وتعبه.

ولعلَّ وجه الإنسان هو الأقدر بين أعضاء الجسد على التعبير الموصِل للهدف. فبشاشة الوجه، والنظرة المليئة بالحبّ والعاطفة، كفيلتان بجلب حبِّ الآخر ومودَّته. من هنا، ورد عن الإمام عليّ عليه السلام قوله: «**البشاشة حِبالة المودَّة...**»[1].

وقد أخبر الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنَّ تقرَّب الزوجين أحدهما من الآخر بلغة الجسد، هو محلٌّ ومهبطٌ لرحمة الله تعالى. فعنه عليه السلام: «**إذا نظر العبد إلى وجه زوجه، ونظرت إليه، نظر الله إليهما نظرة رحمة، فإذا أخذ بكفِّها وأخذت بكفِّه، تساقطت ذنوبهما من خلال أصابعهما**»[2].

ب. **العفّة:** أن تكون عفيفة في نفسها، فتحافظ على شرفها، وعلى مال زوجها، وتحفظ مكانة زوجها وشأنه الاجتماعيّ، وتصون وتحافظ على أسرار عائلتها، سواء في حضور الزوج أو عند غيابه. و«**أصل العفاف القناعة، وثمرتها قلّة الأحزان**»[3]. فالعفّة من الزوجة رباط مقدّس بينها وبين زوجها.

ج. **البعد عن رتابة الحياة:** على الزوجة أن لا تقع في فخّ الملل والروتين اليوميّ للحياة، والحرص على التجدّد والتطوير الدائمين، والظهور بصور ومواقف جديدة. وهذا ما يوصي به ديننا الحنيف؛ كالتجدّد والتجمّل في المظهر، على نحو تتهيّأ بالشكل الجذّاب، والرائحة الطيّبة، على سبيل المثال لا الحصر. فقد ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «**وإظهار العشق له بالخلابة، والهيئة الحسنة لها في عينه**»[4].

د. **الصبر على أذى الزوج:** فلا تُقابل الأذى بالأذى، والإساءة بالإساءة، فلا تشتكِ سوء زوجها، وتسأل نفسها أوّلًا: هل أحسنت معاملته؟ هل ألنت له القول؟ بل تعينه على

(1) العلّامة المجلسيّ، بحار الأنوار، ج71، ص 167.
(2) زيد بن عليّ، مسند زيد بن عليّ، منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان - بيروت، لا.ت، لا.ط، ص 302.
(3) العلّامة المجلسيّ، بحار الأنوار، ج 78، ص7.
(4) المصدر نفسه، ج 75، ص237.

حياته وترضيه. الحياة الزوجيّة يتخللها حتماً بعض الصعوبات النفسيَّة أو الاجتماعيَّة أو الاقتصاديَّة... وعلى الزوجة أن تأخذ منظار الواقعيَّة، وتتحلّى بالصبر والذكاء، لتزيل مختلف العقبات. فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**خير نسائكم التي إن غضبت قالت لزوجها: يدي في يدك، لا أكتحل بغمض حتى ترضى عنّي**»[1].

هـ. **المحافظة على أمور النظافة والطهارة:** في المأكل، والمشرب، والملبس والمسكن، لما لها من آثار روحيَّة ومعنويَّة ومادّيَّة في الحياة الأسريَّة. فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**تنظّفوا بكلّ ما استطعتم؛ فإنَّ الله تعالى بنى الإسلام على النظافة، ولن يدخل الجنَّة إلّا كلّ نظيف**»[2].

و. **حَثُّ الأبناء على بِرّ والدهم:** ورعايته وإطلاعه على تفاصيل أحوالهم وأخبارهم؛ بنحو يجري التنسيق والتشاور وتبادل الآراء. فتوطيد العلاقة بين الأب والأبناء يزيد من تماسك الأسرة، ويعكس أشعّة الحبّ المتبادلة بين الزوجين.

لمن القوامِيَّة في الحياة الزوجيَّة؟

يقول تعالى في كتابه المجيد: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ﴾[3].

القوامة من قام على الشيء، يقوم قيامًا: أي حافظ عليه وراعى مصالحه. ومن ذلك القيِّم، وهو الذي يقوم على شأن شيء ويليه ويصلحه. والقيّم هو السيِّد، وسائس الأمر، وقيّم القوم هو الذي يقوّمهم ويسوس أمورهم، وقيّم المرأة هو زوجها أو وليّها؛ لأنّه يقوم بأمرها وما تحتاج إليه[4].

لقد قسَّم الله تعالى الأدوار بين الزوجين بعدله وحكمته، لما في ذلك من مصلحة وخير ومنفعة. فمنح الرجل حقّ القوامَيَّة، أي الرجال قيِّمون على النِّساء في السياسة والتدبير قيام الولاة على

(1) الشيخ الطبرسيّ، مكارم الأخلاق، منشورات الشريف الرضيّ، لا.م، 1392هـ - 1972م، ط6، ص 200.
(2) السيوطيّ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان - بيروت، 1401هـ - 1981م، ط1، ج1، ص517.
(3) سورة النساء، الآية 34.
(4) ابن منظور، لسان العرب، ج 12، ص 502-503.

الرعيَّة. ولتوضيح هذه العبارة، لا بدَّ من الالتفات إلى أنّ العائلة وحدة اجتماعيّة صغيرة، وهي كالسفينة التي لا بدَّ لها من قبطان يقودها بحذر، وترتكز قواميّة الرجل على أمرين:

أوّلاً: ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ﴾ ولم يقل القرآن الكريم: «بما فضّل الرجال على النساء»، أو «بما فضّل بعضهم على بعضهن». فالمقصود أنَّ الرجال متفوّقون على النساء في بعض الأمور، والنساء متفوّقات على الرجال في أمور أخرى؛ أي إنّ هناك ميزة عمليّة يمتاز بها الرجل، تجعله مؤهّلًا لموضوع القواميّة، تتعلّق بالصفات الموجودة عادة عند الرجل؛ كقوّة الجسد وحسن التدبير، والأخرى الموجودة عند المرأة، كقوّة العاطفة والصبر. لقد خصَّ سبحانه وتعالى كلًّا منهما بدور معيّن، فأودع في المرأة الأمومة، والحنان، والعاطفة، والحبّ، والاهتمام بتربية الأبناء. وخصّ الرجل بالدور الخارجيّ والاجتماعيّ، بأن يعمل ويكدح ويتعب من أجل صيانة أسرته وحمايتها، والإنفاق عليها، بما يليق بشأنها وكرامتها وحالها، من المسكن والملبس، والأطعمة والأشربة، والعيش معه بسلام وأمن. وهذان الدوران يتكاملان من أجل الوصول إلى الهدف، بإيجاد خليفة الله على الأرض، ذاك النسل الصالح. يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «الإسلام يعتبر الرجل قوّاماً والمرأة ريحانة، وليس هذا تجرّؤًا على الرجل ولا على المرأة، ولا تضييعًا لحقّ المرأة، ولا تضييعًا لحقّ الرجل، بل الرؤية الصحيحة لطبيعة كلٍّ منهما. إنّ ميزانهما متساوٍ، أي عندما نضع الجنس اللطيف الجميل ومانح السكينة والجمال المعنويّ لمحيط الحياة في كفّة، ونضع صاحب الإدارة والعمل والمعتمد والمتحرّك وملاذ المرأة في الكفّة الأخرى للميزان، تتساوى هاتان الكفّتان، ليس ذاك راجحًا على هذا، ولا هذا راجح على ذاك»[1].

والإسلام قد منح الرجل حقّ الحاكميَّة لا حقّ التَّحكم، أي حقّ الحكومة والرئاسة العادلة، لا حقّ التّعسّف والتسلّط[2].

(1) الإمام الخامنئي، خطبة العقد المؤرّخة بتاريخ: 22 - 12 - 1378 هـ.ش.

(2) راجع: العلائي الرحماني، فاطمة (عميدة كليَّة الإلهيّات في جامعة الزهراء بطهران)، أضواء على خطبة «ذمّ النساء» في نهج البلاغة، تعريب عبد الرحمن العلوي، دار الهادي، لبنان - بيروت، 2004م، ط1، ص 39.

ثانياً: ﴿وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْۚ﴾ من المهر والنفقة؛ فنفقة البيت واجبة على الرجل لا على المرأة. ومن الطبيعيّ أنّ الذي يتحمّل وجوب الإنفاق على أيّ مشروع، يكون الأحقّ بالإشراف عليه. ولكن ماذا لو كانت المرأة تعمل كالرجل، هل تنتفي القواميّة؟

أجاب الإمام الخامنئيّ دام ظله عن هذا الإشكال قائلًا: «لن نجني سوى الخطأ وإتلاف البستان الذي بُني على الجمال والإحسان. لن نحصد شيئًا غير ذلك، لأنّه ستنقطع المنافع المطلوبة منهما، وتنتشر اللامبالاة في محيط الأسرة، ويُفقد تودُّد كلٍّ من الرجل والمرأة إلى الآخر، وتضيع كلُّ تلك المحبّة والعشق الذي هو أساس كلِّ شيء. إن حدث أحيانًا أنْ أخذ الرجل دور المرأة في البيت، وأصبحت المرأة هي الحاكم المطلق، تتأمّر على الرجل: افعلْ هذا، ولا تفعلْ ذلك، والرجل يُسلِّم لها خانعًا، فإنَّ رجلاً كهذا لا يصلحُ ملاذًا للمرأة، فهي بحاجة إلى ملاذٍ قويّ»[1].

وبناءً عليه، فإنَّ القوامة ليست سلطة أو تسلّطاً من الرجل على المرأة، بل رعاية لها وإنفاق عليها. والدرجة الّتي للرجال على النساء هي درجة تكليف لا درجة تشريف. إنّ قوامة الرجل على المرأة تقتصر على الحياة الأسريَّة، وأمّا في الحياة العامَّة، فلا فرق بين الرجل والمرأة، في جميع أدوار الحياة العامّة وشؤونها، من الحياة السياسيّة والاقتصاديّة والتعليميّة.

(1) الإمام الخامنئي، خطبة العقد المؤرّخة بتاريخ: 22-12-1378 هـ.ش.

المفاهيم الرئيسة

1. حسن التبعّل: «هو طاعة المرأة لزوجها، وحسن العشرة معه». فالمهمّة والدور الأساس للزوجة، توفير السكن النفسيّ والجسديّ لزوجها.
2. رسم الإسلام مقوِّمات لتكون الحياة الزوجيَّة جمالاً وأنساً وتفاعلاً. ومن هذه المقوّمات: المودّة والمحبّة، ومراعاة إمكانيّات الشريك، والمداراة، وضبط النفس، والتعاون والتفاهم، والمعاشرة بالمعروف.
3. للمرأة دوران تجاه زوجها: أحدهما يتمثّل بالطاعة له، والثاني النفاذ إلى قلب زوجها، والبعد عن رتابة الحياة.
4. وأن تكون المرأة عفيفة، وأن تحَثُّ أبناءها وبناتها على بِرّ والدهم، ورعايته وإطلاعه على تفاصيل أحوالهم وأخبارهم، والصبر على أذى الزوج.
5. قسَّم الله تعالى الأدوار بين الزوجين بعدله وحكمته، لما في ذلك من مصلحة وخير ومنفعة. فمنح الرجل حقّ القواميَّة، وترتكز قواميّة الرجل على ركيزتين:

﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ﴾.

﴿وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ﴾.

5. منح الإسلام الرجل حقّ الحاكميَّة، لا التحكّم؛ أي حقّ الحكومة والرئاسة العادلة، لا حقّ التعسّف.

الدرس الخامس

المرأة وتربية الأبناء (1)

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يتعرّف إلى عظمة مقام الأمّ في الإسلام.

2 . يشرح أهمّيّة تربية الأبناء وأهدافها.

3 . يبيّن الطرائق التربويّة الإسلاميّة.

مقام الأمّ

كثيرة هي المعاني التي يتضمّنها لفظ الأمّ عند البشر، فما إن تُذكر قضيّة الأمومة حتى تتداعى إلى الأذهان معاني التضحية والحبّ والعطاء والإيثار، وغيرها من المعاني السامية. لمَ ذلك؟ بكل بساطة، لأنّها نتيجة تجربة خاضتها البشريّة مع الأمومة عبر العصور، اختبرت معها معنى الأمومة وتجلّياتها الثابتة نسبيًّا، وإن تغيّر الزمن. فارتفع مقام الأمّ إلى حدّ لا يعلوه مقامٌ اعتباريّ. وقد حفظت الأديان حقّ الأمّ ورفعت من مقامها، إلّا أنّه لم يرتقِ أيٌّ من التشريعات الإنسانيّة والدينيّة على السواء، إلى مستوى تقدير الأمّ في الإسلام ورفعة مقامها فيه، إذ ورد في الحديث عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**الجنّة تحت أقدام الأمّهات**»[1]. فجعل أقدام الأمّهات أبواب العبور نحو الجنّة، وسبيل النجاة، مختصرًا بذلك كلّ التعاليم والإرشادات والتشريعات التي تبرز رفعة مقامها. ويكفينا في هذا الصدد ذكر ما جاء على لسان سيّد الساجدين عليه السلام في حديثه عمّا تعانيه الأمّهات في سبيل أولادهنّ، مدغدغًا المشاعر الإنسانيّة ليحثّ الإنسان على تعظيمها وشكرها، وهو لن يستطيع إلى ذلك سبيلًا إلّا بإذن الله، فيقول في رسالة الحقوق:

«**حملتك حيث لا يحتمل أحد أحدًا، وأطعمتك من ثمرة قلبها ما لا يطعم أحد أحداً، ووقتك بسمعها وبصرها.. وجميع جوارحها.. فرضيت أن تشبع وتجوع هي، وتكسوك وتعرى، وترويك وتظلّك وتضحى.. تباشر حرّ الدنيا وبردها لك ودونك. فتشكرها على قدر ذلك، ولا تقدر عليه إلا بعون الله وتوفيقه**»[2].

---

(1) الشيخ الطبرسيّ، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق وتعليق لجنة من العلماء والمحقّقين الأخصائيّين، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان - بيروت، 1415هـ - 1995م، ط1،ج8، ص11.

(2) القبانچي، حسن السيّد علي، شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام، مؤسّسة إسماعيليان للطباعة والنشر، لا.م، 1406هـ، ط2، ج1، ص 545.

الوظيفة التربويّة للأمّ

لكلّ من الأبوين في الأسرة موقعه ودوره، وهما معًا يؤمّنان طريق استقامة أسرتهما على مختلف الصعد، لا سيّما في قضيّة تربية الأولاد، إذ تحتاج العمليّة التربويّة إلى كلّ تنسيق وتوافق ليكون ناتجها أولادًا متّزنين. إلّا أنّه على الرغم من دور الأب المهمّ في التربية، والذي لا غنى عنه في كثير من الأحيان، يبقى الدور الأبرز والأهمّ من نصيب الأمّ، وخصوصًا في السنوات الأولى من حياة طفلها. يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «عندما تقوم الأسرة، فإنّ الزوجة والأمّ هي العضو الأساس فيها. إنّ للمرأة في هذه المجموعة مكانًا أساسيًّا وساميًا، لذلك عندما يتزلزل أصل الأسرة هذا، أي المرأة، فلن يبقى أيّ شيء مكانه فيها»[1]. فهي العضو الأساس الذي لا غنى عنه مهما كانت الظروف، استقامتها هي استقامة للأسرة، وتزلزلها يهدّد كيان أسرتها ككلّ، وهو أمرٌ يضعها أمام مسؤوليّة عظيمة لا مجال للتفريط بها. كما أنّ طبيعة الحياة وقضاء الطفل الوقت الأكبر مع أمّه في مراحله العمريّة الأولى، وحاجة الطفل إلى العاطفة في تلك المرحلة، التي تفوق أيّ حاجة تربويّة أخرى، يجعل الأمّ الشخص الأنسب والأكفأ للتصدّي لهذه المهمّة العظيمة، بالحدّ الأدنى في أولى سنوات حياته. يقول الإمام الخمينيّ قدس سره في هذا الصدد: «والطفل يتعلّم في حجر الأمّ ومنها أكثر ممّا يتعلّم من المعلّم ومن الرفاق الذين يجدهم فيما بعد، وأكثر ممّا يناله في المجتمع. ففي حضن الأمّ يقبل أكثر الأشياء، لأنّ محبَّتَه لأمّه لا تعدلها محبَّة، وقول الأمّ أوْقع في قلبه وأبلغ في عقله»[2]. ولنحدّد أهداف التربية، لا بدّ من التوقّف عند تعريف التربية وماهيّتها.

(1) لجنة التأليف في مركز المعارف للتأليف والتحقيق، دور المرأة في الأسرة، دار المعارف الإسلاميّة الثقافيّة، لبنان - بيروت، 2008م- 1429هـ، ط2، ص 11.

(2) الإمام الخمينيّ، صحيفة الإمام، ج 8، ص 280.

ما هي التربية؟[1]

جاءت كلمة «التربية» في اللغة بمعنى التنمية والتنشئة[2]. ومع أنّ معنى التربية لم يرد في الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة باللفظ نفسه، لكنّه ورد بلفظ التزكية والتأديب. فكلمتا التزكية والتربية تحملان المعنى ذاته من جهة، وإن اختلفا من جهات أخرى. فالتزكية تعني التربية، أي التنشئة والتنمية. والتزكية من جذر الزكاة؛ وهي كما جاءت في مفردات القرآن: «أصل الزَّكَاةِ: النّموّ الحاصل عن برَكة اللّه تعالى، ويعتبر ذلك في الأمور الدنيويّة والأخرويّة»[3]، وهي من أهمّ أهداف البعثة النبويّة الشريفة، كما أخبر بذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[4]. وقرن الفلاح بالتزكية فقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾[5]. وعليه، ليست التربية كيفما كانت مطلوبة، ولا أيّ تنشئة مقبولة، بل المطلوب هو التربية تحت ظلّ عناية الله ورعايته، التربية من منظار إلهيّ، التي تكون بأهدافها ووسائلها إلهيّة، وهي ما يمثّل التزكية، وإن كان التعبير الحديث والمتداول هو لفظ التربية. فالتربية على تمجيد الأنا، حسب المذهب الرأسماليّ، هو نوع من أنواع التربية، لكنّها ليست تلك التي نريدها، بل نريد التربية التي يكون الوصول إلى الله الهدف النهائيّ لها. ومع إضافة العامل الغائيّ لهذه العمليّة، نقول: إنّ التربية عبارةٌ عن تهيئة العوامل لأجل تفتُّح استعدادات الإنسان، وإخراجها من القوّة إلى الفعل في الاتّجاه المنشود، على نحو يكون الاتجاه المنشود هو الوصول إلى الله، الذي يؤمّن السعادة في الدنيا والآخرة.

---

(1) راجع: لجنة التأليف في مركز المعارف للتأليف والتحقيق، التربية الأسريّة، دار المعارف الإسلاميّة الثقافيّة، لبنان - بيروت، 2013م، ط1، ص 32 - 33.

(2) الجوهريّ، الصحاح في اللغة، ج6، ص 234.

(3) الراغب الأصفهانيّ، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان داوودي، طليعة النور، لا.م، 1427هـ، ط2، كلمة زكى، ص380.

(4) سورة آل عمران، الآية 164.

(5) سورة الأعلى، الآيتان 14-15.

أهداف التربية[1]

يمكننا الحديث عن ثلاثة أهداف أساسيّة للتربية، تتلخّص بما يلي:

1. **اكتشاف القابليّات:** يعدّ اكتشاف المتربّي أو المربّي للقابليّات المودعة فيه، ركنًا أساسيًّا لتطوّر العمليّة التربويّة وتكاملها. فعليه بدايةً اكتشاف الاستعدادات الموجودة ليعمل على تطويرها، فلا يمكن للرسّام أن يصبح رسّامًا مثلًا، ما لم يكتشف قدرته على الرسم. يقول الإمام الخمينيّ قدس سره: «لا يوجد في العالم كلّه موجود يضاهي الإنسان، الذي يملك إدراكات وطاقات ومؤهّلات تربويّة غير متناهية»[2].
2. **تفعيل القابليّات:** بأن تخرج من القوّة إلى الفعل. وبتعبير آخر، تحويل تلك القابليّات إلى وقائع خارجيّة والاستفادة منها عمليًّا. يقول الإمام الخمينيّ قدس سره: «إنّ أساس العالم قائم على تربية الإنسان الذي يُعتبر خلاصة لجميع الموجودات الأخرى ولجميع العوالم، وإنّما بعث الأنبياء لتحويل هذه القدرات الكامنة من القوّة إلى الفعل»[3]. فلو اكتشف أحدهم قدرته على الرسم مثلًا، ولم يفعّل ذلك بالرسم فعلاً، فلن يصبح رسّامًا، ويمكن أن تخمد تلك القابليّة وتُفقَد مع الزمن.
3. **جعل المتربّي إلهيًّا (العبوديّة الحقّة):** يعبّر الإمام الخميني عن ذلك بقوله: «لو استطعتم أن تربّوا هؤلاء الأطفال على نحو يكونون من البداية يريدون الله، وكلّ اهتمامهم نحو الله، ولو تمكّنتم من تلقين عبوديّة الله والصلة مع الله لهؤلاء الأطفال، والأطفال يقبلون بسرعة، إذا ألقيتم إليهم التربية الإلهيّة وعبوديّة الله الذي كلّ شيء له، وقبلوا ذلك، فإنّكم تكونون قدّمتم إلى المجتمع خدمة، وبعد ذلك سيكون لتعبكم قيمة»[4]. والحقيقة أنّ هذا هو الهدف الحقيقيّ من التربية، وهو الهدف الذي بُعث الأنبياء لأجل تحقيقه من خلال تربية البشر وتزكيتهم. لذا، يتحتّم على كلّ من يتصدّى

(1) راجع: القائمي، الدكتور علي، الأسرة والمشاكل الأخلاقيّة للأطفال، ترجمة عبد الكاظم الكاظمي، دار النبلاء، لبنان - بيروت، 2004م - 1425هـ، ط3، ص9. راجع: التربية الأسريّة، ص 34-36 و52 و55 و70.

(2) الإمام الخمينيّ، صحيفة النور، ج6، ص237.

(3) المصدر نفسه،ج 14، ص 103.

(4) المصدر نفسه، ج14، ص36.

لتربية الأفراد، ومنهم الأمّ، أن يضع هدف العبوديّة نصب عينيه، وسوق الأخرى لخدمته، وهو ما يؤمّن السعادة الحقيقيّة في الدنيا والآخرة.

متى تبدأ التربية في الرؤية الإسلاميّة؟

تختلف الآراء وتتعدّد النظريّات في الوقت الصحيح لبدء العمليّة التربويّة، إلّا أنّ ما يعنينا ها هنا، هو وجهة نظر الإسلام حول الموضوع. فنسأل: متى تبدأ هذه العمليّة؟ في سنّ السابعة؟ قبل؟ بعد؟ وقت الحمل؟

يزخر تراثنا المرويّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأئمّتنا عليهم السلام بالأحاديث والإرشادات عن التربية. فقد جاء في الخبر المرويّ عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «**تخيّروا لنطفكم، فإنّ العرق دسّاس**»[1]، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «**حقّ الولد على والده إذا كان ذكرًا، أن يستفره أمّه، ويستحسن اسمه، ويعلّمه كتاب الله.. وإن كانت أنثى، أن يستفره أمّها، ويستحسن اسمها..**»[2]، (يستفره بمعنى يختار الجيد). وعليه، فواجب الوالدين تجاه أولادهم يبدأ من حين اختيار بعضهم لبعض، لاختيار الأصلح لتولّي عمليّة التربية. ولا تقف الإرشادات التربويّة عند هذا الحدّ، بل تتحدّث عن آداب خاصّة يجب مراعاتها وقت انعقاد النطفة، وأخرى حين الحمل، حيث تكثر المستحبّات في هذا المجال، وتستمرّ إلى وقت الولادة والإرضاع، لتصل إلى وضع الخطوط العامّة والأساسيّة للعمليّة التربويّة بجلّها. ففي الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «**دع ابنك يلعب سبع سنين، ويؤدّب سبع سنين، وألزمه نفسك سبع سنين**»[3].

(1) ابن إدريس الحليّ، الشيخ الفقيه أبو جعفر محمد بن منصور بن أحمد، السرائر (موسوعة ابن إدريس الحليّ)، تحقيق وتقديم السيّد محمّد مهدي الموسويّ الخرسان، العتبة العلويّة المقدّسة، لا.م، 1429هـ - 2008م، ط1، ج2، ص559.

(2) الشيخ نعيم قاسم، شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام، ص598.

(3) الشيخ الكلينيّ، الكافي، ج6، ص46.

طرائق التربية[1]

هناك طرائق عديدة في التربية تختلف بحسب قابليّات الولد وعمره، وتختلف من موضوع لآخر، ويمكن الإشارة هنا إلى ثلاث طرائق أساسيّة:

1. التوجيه غير المباشر:

ربّما يكون أوّل طريقة تُتّبع مع الطفل، لأنّه غير قادر على تلقّي رسائل الإرشاد والالتزام بها. وبالتالي، على الأمّ أن تدفعه نحو الصلاح، وتبعده عن الفساد من خلال وضع بدائل صالحة تشغله، وتشجّعه على التزام تلك الأمور الحسنة، وتصنع حاجزًا نفسيًّا بينه وبين الفساد، وتصنع له قدوة يقتدي بها في هذا الإطار. ومن الضروريّ أن تعرف الأمّ أنّها قدوة ولدها الأولى، لذا، عليها أن ترشده قبل كلّ شيء من خلال أعمالها. وهذا الأسلوب هو الأسلوب الأساس الذي يجب أن تتّبعه الأمّ، وهو مطلوب على الدوام، ومفيد في جميع الأعمار، وإن كان هو الطريق الوحيد خلال السنين الأولى من عمر الإنسان. ففي الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «**دع ابنك يلعب سبع سنين، ويؤدّب سبع سنين، وألزمه نفسك سبع سنين**»[2]. فتركه في حالة اللعب في السنين السبع الأولى، لا يعني إهماله مطلقًا، بل هو يتناسب مع التوجيه غير المباشر، ولو من خلال اللعب. كما رُوي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**كونوا دعاة الناس بأعمالكم، ولا تكونوا دعاة بألسنتكم**»[3].

2. التوجيه المباشر:

هو في الحقيقة دخول في مرحلة التمييز العلميّ، حيث يتعلّم الإنسان - بحسب عمره وقابليّته - التمييز بين الخير والشرّ، وبين الصلاح والفساد. وهذا الأمر في مرحلة معيّنة لا بدّ منه أيضًا، حتّى لا يعتاد المتربّي أسلوب اتّباع التوجيه العمليّ فقط، من دون معايير علميّة؛ لأنّه من دون هذه المعايير قد يسقط بسرعة أمام أيّ امتحان أو أجواء جديدة

(1) راجع: لجنة التأليف في مركز المعارف للتأليف والتحقيق، مكانة المرأة ودورها، دار المعارف الإسلاميّة الثقافيّة، لبنان - بيروت، 2010م، ط2، ص 75 و76.

(2) الشيخ الكلينيّ، الكافي، ج6، ص46.

(3) العلّامة المجلسيّ، بحار الأنوار، ج5، ص198.

تطرأ عليه. وينقل القرآن الكريم بعض وصايا لقمان لابنه وهو يعظه، فيقول له: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ١٨ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾[1].

3. التوجيه إلى الأسباب والنتائج:

ينبغي تعريف الطفل إلى آثار الأعمال وأسباب حسنها أو قبحها، ويجب ربطه بالآخرة وملاحظة آثار الأعمال وظهورها فيها بأوثق شكل ممكن. فعندما يصبح الطفل قادرًا على ربط الأمور بعضها ببعض، وتمييز أسبابها ونتائجها، يمسي جاهزًا لتقبّل هذا النوع من التربية، ويبتعد عن التقليد دون وعي. مثلًا في موضوع النظافة والترتيب، بداية يحذو حذو أمّه، فيتّبع خطواتها بدقّة، إلّا أنّه بعد فترة يجب أن تتغيّر الحال، فلا يبقى التقليد سيّد الموقف، بل ينبغي أن يدرك أنّ حفاظه على نظافته الجسديّة مثلًا يبعده عن الأمراض، وأنّ ذلك من مظاهر الإيمان، والله يحبّ النظافة.

(1) سورة لقمان، الآيات 17-19.

المفاهيم الرئيسة

1. جعل الدين الحنيف الأمّهات أبواب العبور نحو الجنّة، وسبيل النجاة، مبرزًا بذلك رفعة مقامها وعظمته.
2. يعتبر السيّد القائد أنّ الأمّ هي العنصر الأساس في الأسرة. وعليه، فهي تؤدّي الدور الأبرز والأهمّ في العمليّة التربويّة، في السنوات الأولى على أقلّ تقدير.
3. التربية عبارةٌ عن تهيئة «الأرضيّة» والعوامل، لأجل تفتُّح استعدادات الإنسان وإخراجها من القوّة إلى الفعل في الاتّجاه المنشود.
4. إنّ اكتشاف القابليّات وتفعيلها، وإيصال الفرد إلى العبوديّة الحقّة، هما من الأساسيّة للتربية.
5. يرى الإسلام أنّ التربية تبدأ من حين اختيار الأزواج بعضهم لبعض، فقد وردت الكثير من الروايات التي تحثّ على انتقاء الزوج لزوجه بمعايير معيّنة، لأجل الأولاد.
6. هناك ثلاث طرائق أساسيّة في التربية، هي: التوجيه غير المباشر، وخصوصًا في السنوات الأولى. التوجيه المباشر، عندما يصبح الطفل قابلًا لتلقّي الإرشادات. والتوجيه إلى الأسباب والنتائج.

الدرس السادس

المرأة وتربية الأبناء(2)

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يذكر بعض التقنيات التربوية وفق المنهج الاسلامي.
2. يتعلّم كيفيّة زرع القيم في نفوس الأبناء.
3. يميّز بين تربية البنات وتربية البنين.

التقنيّات التربويّة[1]

تحدّثنا في الدرس السابق عن أساليب ثلاثة عامّة، على الأمّ أن تتقنها حتّى تؤدّيها بشكلها الصحيح، لتخرج إلى المجتمع ولدًا صالحًا، وإن كانت تختزن في داخلها العديد من الأساليب أو التقنيّات والإرشادات، منها:

- اللعب مع الأطفال، فعن جابر الأنصاريّ أنّه قال: «دخلت على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، والحسن والحسين عليهما السلام على ظهره، وهو يجثو لهما ويقول: نعم الجمل جملكما، ونعم العدلان أنتما»[2]. فباعتماد أسلوب اللعب تستطيع الأمّ أن تعلّم ابنها الكثير من القيم والمعارف؛ كاحترام قواعد اللعب مثلاً، ما يؤسّس لاحترامه للأنظمة وعدم مخالفتها فيما بعد.
- ومنها مزج التعليم والإرشاد بالحبّ والعاطفة، خصوصًا من قبل الأمّ. يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «إنّ إحدى المهمّات الكبرى للمرأة، أن تحنو على ابنها بالعاطفة والتربية الصحيحة، وتعيره انتباهها ورعايتها الدقيقة، لتجعل من ذلك الموجود الإنسانيّ، فتاة كانت أو صبيًا، تجعله عندما يكبر إنسانًا سالمًا روحيًّا، يخلو من العقد والابتلاءات، لا يشعر بالمذلّة، ولا يعاني البؤس والقهر، كالذي تعانيه الأجيال الشابّة الغربيّة في أوروبا وأميركا»[3]. فيمكن للأمّ أن تعبّر لولدها عن حبّها له بشكل مستمرّ، فتستعمل عبارات جميلة نابعة من القلب في أغلب حديثها، وتكثر من

(1) راجع: لجنة التأليف في مركز المعارف للتأليف والتحقيق، مكانة المرأة ودورها، ص 76 و77.
(2) العلّامة المجلسيّ، بحار الأنوار، ج43، ص 285.
(3) الإمام الخامنئيّ، دور المرأة في الأسرة، ص 27 و28.

تقبيلها له واحتضانها إيّاه، حتى من دون سبب. كما أنّه من اللطيف أن تستعلم عن حاله دومًا، مبرزة اهتمامها بأدقّ التفاصيل التي يرويها لها، وتشجّعه للتعبير عن مشاعره تجاه ما يحدث حوله.

- ومنها الوعظ والإرشاد، وقد رُوي أنّ الإمام عليّاً عليه السلام أوصى ابنه الإمام الحسن المجتبى عليه السلام فقال له: «**وأحْيِ قلبك بالموعظة**»[1]. فمن المفيد أن تتحيّن الأمّ فرصًا لتلقي بعض المواعظ على أسماع ولدها، شرط أن يكون مستعدًّا لتلقّيها، كوقت هطل المطر، أو حين مراقبة تفتّح الزهور، أو مراقبة غروب الشمس.
- ومنها تعليم المعارف والآداب الدينيّة، فعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**بادروا أحداثكم بالحديث قبل أن تسبقكم إليه المرجئة**»[2]. وفي هذا المقام أيضاً، من المفيد أن تخصّص العائلة وقتًا للاجتماع، فيتحدّث كلّ فرد منها عن أمر معيّن، يشغله ويهمّه ويحبّ مشاركته، فيكون ذلك بابًا لطرح المعارف الدينيّة بطريقة مشوّقة على الأولاد.

هذه الأساليب وغيرها من التقنيّات، تساهم في تحقيق الهدف، ويبقى للأم مروحة عديدة من الخيارات في هذا المجال، لتنتقي ما يتناسب مع قابليّات ولدها.

بين تربية البنات وتربية البنين[3]

من خصائص النظام التربويّ في الإسلام، أنّه يتوجّه إلى الجنسين معًا: الذكر والأنثى. وهما من جهة أصل خِلْقَة الإنسان على حدّ سواء، مفطوران على التوحيد، وتفاوتهما من ناحية التكاليف والمسؤوليّات، وبالتالي سيتفاوت برنامج تربيتهما. وهذا الاختلاف يعود منشؤه إلى ثلاثة أنواع من الاختلافات: الاختلاف الجسمانيّ، والاختلاف في العاطفة والإحساس، والاختلاف في التكاليف ومسؤوليّات الحياة.

(1) الرضي، نهج البلاغة، الخطبة 31.
(2) الشيخ الحرّ العامليّ، وسائل الشيعة، ج1، ص247.
(3) راجع: لجنة التأليف في مركز المعارف للتأليف والتحقيق، التربية الأسريّة، ص 60-63.

1. التربية القيميّة:

الصدق، التضحية، الوفاء، الإيثار، النظافة، وحبّ الآخر؛ هي قيم ينبغي تنشئة الأطفال عليها. فالقيم الحسنة هي الخطاب الجامع بين البشر مهما اختلفوا، وهي النافذة الأهمّ والمدخل نحو التوجيه الدينيّ. ففي الأعمار الصغيرة،قبل السن السابعة، ربّما لا يستطيع الطفل أن يعي أهمّيّة عمل ما أو سلوك دينيّ؛ كالصلاة ووجوبها مثلًا، فهو غير قادر على إدراك ماهيّة الدين، إلّا أنّه قادر على فهم قيمة شكر المنعم وحسنها وتطبيقها، وإن بطريقة خاصّة به. فباستعمال مبدأ القيم، نستطيع زرع القيم الدينيّة في نفوس الأطفال، وإيصالهم إلى مرحلة اعتناقها، وجعلها الضوابط في حياتهم، ونُسبغ عليها الطابع الدينيّ فيما بعد، بعد تكامل قدرة استيعابهم. لذا، لا نبالغ إذا قلنا إنّ التربية وفق القيم الدينيّة يجب أن تكون بمنزلة القطب من الرحى في العمليّة التربويّة، وينبغي أن يتحّول كلّ مفهوم نريد زرعه عند أطفالنا إلى قيمة جميلة، نظهر جمالها أمامه بالوسائل التي سبق الحديث عنها. فسرعان ما يتبنّاها وتتكوّن شخصيّته على أساسها، ما يؤدّي إلى تربية إنسان قيميّ يخرج إلى المجتمع بقيمه الجميلة، فيساهم في خلق مجتمع قائم على القيم.

2. التربية العقائدية:

تنطوي التربية العقائديّة للطفل على بعدين:

الأول: موجِب، وهو تهيئة نفسه بنحو يكون لديه استعداد شديد وقوي لقبول العقائد الدينية الحقّة والإيمان بها، وتنمية حسّ ارتباط الطفل بوجود قوّة عظمى في هذا الكون، وإكسابه المعارف الحقّة المتعلّقة بالله تعالى وصفاته والنبوة والإمامة والمعاد.

الثاني: سالب، أي إبعاد الطفل عن البيئة التي تشتمل على عقائد باطلة أو منحرفة، وتنبيهه إليها وتحذيره منها، خصوصاً في مجتمع متعدّد الأديان أو تكثر فيه الشبهات.

وتلعب التربية العقائدية السليمة دوراً حيويّاً في بناء هوية الطفل، ولا فرق في ذلك بين الذكر والأنثى، حيث تُشبع حسّ فضول المعرفة والاستفهام عند الطفل عن مسائل لها صبغة ما ورائية، خصوصاً في مرحلة السبع الثانية من حياته، عندما يسأل عن الخالق

وشكله ومكانه...، أو ما يبدو شرّاً في العالم كالموت والزلازل والفياضانات؛ لأنّ الدين الحقّ يعطي لها تفسيراً يمنح الطفل الإحساس بالأمان والاطمئنان والسكينة، ويزيل عنه الشعور بالقلق والخوف من المستقبل، ويعطي الحياة مغزى ومعنى، فلا يؤدّي ذلك إلى تولّد النزعة العدمية والشعور بالضياع[1] في نفس الطفل، وكذلك يكسبه القوّة والشجاعة والثقة بالنفس نتيجة شعوره بالمعيّة الإلهية؛ فيوسف عليه السلام ذلك الطفل الذي كان في التاسعة من عمره حين ألقاه أخوته في غيابة الجُبّ، وعندما التقطه بعض السيّارة وأُخرج عليه السلام من البئر، قال لهم قائل: استوصوا بهذا الغريب خيراً، فقال لهم يوسف: «**من كان مع الله فليس عليه غربة**»[2].

3. التربية الأخلاقيّة:

يتشارك كلّ من الفتاة والصبيّ في حقّهما بأصل التربية الأخلاقية، ومن الضروريّ أيضًا الاعتناء بتربية الفتيات على المستوى الأخلاقيّ؛ حتّى يكون أداء الأعمال الأخلاقيّة سهلًا عليهنَّ حين يكبرن، وحتى يتخلّصن باكرًا من الرذائل الأخلاقيّة، ويتحلّين بالأخلاق الحسنة. مثلًا، لا ينبغي أن ترتدي الفتاة الملابس الجميلة ليقول الناس عنها إنّها جميلة؛ بل لأنّ الجمال أمر مطلوب. ولا ينبغي أن نكرّر كلمة «عيب»، و«إن فعلت ذلك ماذا سيقول الناس عنك»، فهذه كلّها أمور تساهم في زرع الرياء في النفوس. وإن كانت الأمّ في سلوكها منتهجة منهج تهذيب النفس، تكون أكبر معين لأولادها في تهذيب أنفسهم؛ لأنّ نفس الطفل لديها قدرة عجيبة على التقليد والمحاكاة للشخصيات التي يتأثّر بها وينفعل معها، وقلب الطفل كالأرض الخالية والصفحة البيضاء ما أُلقي فيها من شيء قبلته.

---

(1) يقول كارل يونج: « إن انعدام الشعور الديني يسبب كثيراً من مشاعر القلق والخوف من المستقبل والشعور بعدم الأمان والنزوع نحو النزعات المادية البحتة، كما يؤدي إلى فقدان الشعور بمعنى ومغزى هذه الحياة ويؤدي ذلك إلى الشعور بالضياع». العيسوي، عبد الرحمن، دراسات في تفسير السلوك الإنساني، دار الراتب الجامعية، لبنان - بيروت، 1419هـ، ص193.

(2) الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تحقيق عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان - بيروت، ط1، 1412هـ1992-م، ج3، ص5.

4. التربية العاطفيّة:

في الكلّيّات والأصول لا يوجد اختلاف في التربية العاطفيّة بين الفتيات والفتيان، ولكن من الناحية التطبيقيّة والعمليّة، ينبغي أن يُبذل توجّهٌ أكبر نحو الفتيات. ففي تعاليم الإسلام، كان هناك تأكيد لإظهار المودّة للفتيات أكثر منها للفتيان. وهذا الأمر يتمتّع بأهمّيّةٍ خاصّة إذا ما التفتنا إلى حسّاسيّة البعد العاطفيّ عند الفتيات ولطافة روحِهنّ. فقد ورد عن النبيّ محمد ﷺ قوله: «**مَنْ دَخَلَ السُّوقَ فَاشْتَرَى تُحْفَةً فَحَمَلَهَا إِلَى عِيَالِهِ كَانَ كَحَامِلِ صَدَقَةٍ إِلَى قَوْمٍ مَحَاوِيجَ، وَلْيَبْدَأْ بِالْإِنَاثِ قَبْلَ الذُّكُورِ؛ فَإِنَّهُ مَنْ فَرَّحَ ابْنَةً فَكَأَنَّمَا أَعْتَقَ رَقَبَةً مِنْ وُلْدِ إِسْمَاعِيلَ، وَمَنْ أَقَرَّ عَيْنَ ابْنٍ فَكَأَنَّمَا بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَمَنْ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ أَدْخَلَهُ جَنَّاتِ النَّعِيمِ**»[1].

5. التربية العبادية:

إنَّ التكاليف والعبادات الشرعية كثيرة ومتعدّدة، وتتعلّق بموضوعات مركّبة، فإنّ بدء التعلّم والتعليم لها، بحكم العقلاء، لا بدّ من أن يسبق سن البلوغ الشرعيّ، حتى لا يدخل الطفل إلى دائرة الإلزام بنحو فجائيّ من دون أيّ عمليّة تهيئة وتمهيد.

من هنا نجد أنّ المنهج التربويّ الإسلاميّ قد حثّ على العناية بالطفل من ناحية تمرينه وتعويده وتدريبه على العبادات، كالصلاة والصوم والصدقة...، فالتمرين على العبادة حقٌّ للطفل، كونها من مصاديق الإعانة على طاعة الله عزّ وجلّ، عن الإمام زين العابدين عليه السلام: «**وأما حقّ ولدك فأن تعلم أنّه منك، ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشرّه، وأنّك مسؤول عما وليته من حسن الأدب والدلالة على ربّه عزّ وجلّ، والمعونة على طاعته...**»[2].

وفي هذا السياق، أفتى الفقهاء باستحباب تمرين الطفل على العبادة، قال الميرزا القمي قدس سره: «يستحبّ تمرين الصبيّ والصبيّة على العبادات استحباباً. والمراد به حمله

(1) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل و مستنبط المسائل، ج15، ص118.
(2) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج2، ص622.

على العبادات قبل البلوغ ليعتاد عليها، ويقوى عليها، حتّى يسهل عليه الأمر بعد البلوغ، وصَلُبَ عليها [أي اشتدَّ وقوِيَ]. وهو مأخوذ من المرانة بمعنى العادة، أو من قولهم: مرنت يده على العمل، إذا صلبت، والأصل الاستحباب ممّا لا إشكال فيه»[1].

ولا بدَّ في التربية العبادية للطفل من مراعاة مبدأ التدرّج، فهو ابن سبع سنوات يُعوّد على الصلاة، ثم ابن تسع سنوات يُعوّد على الصوم، هذا في الطفل الذكر؛ أمّا الأنثى فلكون سنّ البلوغ عندها هو تسع سنوات فإنّه يصبح واجباً عليها.

ورد عن أبي عبد الله عليه السلام، عن أبيه الباقر عليه السلام، أنّه قال: «**إنّا نأمر صبياننا بالصلاة إذا كانوا بني خمس سنين، فمروا صبيانكم بالصلاة إذا كانوا بني سبع سنين. ونحن نأمر صبياننا بالصوم إذا كانوا بني سبع سنين بما أطاقوا من صيام اليوم، إن كان إلى نصف النهار أو أكثر من ذلك أو أقلّ، فإذا غلبهم العطش والغرث[2] أفطروا، حتى يتعوّدوا الصوم ويطيقوه، فمروا صبيانكم إذا كانوا بني تسع سنين بالصوم ما استطاعوا من صيام اليوم، فإذا غلبهم العطش أفطروا**»[3].

6. التوعية الجنسيّة:

ينبغي للأمّ أن تقف إلى جانب ابنتها التي بلغت سنّ التكليف حديثًا، بكلّ عطفٍ ومحبّة، وأن تكون دائمًا موضع أسرارها ومرشدة لها؛ تطلعها على ما تحتاج إليه من معرفة. فوجود الحواجز والحياء الزائد عن حدّه وغير العقلائيّ في هذا المجال، قد يؤدّي إلى وقوع مشاكل كثيرة لدى الأبناء، ويدفعهم إلى أساليب ملتوية، والالتجاء إلى أشخاصٍ لا يُطمأنّ إليهم. كما لا بدّ في هذه المراحل كافّة، من أن يتواءم الإرشاد والمعرفة مع العفّة ومراعاة اللطافة، كي لا يُخرق حجاب الحياء الفطريّ والطبيعيّ لديهنّ. وعلى الأمّ أن تعلّم الفتاة بدقّة المسائل الّتي تتعلّق بالصحّة والتكاليف الشرعيّة، وأن تضع سلفًا بين يديها المعرفة المطلوبة. كما يتعهّد الأب بتحمّل هذه الوظيفة نفسها تجاه ولده الصبيّ.

---

(1) القمي، أبو القاسم، غنائم الأيام في مسائل الحلال والحرام، تحقيق مكتب الإعلام الإسلامي، إيران - قم، ط1، 1417هـ، ج5، ص282.

(2) الغرث: الجوع.

(3) الشيخ الكليني، الكافي، ج3، ص409.

7. التربية الأسريّة:

الاختلاف بين الفتاة والصبيّ في التربية الأسريّة يرتبط بالوظائف التي ينبغي لهما أداؤها في المستقبل. فوفقًا للشريعة الإسلاميّة والواقع التكوينيّ والاجتماعيّ والعرف السائد أيضًا، فإنّ البنت تتزوّج باكراً، أو لنقل بنحو أبكر من الصبيّ. لذا، يقع على عاتق الأهل والمربّين أن يعرّفوا الفتاة أكثر إلى طبيعة سير الحياة، وكيفيّة التدبير المنزليِّ وتربية الأبناء، وأن يذكّروها بأهمّيّتها. ولا نقصد هنا أن تؤدّي الفتيات تلك الوظائف بنحو جدّيّ منذ سنّ الطفولة، ولكن مرادنا أن نؤسّس للأدوار منذ البداية، حتّى تكون منسجمةً مع اختلاف دنيا المرأة عن دنيا الرجل في المستقبل.

8. التربية الاجتماعيّة:

في ما يتعلّق بالشأن الاجتماعيّ، يتوجّب على الفتاة والفتى أن يطّلعا على وظائفهما وواجباتهما الاجتماعيّة بدقّة. وهنا أيضًا يوجد اختلاف وتفاوتٌ في وظائفهما الاجتماعيّة، وينبغي أن يكون حضورهما في المجتمع على أساس الضوابط التي حدّدها الإسلام. فالإسلام يرى أنّ حضور المرأة في الساحة الاجتماعيّة مشروطٌ بشرائط عدّة يجب أن تُراعى؛ من قبيل مراعاة الستر والحجاب الإسلاميّ، وعدم الاختلاط مع الرجال، ورعاية الموازين الشرعيّة في العلاقات الاجتماعيّة. مثلًا، ينبغي أن تعرف الفتاة أنّه عند عدم وجود حضور نسائيّ في مجلس معيّن، لا ينبغي لها الجلوس، وأنّ لباسها يجب أن يكون محتشمًا دومًا، حتّى أمام المحارم، بل في صغرها أيضاً، وإن كان موضوع الاحتشام مطلوبًا من الجنسين، إلّا أنّ ضوابطه أكثر عند الفتيات، كما هو معروف.

المفاهيم الرئيسة

1. تختلف الفتيات عن الفتيان من حيث الطبيعة الجسمانيّة، ومن حيث العاطفة والإحساس، والتكاليف ومسؤوليّات الحياة، وعلى برامجهما التربويّة مراعاة اختلافاتهم.
2. تحتلّ التربية القيميّة الموقع الأهمّ في العمليّة التربويّة، وذلك لأنّها النافذة الأهمّ ومدخل العبور نحو التوجيه الدينيّ. فحتى الطفل الصغير قادر على إدراك جمال القيم الحسنة، وإن بطريقته، ما يؤدّي إلى زرعها في نفسه.
3. على المربّي - وهي الأمّ هنا - أن تراعي الاختلافات بين الجنسين في التربية الدينيّة والأخلاقيّة، فتعلّم الفتاة الأحكام في سنّ أصغر من سنّ الصبيّ، وكذلك في التربية العاطفيّة، حيث تحتاج الفتاة إلى عاطفة أكبر من الصبيّ. وكذلك الحال في التوعية الجنسيّة وفي التربية الأسريّة، بما يتلاءم مع المسؤوليّات المستقبليّة لكلّ منهما، كما في التربية الاجتماعيّة، حيث تختلف الضوابط الواجب مراعاتها من كلّ منهما في هذا الميدان.

الدرس السابع

المرأة والعلم(1)

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يدرك قيمة تعلّم المرأة في الإسلام.

2 . يذكر أبرز دوافع تعلّم المرأة.

3 . يبيّن الأدلة على مشروعية تعلّم المرأة.

قيمة تعلّم المرأة في الإسلام

تحيط بالإنسان مجموعة من الواجبات التي يتوجّب عليه أداؤها، إلاّ أنّه كما أوجب الله عليه أمورًا من قبيل الصلاة والصوم، فإنّه حباه بحقوق متعدّدة، كحقّ الملكيّة، والعمل، والاحترام. وهذه الحقوق والواجبات هي ضمن الخطّة الإلهيّة المرسومة لبلوغ الإنسان إلى كماله اللائق به.

وهذه الحقوق والواجبات تتفاوت في بعضها بين الرجل والمرأة. ومن الحقوق المهمّة الّتي شدّد عليها الإسلام، حقّ التعلّم. فهل يشمل هذا التفاوت حقّ التعلّم على نحو يكون للرجل دون المرأة، أم هو لكلّ منهما، لكن يتمتّع الرجل بنصيب أكبر من هذا الحقّ؟

ربّما تكون الحاجة إلى الإجابة عن هذه الأسئلة أكبر في ظلّ الحملات الإعلاميّة التي يشنّها الغرب لتشويه صورة الإسلام، والتي يعدّ تشويه صورة المرأة المسلمة أحد أعمدتها. فيحاول هؤلاء إشاعة فكرة مفادها أنّ الإسلام سلب المرأة حقوقها، ومنها حقّ التعلّم. فما هو رأي الإسلام؟

عندما ننظر نظرة كلّيّة إلى الإسلام، نجد تأكيد قيمة العلم كقيمة أساسيّة فيه، إذ يقول تعالى: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾[1]. فالعلم ملاك ومعيار للأفضليّة، وهو ما تؤكّده الكثير من الآيات الأخرى، من قبيل: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ﴾[2]. بل إنّ العلم والتعلّم قرينا الإنسان منذ بدء الخليقة؛

(1) سورة المجادلة، الآية 11.

(2) سورة الزمر، الآية 9.

حيث ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا..﴾[1]، وإنّ أوّل وحي قرآنيّ نزل به جبرائيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾[2].

فمن بداية الوحي إلى تفاصيل الأحداث، نجد الحضور القويّ لقيمة العلم في الإسلام. فمثلًا، جعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المقابل لإطلاق أسرى الحروب، تعليمهم المسلمين القراءة والكتابة.

وقد ورد في الروايات الكثيرة الحثّ على طلب العلم، نذكر منها نموذجين:

- «**اطلب العلم من المهد إلى اللحد**»[3]. فلا محدوديّة في طلب العلم، والحثّ على طلبه يبقى إلى آخر لحظات عمر الإنسان بلا فرق بين المرأة والرجل.
- «**من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا، سلك الله به طريقًا إلى الجنّة**»[4].

فهل تتوجّه هذه الخطابات إلى الرجل دون المرأة؟ وكيف نثبت أنّ علم المرأة من الأمور التي أرادها الإسلام؟

وبعبارة أخرى، كيف نثبت أنّ الإسلام أعطى المرأة حقّها في التعلّم؟

قبل الخوض في الأدلّة والشواهد على حثّ الإسلام وتشجيعه المرأة على التعلّم، لا بدّ أوّلًا من الإطلالة على مبرّرات تعلّم المرأة. فلماذا على المرأة أن تتعلّم؟

دوافع تعلّم المرأة

هناك الكثير من الدوافع والمبرّرات التي تجعل العلم ضرورةً لا يمكن الاستغناء عنها عند المرأة. نذكر أهمّها:

1. **الأخذ بيد الإنسان للوصول إلى الغاية من خلقه:** إذ يقول تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[5]. وسبيل الوصول إلى العبوديّة والعبادة الحقّة هي المعرفة. فعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**إنّ الإمام الحسين خطب أصحابه فقال:**

(1) سورة البقرة، الآية 31.
(2) سورة العلق، الآية 1.
(3) عليّ بن إبراهيم القميّ، تفسير القميّ، تصحيح وتعليق وتقديم السيّد طيب الموسويّ الجزائريّ، مؤسّسة دار الكتاب للطباعة والنشر، إيران - قم، 1404هـ، ط3، ج2، ص401.
(4) الشيخ الكلينيّ، الكافي، ج1، ص34.
(5) سورة الذاريات، الآية 56.

«إنّ اللّه عزّ وجلّ ما خلق العباد إلّا ليعرفوه، فإذا عرفوه عبدوه، فإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة من سواه»[1].

فالغاية من الخلق هي العبوديّة ومعرفة الله. وبالعلم الذي يرتسم على صفحات القلب، يصبح الإنسان عبدًا لله. ولا ريب في أنّ هذه الغاية مشتركة بين الرجل والمرأة، ومن دون العلم لا يمكن الوصول إليها.

كما أنّ من آثار العلم بالله تحقّق الخشية، بل سبيل الخشية الوحيدة هي العلم، وذلك بشهادة القرآن الكريم الذي يقول: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[2]؛ فـ«إنّما» أداة حصر، وبالتالي لا تحقّق للخشية من دون دخول الإنسان في زمرة العلماء الحقيقيّين.

2. **الفطرة الإنسانيّة الطالبة للعلم:** الإنسان مفطور على طلب العلم، وهو منذ نعومة أظفاره باحثٌ عن معرفة المجهولات، وساعٍ للكشف عنها. وهذه الفطرة جعلها الله عزّ وجلّ في أعماق كلّ من الرجل والمرأة. والله عزّ وجلّ الحكيم، عندما يجعل طلبًا ما أصيلًا في الإنسان، فإنّه كما هيّأ له متعلّقه، يريد منه أن يطلبه. والعلم هو كمالٌ في نفسه، تطلبه كلّ نفس لم تتشوّه فطرتها. ودور الأنبياء هو تحريك هذه الفطرة الطالبة للعلم وإثارتها، روي عن أمير المؤمنين عليه السلام في حكمة بعث الأنبياء: «**ليثيروا لهم دفائن العقول**»[3].

3. **تقوية العقل والوصول إلى الرشد الفكريّ والروحيّ:** في العموم، هناك علاقة متينة ما بين العلم والرشد الفكريّ، إذ الكثير من المشاكل التي تواجه الإنسان في حياته تعود إلى الجهل وعدم الوصول إلى مرحلة النضج الفكريّ. ومن الطبيعيّ أن يكون الرشد الفكريّ والروحيّ من أهداف الإسلام التي لا تُستثنى المرأة من ضرورة بلوغها، والتي لا تتيسّر من دون التعلّم.

---

(1) الصدوق، الشيخ محمّد بن عليّ بن بابويه، علل الشرائع، تقديم السيّد محمّد صادق بحر العلوم، المكتبة الحيدريّة، العراق - النجف، 1385 - 1966م، لا.ط، باب علّة خلق الخلق واختلاف أحوالهم، ج1، ص9.

(2) سورة فاطر، الآية 28.

(3) السيد الرضي، نهج البلاغة، ص43.

يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «... الإسلام يريد أن يبلغ الرشد الفكريّ والعلميّ والاجتماعيّ والسياسيّ وأهمّ من ذلك كلّه أن يبلغ رشد الروح والفضيلة عند المرأة حدّه الأعلى، وأن يكون لوجودها، كعضو في المجتمع وفي الأسرة البشريّة، أعلى الفوائد والثمار. وكلّ تعاليم الإسلام تسعى إلى ذلك»[1]. ويقول أيضًا:

«إنّ دراسة النساء أمرٌ مهمّ جدًا بهدف اكتساب المعرفة، ومهمّة من أجل رفع مستوى الرشد الفكريّ...»[2].

4. **التحصين للمرأة من الغزو الثقافيّ:** في ظلّ الهجمة الثقافيّة الشرسة على المرأة، يصبح طلب العلم آكد لها، إذ تحتاج المرأة إلى أن تكون محصّنة بشدّة على المستوى الفكريّ.

يقول سماحة الإمام الخامنئيّ: «دعوا فتياتنا يدرسن ويكسبن العلم والوعي، ليقفن على شأنهنّ ويعرفن قدر أنفسهنّ، وليدركن مدى عقم دعايات الاستكبار العالميّ حول المرأة وتفاهتها وخوائها. ومثل هذه الأمور يمكن إدراكها في ظلّ الثقافة.

فأكثر فتياتنا تديّنًا وثوريّة وعفّة وإيمانًا اليوم، هنَّ من بين الشرائح المتعلّمة. أمّا من يبغين الانسياق الأعمى وراء النموذج الغربيّ في نمط الملابس وطراز الحياة، فهنَّ على الغالب فارغات من الثقافة والمعرفة والمعلومات الكافية. ومن لديه معلومات كافية يمكنه التحكّم بسلوكه، والانقياد لكلّ ما هو حقّ وحقيقة وجميل»[3].

تبيّن ممّا تقدّم، أنّ مبرّرات العلم ليست مختصّة بالرجل وحده، بل هي شامله للمرأة أيضاً.

الأدلّة والشواهد على منح الإسلام المرأة حقّ التعلّم

بعد أن تبيّن وجود المسوّغات الكافية لتعلّم المرأة، كيف نثبت أنّ الإسلام في الواقع قد حثّ على ورودها ميدان العلم والتعلّم؟

1. **التعليم من أهداف بعثة الرسول** صلى الله عليه وآله وسلم: لم يبعث الله عزّ وجلّ رسوله وحبيبه محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم

(1) لجنة التأليف في مركز المعارف للتأليف والتحقيق، المرأة علم عمل جهاد، ص11.

(2) المصدر نفسه، ص12.

(3) خطاب الإمام الخامنئيّ دام ظله بمناسبة زيارة محافظة آذربيجان، بحضور جموع من النساء في محافظة آذربيجان، بتاريخ 1417/05/04هـ.ق.

للرجال دون النساء، إنّما هو رسول البشريّة جمعاء. فليس هناك رسولٌ للرجال وآخر للنساء. والهدف من البعثة بصريح القرآن هو التزكية والتعليم، إذ هو القائل: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1]. وبالتالي، فإنّ من أهداف بعثته صلوات الله عليه، تعليم النساء.

2. **عموم الآيات والروايات القطعيّة السند والدلالة، التي تحثّ على طلب العلم:** هناك نوعان من الآيات والروايات التي تحثّ على طلب العلم:

أ. تلك التي تحثّ على طلب العلم بشكل مباشر، كحديث النبيّ ﷺ: «**طلب العلم فريضة على كلّ مسلم**»[2].

ب. تلك التي تحثّ على العلم بطريقة غير مباشرة، كالتي تدعو إلى التفكّر والتعقّل، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[3].

وعمليّة التفكّر تحتاج إلى ذخيرة من المعلومات والمعارف في مختلف المجالات. والقرآن الكريم لم يميّز بين الرجل والمرأة في هذه الآيات، بل جاءت عامّة تشمل كلًّا منهما، إذ لو أراد التخصيص بأحدهما لخصّص. والخطاب في هذه الآيات نظير قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾[4]. فالأمر بالصيام هو عامّ يشمل كلًّا من الرجل والمرأة. إذاً تعاليم الإسلام ليست خاصّة بالرجال دون النساء، وهي شاملة لكليهما، إلّا ما خرج بدليل.

3. **الروايات الواردة في خصوص تعلّم المرأة:** وردت روايات تحثّ بشكل مباشر على

(1) سورة الجمعة، الآية 2.
(2) الشيخ الحرّ العامليّ، وسائل الشيعة، ج 27، ص 26.
(3) سورة آل عمران، الآيتان 190 - 191.
(4) سورة البقرة، الآية 183.

ضرورة تعليم المرأة، فمثلًا، في كتاب بحار الأنوار، ورد الحديث: «**العلم فريضة على كلّ مسلم ومسلمة**». وفي حديث آخر عن النبيّ ﷺ: «**من كانت له ابنة فأدّبها وأحسن أدبها، وعلّمها فأحسن تعليمها، فأوسع عليها من نعم الله التي أسبغ عليه، كانت له مِنعة من النار**»[1].

4. **اهتمام السيّدة الزهراء عليها السلام بتعليم النساء:** كانت الزهراء البتول عليها السلام قمّة القمم في الفضائل، والقدوة لكلّ امرأة مسلمة، تعلّم النساء ولا تكلّ في ذلك. فقد رُوي أنّه حضرت امرأة عند فاطمة الصدّيقة عليها السلام فقالت: «إنّ لي والدة ضعيفة، وقد لبس عليها في أمر صلاتها شيء، وقد بعثتني إليك أسألك». فأجابتها عن ذلك، فثنّت فأجابت، ثمّ ثلّثت فأجابت، إلى أن عشّرت فأجابت ثمّ خجلت من الكثرة وقالت: «لا أشقّ عليكِ يا بنت رسول الله»، قالت فاطمة عليها السلام: «**هاتي، سلي عمّا بدا لكِ.. سمعت أبي ﷺ يقول: إنّ علماء شيعتنا يُحشرون، فيخلع عليهم من خلع الكرامات على قدر كثرة علومهم وجدّهم في إرشاد عباد الله، حتّى يخلع على الواحد منهم ألف ألف حلّة من نور**»[2].

فعلى النساء أن يقتدين بها عليها السلام في السعي لأن يكنّ عالمات. يقول سماحة الإمام الخامنئيّ متوجّهًا إلى النساء: «**هذه هي فاطمة، قدوة النساء في كلّ الخصال الحميدة. فهي العالمة، فكنّ العالمات، وهي العابدة، فكنّ العابدات، وهي المجاهدة، فكنّ المجاهدات...**»[3].

5. **وجود العالمات في صدر الإسلام:** كانت المرأة تتفقّه في الدين، وتسأل رسول الله ﷺ والأئمّة عليهم السلام، وهم يجيبون، وكان من النساء الرواة للحديث والشاعرات و....

وقد أفرز ابن حجر في تقريب التهذيب، 824 امرأةً كلّهنّ صُنّفن عالمات وحكيمات وفقيهات في صدر الإسلام الأوّل. ولم يكن علم المرأة مقتصرًا على التفقّه في الدين،

(1) الفيض الكاشانيّ، المولى محمد محسن، المحجّة البيضاء في تهذيب الأحياء، صحّحه وعلّق عليه علي أكبر الغفاري، دفتر انتشارات إسلامي، إيران - قم، لا.ت، ط2،ج3، ص119.

(2) العلّامة المجلسيّ، بحار الانوار، ج 2، ص3.

(3) لجنة التأليف في مركز المعارف للتأليف والتحقيق، مكانة المرأة في الإسلام، ص68.

فكانت تمرّض الجرحى في الحروب بناءً على معرفتها بعلم التمريض. وكان من النساء الطبيبات؛ وهذا ما يدلّ على اهتمام الإسلام بأن تكون المرأة عالمة.

6. **النساء في عصر الإمام المهديّ** عجل الله فرجه الشريف: إنّ عصر الظهور هو عصر قيام الحكومة الإلهيّة على الأرض، والذي تتحقّق فيه أهداف الأنبياء والأوصياء. وممّا تصل إليه المرأة في ذاك العصر، هو البلوغ إلى المراتب العلميّة العالية.

فعن الإمام الباقر عليه السلام: «**وتُؤتَون الحكمة في زمانه، حتى إنّ المرأة لتقضي في بيتها بكتاب الله تعالى وسنّة رسول الله...**»[1].

(1) العلّامة المجلسيّ، بحار الأنوار، ج52، ص352.

المفاهيم الرئيسة

1. جعل الإسلام العلم حقًّا من الحقوق المهمّة للإنسان، وذلك ضمن الخطّة الإلهيّة المرسومة للإنسان لبلوغ كماله. كما أولاه أهمّيّة خاصّة، وأكّده كقيمة أساسيّة من قيم الإسلام.
2. حثّ الإسلام كلًّا من الرجل والمرأة على طلب العلم، وجعل الوصول إليه من الأمور التي أرادها.
3. تعلّم المرأة ضرورة لا بدّ منها، لأنّ:

أ. العلم يوصل الإنسان إلى الغاية من خلقه، وهذه الغاية مشتركة بين الرجل والمرأة.

ب.الفطرة الإنسانيّة «الموجودة في أعماق كلّ من الرجل والمرأة» طالبة للعلم المطلق.

ج. التلازم بين العلم من جهة، وتقوية العقل والوصول إلى الرشد الفكريّ والروحيّ من جهة أخرى.

د. العلم ضرورة لتحصين المرأة من الغزو الثقافيّ.

4. الأدلّة على كون تعليم المرأة من التي أرادها الإسلام:

أ. التعليم من أهداف بعثة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وهو صلوات الله عليه مبعوث ومرسل للنساء والرجال على حدّ سواء.

ب.عموم الآيات والروايات القطعيّة السند والدلالة، التي تحثّ على طلب العلم.

ج. الروايات الواردة في خصوص تعلّم المرأة.

د. اهتمام السيّدة الزهراء عليها السلام بتعليم النساء.

هـ.وجود العالمات في صدر الإسلام.

و. النساء في عصر الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف يصلن إلى مراتب عالية من العلم.

الدرس الثامن

المرأة والعلم (2)

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يتعرّف إلى أولويات التعلّم عند المرأة.

2 . يبيّن المحاذير التي عليها اجتنابها في عمليّة التعلّم.

3 . يبيّن الآثار والثمرات الخاصّة لتعليم المرأة.

هناك من العلوم ما يشترك به كلّ من الرجل والمرأة، كالعلوم العقائديّة والأخلاقيّة و.... وهناك ما يتفاوتان به، كالعلوم المتعلّقة بقضايا المرأة وأدوارها الخاصّة بها. وبالتالي، فهما يشتركان في بعض أولويّات التعلّم، ويختلفان في بعضها الآخر. فما هي أولويّات التعلّم عند المرأة، سواء في ما تشترك فيه مع الرجل أو تختلف؟

1. العلوم التي تحتاجها المرأة

يقول سماحة الإمام الخامنئيّ دام ظله: «على المرأة نفسها أن تعرف قبل غيرها، شأنها الإسلاميّ، وتدافع عنه. عليها أن تعرف ما هو حكم اللّه والقرآن والإسلام في قضاياها»[1]. ومن هذه الأحكام والقضايا:

أ. الأحكام الشرعيّة الابتلائيّة:

فعلى المرأة معرفة الحلال من الحرام في القضايا التي هي مورد ابتلائها، من قبيل أحكام الطهارة، الصلاة، الصيام، الحيض، حقوق الزوج... يقول الإمام الخميني قدس سره: «يجب تعلّم مسائل الشكّ والسهو وغيرها ممّا هو محلّ الابتلاء غالباً، إلّا إذا اطمأنّ من نفسه بعدم الابتلاء بها، كما يجب تعلّم أجزاء العبادات وشرائطها وموانعها ومقدّماتها. نعم، لو علم إجمالاً أنّ عمله واجد لجميع الأجزاء والشرائط وفاقد للموانع صحّ، وإن لم يعلم تفصيلاً»[2].

(1) المرأة علم عمل جهاد، مركز المعارف، ص18.

(2) الإمام الخميني قدس سره، تحرير الوسيلة، ج1، المسألة 23، ص9.

ب. علم العقائد:

وهو العلم المتضمّن معرفة الله والنبوّة والإمامة، وغيرها من أصول الدين. فلا يجوز التقليد في العقائد، بل على المرأة معرفة هذه المسائل العقائدية - كما على الرجل - وتبنّي العقائد المناسبة.

يقول الشهيد الثاني: «إنّ لله تعالى على عبده نعماً ظاهرة وباطنة لا تحصى، يعلم ذلك كلّ عاقل، ويعلم أنّها ليست منه ولا من مخلوق مثله.

ويعلم أيضاً أنّه إذا لم يعترف بإنعام ذلك المنعم، ولم يذعن بكونه هو المنعم لا غيره، ولم يسعَ في تحصيل مرضاته، ذمّه العقلاء، ورأوا سلب تلك النعم عنه حسناً، وحينئذٍ فيحكم ضرورة العقل بوجوب شكر ذلك المنعم. ومن المعلوم أنَّ شكره على وجه يليق بكمال ذاته يتوقّف على معرفته، وهي لا تحصل بالظنّيات كالتقليد وغيره»[1].

ج. علم الأخلاق:

المرأة كما الرجل، مأمورة بإصلاح باطنها وتهذيبه. فقوله تعالى في سورة الشمس المباركة ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[2]، خطاب موجّه للمرأة والرجل معاً. ولإجل صلاح الباطن وتزكيته، على المرأة تعلّم مناشئ الأمراض القلبيّة وعلاماتها وطرائق علاجها، إذ لا فلاح بوجود القلب السقيم. يقول الله عزّ وجلّ: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[3].

د. القراءة والكتابة:

إذ من دون ذلك لا يمكن للمرأة دخول مجال العلم. فتعلّم القراءة والكتابة مقدّمة وباب لجميع المعارف. وبما أنّ هناك من العلوم ما هو واجب، فإنّه لا بدّ من تعلّمهما، من باب كون مقدّمة الواجب واجبة.

---

(1) رسائل الشهيد الثاني قدس سره، ج2، ص52.

(2) سورة الشمس، الآيات 7 - 10.

(3) سورة الشعراء، الآيتان 88 - 89.

هـ. تدبير الأسرة، كتربية الأبناء و... :

فالأمّ والزوجة لا يمكن أن تتخطّى التحدّيات التي تواجهها في وظائفها، من دون العلم بأسس الحياة الزوجيّة والتربية وقواعدهما. يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «ومن جملة الأمور الأخرى المهمّة جدًا، تعليمهنّ الأساليب الصحيحة للعمل والتصرّف داخل البيت، أي كيفيّة التعامل مع الزوج والأبناء. فهناك نساء جيّدات، يمتلكن الصبر والعفو والأخلاق، لكنهنّ يجهلن الأساليب الصحيحة للتصرّف مع الزوج أو الأولاد»[1].

2. العلوم التي يحتاجها المجتمع

وهي العلوم التي يحتاج المجتمع الإسلامي إلى نساء متخصّصات فيها. ويسقط هذا الوجوب عن المرأة عند تصدّي غيرها من النساء. وهي من قبيل:

أ. الفروع الطبيّة:

عند عدم وجود الطبيبات الماهرات، وبالأعداد الكافية، ستُضطرّ الأعداد الكبيرة من النساء إلى مراجعة الأطبّاء الذكور، وإلى الكشف عمّا يحرم النظر إليه أمام الرجل الأجنبيّ في كثير من الأحيان.

يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «وأشير هنا إلى ضرورة تخصّص النساء في الفروع والتخصّصات الطبّيّة كافّة، وعدم الاكتفاء بالطبّ النسائيّ. فما دمنا نعتقد بضرورة وجود فاصلة في العلاقة والارتباط الاجتماعيّ بين المرأة والرجل، ونؤكّد رفض الاختلاط الحرّ بين المرأة والرجل، ونعتقد بالحجاب بمعناه الواقعيّ الكامل، لذلك، لا يمكننا إهمال المسألة الطبّيّة، أي إنّه يلزمنا وجود نساء طبيبات بالنسبة نفسها الموجودة من الأطبّاء الرجال، حتّى تتمكّن المرأة من مراجعة الطبيبة في أيّ اختصاص أرادت، ولا داعي للمساس بتلك الفاصلة...»[2]. ويقول أيضًا: «على النساء أن يدرسن جميع أنواع الفروع التخصصيّة وأقسامها، مثل: القلب والأمراض الداخليّة والأعصاب وغير ذلك، إنّ ذلك فريضة عليهنّ، وهو تكليف على النساء أكثر من الرجال حاليًا»[3].

(1) المرأة علم عمل جهاد، مركز المعارف، ص16.
(2) المرأة علم عمل جهاد، مركز المعارف، ص60.
(3) المرأة علم عمل جهاد، مركز المعارف، ص17.

ب. مختلف الفروع العلميّة:

على النساء أن يتخصّصن في الفروع كافّة، لأنّه إن لم تكن هناك أعداد كافية من النساء في المجالات كافّة، فإنّ ذلك سيؤدّي إلى الاختلاط الذي لا يخلو في أحيان كثيرة من بعض المحاذير. وبالتالي، فإنّ وجود نساء متخصّصات في المجالات كافّة، يعدّ صمام أمان للمجتمع الإسلاميّ. ولذا، فإنّ الإمام الخامنئيّ دام ظله يقول: «**.. إنّي أؤيّد أن تتعلّم النساء في مجتمعنا جميع الفروع العلميّة**»[1].

ج. العلوم اللازمة للدفاع عن كيان الإسلام:

التي تعين في التصدّي للشبهات، والدفاع عن المعتقدات، والتصدّي للغزو الثقافيّ والإعلاميّ من قبل الأعداء. يقول سماحة الإمام الخامنئيّ دام ظله: «**على المرأة نفسها أن تعرف قبل غيرها، شأنها الإسلاميّ، وتدافع عنه**»[2].

وأمّا سائر العلوم التي يمكن للمرأة أن تستفيد منها لدنياها أو أخراها، فبإمكانها تعلّمها، لكنّها تكون في المرتبة التالية بعد العلوم الواجبة من حيث الأولويّة.

المحاذير التي على المرأة الالتفات إليها في عمليّة التعلّم

لا بدّ للمرأة من مراعاة أمور عدّة أثناء مسيرتها التعلّميّة، منها:

1. **اقتران العلم بالعمل والتزكية:** وإلّا يصبح هذا العلم وبالًا على المرأة.

يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «... فإذا كانت هناك امرأة ما قد بلغت مستوى عاليًا من العلم، لكنّها غفلت عن جوهرها الإنسانيّ، ولم تعتنِ به، وقلّلت من احترامه، فما هي قيمتها حينئذٍ؟ إنّ الجوهر الإنسانيّ يجب أن ينمو لدى المرأة والرجل، وهذه مسألة ذات قيمة»[3].

2. **الحفاظ على العفّة وعدم الخروج عن حدود الأحكام الشرعيّة:** وذلك بأن يكون العلم في ظلّ أجواء العفّة والطهارة.

(1) المرأة علم عمل جهاد، مركز المعارف، ص 18.
(2) المصدر نفسه، ص 18.
(3) المصدر نفسه، ص14.

يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «إنّ نساءنا اليوم في الجمهوريّة الإسلاميّة، يحافظن على عفافهنّ وعصمتهنّ وطهارتهنّ كنساء، ويحافظن على الحجاب بشكل كامل، ويربّين أولادهنّ بالطريقة الإسلاميّة، ويقمن بالواجبات الزوجيّة كما يقول الإسلام، ويمارسن نشاطات علميّة وثقافيّة...»[1].

3. **عدم التأثير في واجباتها المختصّة بالأسرة:** وهو أمر يمكن للمرأة تداركه بتنظيم أوقاتها وإدارتها السليمة. يقول دام ظله: «... فلا يقول البعض إنّ النساء لا يمكنهنّ كسب العلم إذا حافظن على الحجاب والعفّة وإدارة البيت وتربية الأولاد...»[2].

فعماد الأسرة هو الأمّ التي إن لم تقم بدورها أو تهاونت به، أدّى ذلك إلى خراب الأسرة. ومن هنا يقول سماحته دام ظله: «عندما تقوم الأسرة، فإنّ الزوجة والأمّ هي العضو الأساس فيها. إنّ للمرأة في هذه المجموعة مكانًا أساسيًّا وساميًا، لذلك عندما يتزلزل أصل الأسرة هذا، أي المرأة، فلن يبقى أيّ شيء مكانه فيها»[3].

آثار تعليم المرأة

لا ريب في أنّ هناك آثارًا مشتركة لتعلّم المرأة والرجل، وقد خصَّ الله سبحانه في كتابه الكريم العلماء من الرجال والنساء بخمس مناقب وفوائد هي[4] :

1 . **الإيمان:** قال تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[5].

2 . **التوحيد:** قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[6].

---

(1) مكانة المرأة في الإسلام، مركز المعارف، ص69.
(2) لجنة التأليف في مركز المعارف للتأليف والتحقيق، المرأة حقوق حرّيّة حجاب، دار المعارف الإسلاميّة الثقافيّة، 2003م، ط2، ص69.
(3) دور المرأة في الأسرة، مركز المعارف، ص11.
(4) الشهيد الثاني، منية المريد، ص46.
(5) سورة آل عمران، الآية7.
(6) سورة آل عمران،الآية 18.

3. **البكاء والحزن :** قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۝١٠٨ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾[1].

4. **الخشوع:** قال تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾[2].

5. **الخشية:** قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[3].

وفي هذا المجال يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «إنّ الجوهر الإنسانيّ عزيز لدى المرأة والرجل، وعندما يتعلّمان العلم والحكمة، فإنّهما يسعيان إلى إبراز ذلك الجوهر وجلائه أكثر فأكثر...»[4].

إلاّ أنّ لتعليم المرأة ثمراتٍ خاصّة لا يشاركها فيها الرجل، وأهمّها:

أ. **تربية الأجيال الصالحة وصناعة الإنسان:** بما أنّ المرأة تحظى بدور تربية الأجيال، وهو عمل الأنبياء، فإنّ دورها في هذا المجال أهمّ وأخطر من دور الرجل. ومن البديهيّ أن يؤثّر علم المرأة في نشاطها ووعيها، وسلامة تربيتها ورعايتها لمن يتربّى على يديها. وبالتالي، فإنّ حصيلة عملها هي تربية الصالحين الفاعلين في المجتمع من مجاهدين وعلماء... يقول الإمام الخمينيّ قدس سره: «إنّ دور المرأة في المجتمع أهمّ من دور الرجل؛ لأنّ النساء والسيّدات - علاوة على كونهنّ شريحة فعّالة على كل الصعد - فإنّهنّ يتصدّين لتربية الشرائح الفعّالة الأخرى أيضًا»[5].

ب. **تحصين المجتمع من الفساد الأخلاقيّ:** فالمرأة بابتذالها تقود المجتمع إلى الانحراف، إذ كلّما ازدادت نسبة الابتذال عند النساء، ازدادت نسبة الفساد عند الرجال.

يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «... طبعًا، المرأة العالمة تكون أقلّ تعرّضًا للابتذال. فإنّ

(1) سورة الإسراء، الآيتان 108-109.
(2) سورة الإسراء، الآية 109.
(3) سورة فاطر، الآية 28.
(4) الإمام الخامنئيّ دام ظله، المرأة علم عمل جهاد، لجنة التأليف في مركز المعارف للتأليف والتحقيق، ص14.
(5) الإمام الخمينيّ قدس سره، الكلمات القصار (مواعظ وحكم من كلام الإمام الخمينيّ قدس سره)، دار الوسيلة، لبنان - بيروت، 1416هـ - 1995م، ط1، ص279.

من آفات الأمّيّة ارتفاع نسبة الابتذال عند النساء، وليس للابتذال حدّ معيّن..»[1].

ج. **الحدّ من الاختلاط:** وذلك بسبب وجود المرأة في الساحات كافّة، وعدم الحاجة إلى الاستعانة بالجنس الآخر.

والنتيجة هي الوصول إلى مجتمع أصحّ وأسلم، في ظل العفّة الأشدّ التي يؤمّنها عدم الاختلاط.

فالإسلام إذاً يريد للمرأة تعلّم العلوم التي تحتاج إليها لضمان رقيّها ورقيّ المجتمع، وذلك في ظلّ الأجواء العفيفة والحفاظ على أسرتها.

(1) لجنة التأليف في مركز المعارف للتأليف والتحقيق، مكانة المرأة في الإسلام، ص62.

المفاهيم الرئيسة

1. هناك أولويّات للتعلّم عند المرأة، هي:

أ. القراءة والكتابة، علم العقائد، علم الأخلاق، الأحكام الشرعيّة الابتلائيّة لها، وتدبير الأسرة.

ب.الفروع الطبّيّة، بل مختلف الفروع العلميّة. إضافة إلى العلوم اللازمة للدفاع عن كيان الإسلام.

2. على المرأة الالتفات إلى بعض المحاذير في عمليّة التعلّم، من قبيل اقتران العلم بالعمل والتزكية، الحفاظ على العفّة، وعدم الخروج عن حدود الأحكام الشرعيّة، وعدم التقصير في واجباتها المختصّة بالأسرة.

3. من آثار التعلّم المشتركة بين الرجل والمرأة: الإيمان، التوحيد،الخشوع، الخشية.

4. من الآثار الخاصّة لتعليم المرأة: تربية الأجيال الصالحة، صناعة الإنسان، تحصين المجتمع من الفساد الأخلاقيّ، والحدّ من الاختلاط، وذلك ما ينعكس إيجابًا على المجتمع.

الدرس التاسع

المرأة والعمل

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يبيِّن أنَّ عمل المرأة حقٌّ تشريعيّ.

2 . يشرح أسباب عمل المرأة.

3 . يبيّن الموقف العمليّ عند التزاحم بين عمل المرأة وإدارة الأسرة.

4 . يحدّد الضوابط والأحكام الشرعيّة لعمل المرأة.

تمهيد

لقد حثّت الشريعة الإسلاميّة في الكثير من النصوص في الكتاب والسنّة على العمل، وتحصيل القوت للنفس وللعيال. قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾[1].

ومنها قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾[2].

وكما حثّ القرآن على العمل والإنتاج وتبادل المنافع، اعتبر النبيّ محمّدﷺ العمل والإنتاج جهادًا وعبادة، وذلك في ما رُوي عنهﷺ من قوله: «**الكادّ على عياله كالمجاهد في سبيل الله**»[3]، «**والعبادة سبعون جزءًا، أفضلها طلب الحلال**»[4].

وكما دعت الشريعة الإسلاميّة إلى العمل والإنتاج، أوضحت اختلاف الطاقات والمؤهّلات البشريّة، وضرورة التكامل بتبادل المنافع بين أفراد النوع البشريّ. قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾[5].

فالأصل الذي ثبّتته الشريعة الإسلاميّة في العمل هو الإباحة، باستثناء بعض الموارد التي ذكرها الفقهاء[6]. لكنَّ القضيّة التي تُثار هنا، تتمحور حول عمل المرأة، فهل عملها حقٌّ أو

---

(1) سورة الملك، الآية 15.

(2) سورة الجمعة، الآية 10.

(3) الشيخ الكلينيّ، الكافي، ج 5، ص 88.

(4) المصدر نفسه، ج 5،ص 78.

(5) سورة الزخرف، الآية 32.

(6) حرّمت الشريعة الإسلاميّة العمل في الأشياء المحرّمة، كصناعة الخمر والمخدِّرات والرقص والزنا... إلخ، كما حرّمت كل عمل يقود إلى الوقوع في الحرام، وإن كان محلّلًا بذاته.

ضرورة؟ ولماذا تعمل المرأة؟ وعند التزاحم بين العمل والدور الأسريّ، ماذا يُقدَّم؟ وما هي ضوابط عمل المرأة؟؟ هذا ما سنبيّنه في درسنا الآتي.

عمل المرأة حقٌ تشريعيّ

ليس بين الناس تفاضل في الإنسانيّة، بلا فرق بين أنثى وأنثى، وبين ذكر وذكر، وبين ذكر وأنثى. قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾[1]. وقال تعالى: ﴿أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ﴾[2].

فقوله: «**بعضكم من بعض**»، أصل تشريعيّ يعبّر عن وحدة موقع المرأة والرجل في نظام القيم والحقوق والواجبات في الإسلام، فكلٌّ منهما ينتمي إلى حقيقة واحدة، ويتكامل مع الآخر في هذه الحقيقة. وقد كثرت الآيات التي تتحدّث عن وحدة أصل الخلق، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾[3].

إنّ مهمّة الاستخلاف، وإعمال الأرض، واستخراج خيرات الطبيعة والتمتّع بها، واحدة لجميع البشر، ذكورًا وإناثًا. قال تعالى مخاطبًا الإنسان، ذكرًا وأنثى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[4]. وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ﴾[5].

وبناءً على قاعدة وحدة الوظيفة العامّة للبشر في العبادة، وفي إعمار الأرض وتسخير الطبيعة لهم جميعًا، فإنّهم جميعًا - ذكورًا وإناثًا - على مستوى واحد في حقّ الاستمتاع والاستفادة من نعم الله الماديّة وطيّبات الحياة[6].

---

(1) سورة النساء، الآية 1.
(2) سورة آل عمران، الآية 195.
(3) سورة النجم، الآيتان 45 و 46.
(4) سورة الحج، الآية 65.
(5) سورة لقمان، الآية 20.
(6) شمس الدين، الشيخ محمّد مهدي، مسائل حرجة في فقه المرأة، الستر والنظر، المؤسّسة الدوليّة للنشر، لبنان - بيروت، 2011م، ط4، ص 199.

ولهذا، فإنّ نظرة موضوعيّة واحدة إلى الأخبار المتعلّقة بالعمل، تؤكّد لنا أنّ الإسلام لم يحرِّم نوعًا من العمل على المرأة، بعد أن أباحه للرجل. فللمرأة أن تمارس أيّ عمل من الأعمال؛ كالزراعة، والصناعة، والطبّ، والهندسة، والإدارة، والوظائف السياسيّة، والخياطة، وقيادة الطائرة والسيارة، والتعليم والتربية... إلخ. فإنّ الأصل في الشريعة الإسلاميّة هو إباحة العمل، كما أسلفنا الذكر، بل إيجابه في بعض الأحيان إلاّ ما حُرّم في الشريعة، أو ما أدّى إلى الوقوع في المحرّم، بلا فرق بين الرجل والمرأة.

ولهذا، لا نجد حكمًا يحرِّم العمل على المرأة بالعنوان الأوّليّ، وإنّما يستدلّ من يحرِّم العمل على المرأة خارج البيت بعناوين أخرى. ويعترض البعض بأنّ عمل المرأة ضمن مؤسّسات العمل المختلطة يقود إلى الفساد والوقوع في المحرّمات، أي إنّ الحرمة جاءت بسبب ما يؤدِّي إليه الاختلاط بين الرجال والنساء خلال ممارسة الأعمال، من الوقوع في الحرام، أو بعناوين تشبهه، وبذا تكون تلك الحرمة حرمة بلحاظ العنوان الثانويّ، لا بلحاظ العنوان الأوّليّ. وبعبارة أخرى، هي من باب تحريم مقدّمة الحرام، أو تحريم المباح الذي يقود إلى الوقوع في المحرّم. والواضح هنا، أنّ العمل الذي يقود إلى الوقوع في الحرام هو محرّم على كلا الجنسين، الرجل والمرأة، وعندئذ يستوجب الموقف منع الاختلاط، وتوظيف العنصر الذي يحتاج إليه العمل، بغضّ النظر عن كونه رجلًا أو امرأة.

لماذا تعمل المرأة؟

تُطرح الكثير من التساؤلات حول قضيّة عمل المرأة، اعتمادًا على أنّ الدين قد حفظ لها قوّتها وحاجاتها الماديّة، وأنّه لم يشأ أن يجعل من المرأة كائنًا محتاجًا، ففرض على الرجال تأمين نفقاتها وأسرتها، ليكون بذلك قد وضع عنها عبئًا ثقيلًا. وتبعًا لهذا المنطق، يصبح موضوع عمل المرأة مسألة اختياريّة محضاً. والواضح أنّ هذه النظرة الضّيقة لا تستند إلى رؤية موضوعيّة ومتكاملة إلى وظيفة المرأة في الحياة كشريك للرجل، تتناصف معه إدارة المجتمع، وتؤدّي دورًا كبيرًا في تشييد أركانه.

والصحيح هنا، أنّه يجب النظر إلى قضيّة عمل المرأة على أنّها تشكّل بعدًا خاصًّا من

أبعاد الحضور الاجتماعيّ الفاعل لها، وأداءً طبيعيًّا لدورها ووظيفتها العامّة في الحياة. وهي لا تنطلق بالضرورة من السعي لتأمين الحاجات المادّيّة فحسب، بل إنّ دوافع المرأة نحو العمل كثيرة ومتعدّدة؛ كالحاجة إليها في وظائف يجب أن تؤدّيها المرأة تحديداً في المجتمع الإسلاميّ. بل حتّى لو كان عملها من باب التطوّر وتحقيق الطموح والتقدّم العمليّ والعلميّ، فهو من الأمور الراجحة والمقبولة؛ لأنّ المرأة بهذا تعيش الأمل الذي يعطيها الثقة بالنفس، والمثابرة والقوّة في حضورها الإيجابيّ في المجتمع، ما ينعكس استقرارًا على الشخصيّة، وعلى مجتمعها الخاصّ والصغير، المتمثّل بالزوج والأسرة. بل قد يكون محرّكًا للإبداع عند المرأة في مجالات عملها المختلفة، كما أثبتت التجربة.

وهذا المنحى هو ما يُفهم من كلام الإمام الخمينيّ قدس سره بوضوح في نظرته إلى دور المرأة ووظيفتها في المجتمع، إذ اعتبر أنّ الإسلام يؤهّلها للقيام بهذه الوظائف، فقال: «يؤهّل الإسلام المرأة لأن يكون لها - كالرجل - دورٌ في جميع الأمور، فالمرأة أيضًا تمتلك مثل هذا الدور»[1]. وإنّ الإسلام يأخذ بنظر الاعتبار حقوق النساء مثلما يهتمّ بحقوق الرجال؛ «فلهنّ الحرّيّة في ممارسة نشاطاتهنّ بكامل إرادتهنّ، وفي انتخاب العمل»[2]. «فلتعمل المرأة ولكن بالحجاب، ولا مانع من عملها في الدوائر الحكوميّة، ولكن مع مراعاة الحجاب الشرعيّ، والحفاظ على الشؤون الشرعيّة»[3].

وعلى هذا المبدأ نفسه، يدعو الإمام الخامنئيّ النساء إلى التخصّص في جميع الفروع الطبّيّة، ما يقتضي عملهنّ بتخصّصاتهنّ، فيقول حفظه المولى: «على النساء التخصّص في جميع الفروع والتخصّصات الطبّيّة، وعدم الاكتفاء بالطبّ النسائيّ»[4].

(1) من حديث للإمام الخمينيّ في قم، بتاريخ 1980/2/1م.
(2) من حديث للإمام الخمينيّ، بتاريخ 1979/3/29م.
(3) من حديث للإمام الخمينيّ في قمّ، بتاريخ 1979/3/6م.
(4) دور المرأة في الإسلام، لجنة التأليف في مركز المعارف للتأليف والتحقيق، ص12، نسخة إلكترونيّة.

التزاحم بين العمل وإدارة الأسرة

لم يبق مجال للشكّ في أنّ النظرة الموضوعيّة والعلميّة، الصحيحة والصحّيّة إلى عمل المرأة، تعتبر أنّ المرأة شريكٌ حقيقيّ وواقعيّ للرجل في أداء الوظائف والأعمال التي تنسجم مع تكوينها ووظيفتها، وتلبّي أهدافها وطموحاتها في الحياة. ولكنّ هذا يجب أن لا يتعارض مع وظيفة مهمّة وأساسية، ترتبط ببناء أفراد المجتمع وتربيتهم من خلال مجتمعها الصغير، وهو الأسرة. وهذا يعني أنّ أعمال المرأة يجب أن تتّفق مع سياقات الدين التي تنظّم علاقات الأفراد بعضهم ببعض على قاعدة تماسك أوصال الأسرة واستحكام بنيانها. ومن هذه السياقات مسألة التوافق بين الزوجين حول خروج المرأة من البيت، باعتباره أحد متطلّبات عمل المرأة في أغلب الأحيان، ولا يُعتبر إذن الزوج مقيّدًا للمرأة إلّا في حالات محدودة[1].

في عُرف الثقافة السائدة، عادة ما يكون هناك توافق ضمنيّ بين الزوجين حول هذه المسألة. لكن إذا برز اختلاف بين الطرفين استعصى على التشاور، في هذه الحال ينبغي للمرأة الّتي تؤثر حفظ كيان أسرتها، أن تطوي كشحًا عن العمل الخارجيّ، وتكتفي بالعمل المنزليّ.

إنَّ لتشابك العلاقات الاجتماعيّة وتعقيداتها من التأثير في «لاوعي» المجتمعات؛ ما رسّخ للأسف قناعة لا عند النساء فحسب، بل عند الرجال أيضًا، مفادها أنَّ عمل المرأة مسؤوليّة وواجب، الأمر الذي خلق اهتمامًا في أيّامنا هذه بوجوب مشاركة المرأة في الإنفاق على الأسرة، فصيَّر الأمر سلوكًا إجباريًّا بعد أن كان مبادرةً اختياريّة. وفي هذا السياق، لو قارنّا عمل المرأة مع حاجة الأبناء الماسَّة إلى أمّهم، فسنجده مسؤوليّةً تافهة لا تستحقّ الذكر»[2].

(1) وهي الحالات التي يتنافى فيها عمل المرأة مع الحقوق الشرعيّة للرجل، فتُقدَّم الحقوق على عمل المرأة.

(2) مجلّة الحياة الطيّبة، العدد 18، خريف2005، ص347 اتفاقيّة القضاء على جميع أشكال التمييز ضدّ المرأة دراسة فقهيّة قانونيّة، فريبا علا.

فتربية الأبناء لا تعني رعاية أجسادهم فحسب، وتأمين مستلزماتهم كافّة من مأكل ومشرب وملبس...، بل إنَّ اللبنة الأساس للعمليّة التربويّة هي غرس القيم الدينيّة والخلقيّة في نفوسهم، وتأمين احتياجاتهم النفسيّة والعاطفيّة؛ وهذا الأمر لا يتحقّق إلّا بالوجود الفعليّ للأمّ بين أفراد أسرتها.

وفي هذا الصدد، يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله:

«يجب أن لا يلقي هذا العمل بظلاله على العمل الأساس للمرأة، الذي هو عمل الأسرة والزوجيّة والأمومة والتدبير المنزليّ. نحن موافقون على العمل والمشاركة، على ألا تؤثّر وتضرّ بهذه المسألة الأصليّة؛ لأنّه لا بديل عن المرأة فيها. فإن لم تقمن بأنفسكنّ بتربية أبنائكنّ في المنزل، أو لم تقمن بفكّ عقد خيوط عواطف الطفل الظريفة جدًّا - التي هي أنعم من خيوط الحرير - حتّى لا يتعقّد عاطفيًّا، فلا يمكن لأيّ أحد آخر أن يقوم بهذا العمل، لا أبوه، ولا غيره بطريق أولى. إنّه عمل الأمّ فقط. أمّا ذلك العمل الذي لديكنّ في الخارج، فإن لم تقمن به أنتنّ، فإنّ هناك عشرة أشخاص آخرين سيقومون بهذا العمل. بناءً على هذا، فإنّ الأولويّة هي للعمل الذي لا بديل عنكنّ فيه، هذا هو المطلوب والمتعيّن»[1].

ضوابط وأحكام عمل المرأة

بعد إثبات أنّ عمل المرأة من الحقوق الطبيعيّة لها، يجب بيان مجموعة الضوابط والشروط التي وُضعت لعمل المرأة، بلا فرق بين العمل المأجور أو العمل الطوعيّ والتبرّعيّ. وهي تتضمّن عدم تعارض العمل مع الحقوق الزوجيّة للزوج، وأن لا يكون العمل على حساب إدارة تنظيم الأسرة. إضافةً إلى ذلك، الالتزام بمراعاة الحدود الشرعيّة في الستر، والكلام مع الآخرين، وعدم ارتكاب المحرّم أو ما يؤدّي إليه[2]. يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «الإسلام يؤيّد عمل المرأة، بل لعلّه يعتبره لازمًا عندما لا يزاحم عملها الأساس، الذي هو أمّ أعمالها، أي تربية الأولاد والمحافظة على الأسرة. ولا يمكن للبلد أن يستغني عن طاقة

(1) خطاب الإمام الخامنئيّ دام ظله في لقاء مجموعة من النساء النخبة، بمناسبة ذكرى ولادة السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام، في طهران، بحضور جمع من النساء النخبة في المجتمع، بتاريخ 2014/04/19م، 1393/01/30هـ.ش.، 1435/06/19هـ.ق.

(2) لقد قمنا ببيان هذه الضوابط الشرعيّة بشكل مفصّل ضمن درسي الاختلاط (1) و(2)، ودرس الحجاب ومواكبة العصر.

العمل عند النساء في المجالات المختلفة. ولكنّ هذا العمل يجب أن لا يتنافى مع كرامة المرأة، وقيمتها المعنويّة والإنسانيّة»[1].

وقد حدّدت الشريعة الإسلاميّة أحكامًا خاصّة بعمل الزوجة، أبرزها الأحكام الآتية:

أ- من حقّ الزوجة أن تشترط على الزوج أن لا يمنعها من العمل في عقد الزواج.

ب- أن يوافق الزوج على عمل زوجته بالتفاهم بينهما؛ إذا أرادت العمل من غير شرط مسبق. وإذا لم يوافق الزوج على عمل زوجته، فلا يعني ذلك أنّ الشريعة الإسلاميّة هي التي منعت المرأة من العمل، بل إنّ ذلك يعود للعلاقة بين الزوج وزوجته.

ج- إذا تزوّجت المرأة، وكانت قد أجّرت نفسها للخدمة مدّة معيّنة مع آخرين، فإنّ عقد العمل لا يبطل، وإن كان العمل منافيًا لحقّ الزوج.

د- إذا تعاقدت الزوجة على إجارة نفسها للخدمة من غير علم الزوج، توقّفت صحّة الإجازة على موافقة الزوج في ما ينافي حقوق الزوج، وينفّذ العقد في ما لا ينافي حقّه.

هـ- يسري حكم إجارة المرأة نفسها - بالمعنى الفقهيّ - للخدمة على كلّ عقد عمل تبرمه المرأة.

(1) خطاب الإمام الخامنئيّ دام ظله بمناسبة مولد الصدّيقة الزهراء عليها السلام، في طهران، بحضور جموع من أعضاء المراكز والجامعات الثقافيّة والسياسيّة وأسر الشهداء، بتاريخ 1413/06/21هـ.ق.

المفاهيم الرئيسة

1. إنّ مهمّة الاستخلاف، وإعمال الأرض، واستخراج خيرات الطبيعة والتمتّع بها، واحدة لجميع البشر، ذكورًا وإناثًا. قال تعالى مخاطبًا الإنسان، ذكرًا وأنثى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1].
2. إنّ الأصل في الشريعة الإسلاميّة هو إباحة العمل، بل إيجابه في بعض الأحيان، إلاّ ما حُرّم في الشريعة، أو ما أدّى إلى الوقوع في المحرّم، بلا فرق بين الرجل والمرأة.
3. إنّ دوافع المرأة نحو العمل كثيرة ومتعدّدة؛ كالحاجة إليها في وظائف يجب أن تؤدّيها المرأة تحديداً في المجتمع الإسلاميّ، بل حتّى لو كان عملها من باب التطوّر وتحقيق الطموح والتقدّم العمليّ والعلميّ، فهو من الأمور الراجحة والمقبولة؛ لأنّ المرأة بهذا تعيش الأمل الذي يعطيها الثقة بالنفس، والمثابرة والقوّة في حضورها الإيجابيّ في المجتمع، ما ينعكس استقرارًا على الشخصيّة، وعلى مجتمعها الخاصّ والصغير، المتمثّل بالزوج والأسرة. بل قد يكون محرّكًا للإبداع عند المرأة في مجالات عملها المختلفة، كما أثبتت التجربة.
4. يجب أن لا يتعارض عمل المرأة مع وظيفة مهمّة وأساسيّة ترتبط ببناء أفراد المجتمع وتربيتهم، من خلال مجتمعها الصغير، وهو الأسرة. وهذا يعني أنّ أعمال المرأة يجب أن تتّفق مع سياقات الدين التي تنظّم علاقات الأفراد بعضهم ببعض، على قاعدة تماسك أوصال الأسرة واستحكام بنيانها.
5. يوجد مجموعة من الضوابط والشروط التي وُضعت لعمل المرأة، بلا فرق بين العمل المأجور أو العمل التطوّعي والتبرّعيّ. وهي تتضمّن:
   أ. عدم تعارض العمل مع الحقوق الزوجيّة للزوج. ب. وأن لا يكون العمل على حساب إدارة تنظيم الأسرة. ج. إضافةً إلى ذلك، الالتزام بمراعاة الحدود الشرعيّة في الستر، والكلام مع الآخرين، وعدم ارتكاب المحرّم أو ما يؤدّي إليه.
6. حدّدت الشريعة الإسلاميّة أحكامًا خاصّة تتعلّق بعمل الزوجة.

(1) سورة الحج، الآية 65.

الدرس العاشر

المرأة والجهاد

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يبيّن الميدان الأوّل لجهاد المرأة.

2 . يشرح دور المرأة في الثورات والجهاد العسكريّ.

3 . يحدّد موقف الشرع من مشاركة المرأة في القتال.

المرأة صانعة الإنسان

قدّم الإسلام النموذج الأكمل والأمثل للمرأة، فقد أراد لها أن تكون إنسانًا، ترقى بما وهبها من قدرات وطاقات في مدارج التكامل المعنويّ، لتحقّق أسمى درجات القرب الإلهيّ، وأن تحيا حياة طيّبة بالإيمان والعمل الصالح: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾[1].

لقد أعطى الإسلام المرأة القيمة الحقيقيّة، التي لم تستطع كلّ الحضارات السالفة أن تقدِّمها لها؛ لأنّه نظر إليها على أنّها إنسانٌ ذو قيمة، لا تقلّ شأنًا عن الرجل، فكان خطابه إليهما واحدًا بالأمر باتّباع الحقّ وترك الباطل: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[2]، وواحدًا في قبول الأعمال: ﴿أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ﴾[3]، وواحدًا في «التلبّس بكرامة الدين» [4]، وفي الفضائل الأخلاقيّة التي يجب التحلّي بها، وواحدًا في الأجر عليها: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[5].

كما خصّ الله تعالى المرأة بالعاطفة، وجعل هذه العاطفة سبيلها في التأثير في من حولها، وقوّة

---

(1) سورة النحل، الآية 97.

(2) سورة الأنعام، الآية 153.

(3) سورة آل عمران، الآية 195.

(4) العلّامة الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، ج 16، ص 313.

(5) سورة الأحزاب، الآية 35.

تركن إليها في بناء الإنسان وتوجيهه نحو الحقّ. فالعديد من الذين خلَّد التاريخ أسماءهم، لو بحثنا عن سبب نجاحاتهم، لوجدناه مقترنًا باسم امرأة كانت، بشكل مباشر أو غير مباشر، المؤثِّر الأبرز في حياتهم. فكانت المرأة، أمًّا، أو أختًا أو زوجًا، شريكة الإنسان في نجاحه.

فكربلاء، مدرسة الفداء والإيثار، ومدرسة الولاية والشهادة، هي نفسها مدرسة المرأة الصالحة التي كانت خلف الرجل في تقدّمه وإيثاره وانتصاره. المرأة النموذجيّة التي أدركت الواجب والتكليف الذي أراده الله لها، والذي شرّفها به. فأيّ عمل أشرف وأقرب إلى الله تعالى من صناعة الإنسان وبنائه؟ وأيّ عمل أرقى وأنفع من أن يكون الإنسان وسيلة لوصول عباد الله إلى طاعة معبودهم والفناء بقربه؟ فهذه السيّدة زينب عليها السلام جسّدت في عاشوراء، النموذج الأعظم للأخت التي خطت درب الشهادة مع أخيها الحسين عليه السلام، خطوة خطوة. و«أمّ وهب بن حباب» الأمّ التي أبت لابنها البقاء في حضن الأمومة، ووهبته لحضن الولاية شهيدًا. و«زوجة زهير بن القين»، الزوجة التي لم ترضَ لزوجها إلّا نصرة إمام زمانها، واللّحاق بركبه، وما كان ليقوَى على ذلك لولا دفعها وتشجيعها.

وقد أوجز الإمام الخامنئيّ دام ظله في كلام له، الدور الأكمل الذي يحقّق للمرأة قيمتها بقوله: «إنّ قيمة المرأة هي أن تجعل جوّ الحياة جنّة ومدرسة، وجوًّا آمنًا ومنطلقًا للعروج نحو المعارف المعنويّة والمنازل المعنويّة، لها ولزوجها ولأبنائها. وعندما يستدعي الواجب يمكنها أن تؤثّر في مصير البلاد، وتؤدّي دورًا في تحديد مصير المجتمع»[1].

إذا أدركت المرأة عظم التكليف الذي أُوكل إليها، وعظم ما منحها الله من قدرات تتوسّل بها لإتمام هذا التكليف، لعلمت أنّ سلوك الطريق إلى الله سيكون بأداء الأمانة حقّها، وجعل ما لديها مسخّرًا في سبيل الحقّ، ولقدّمت أجمل الدروس في العبوديّة، واستحقّت قول الإمام الخمينيّ قدس سره: «المرأة مظهر تحقّق آمال البشريّة، وهي مربّية النساء والرجال الأفاضل. من حضن المرأة يسمو الرجل في عروجه، فهو مهد تربية نساء ورجال عظام»[2].

(1) المرأة علم عمل وجهاد، لجنة التأليف في مركز المعارف للتأليف والتحقيق، دار المعارف الإسلاميّة الثقافيّة، لبنان - بيروت، 2003م - 1424هـ، ط1، ص50-51.

(2) الإمام الخمينيّ، مكانة المرأة في فكر الإمام الخمينيّ، لا.م، مؤسّسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخمينيّ - قسم الشؤون الدوليّة، لا.ت، لا.ط، ص61، من كلمة الإمام الخمينيّ في جمع من النساء بمناسبة يوم المرأة، بتاريخ 1979/05/17م.

ميدان المرأة الأوّل

إنّ تحديد الميدان الأوّل للمرأة، الذي عليها السعي لخوضه بنجاح، ليكون سبيلًا لها في تحقيق تكاملها، يحتّم النظر إليها من جنبتين:

أولاهما: ما تشترك به مع الرجل، وهو الجوهر الوجوديّ الواحد ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[1]. فالآية القرآنيّة تبيِّن أنّ للرجل والمرأة حقيقة واحدة، وهي الحقيقة الإنسانيّة، وأنّ الخطاب الذي وُجّه إليهما واحد، وهو دعوة إلى تقوى الله في أنفسهما[2].

وثانيهما: ما تختلف به عن الرجل من صفات وخصائص، سواء ما امتازت به عنه كالعاطفة، أو ما اختُصَّت به من الإنجاب وغيره.

وبالجمع بين هاتين الجنبتين، وبالنظر إلى النصوص القرآنيّة التي تحدّثت عن سرّ خلق المرأة: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3]، يمكن معرفة الميدان الأوّل للمرأة، الميدان الذي يمكّنها من أن تجعل ما منحها الله وخصّها به سبيلًا لتحقيق التقوى؛ إذ أُعطيت المرأة الأصالة في إيجاد السكينة والاستقرار النفسيّ، وجُعلت الأصل في بناء أسرة قائمة على الحنان والمحبّة، والمسؤولة عن صلة الرحم. «فالرحم في الأصل هو العضو الداخليّ منها، المعبّأ لتربية النطفة وليدًا، ثمّ استُعير للقرابة بعلاقة الظرف والمظروف، لكون الأقرباء مشتركين في الخروج من رحم واحد. وقد اعتنى القرآن الشريف بأمر الرحم، كما اعتنى بأمر القوم والأمّة، فإنّ الرحم مجتمع صغير، كما أنّ القوم مجتمع كبير»[4]. لذا، اعتُبرت المرأة مبدأ تربية المجتمع الصغير، والحاضنة له بصورة صحيحة، لتوفير مستلزمات ازدهار المجتمعات الكبرى.

من هنا، يمكن القول إنّ أوّل ميدان يقع على عاتق المرأة، هو ميدان الأسرة وتربية الأفراد

(1) سورة النساء، الآية 1.
(2) انظر: العلّامة الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، ج4، ص 134.
(3) سورة الروم، الآية 21.
(4) العلّامة الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، ج4، ص 138.

بالمحبّة والعطف. والإمام الخامنئي دام ظله أشار إلى هذا الأمر، وجعل الأسرة العمل الأوّل الذي على المرأة التوجّه إليه عند التزاحم، فقال: «إنّ النساء اللّواتي يمتنعن عن إنجاب الأولاد من أجل عملهنّ خارج البيت، فإنهنّ يتصرّفن على خلاف طبيعتهنّ البشريّة والنسويّة، والله لا يرضى بذلك. إنّ اللّواتي يتركن تربية الطفل وإرضاعه واحتضانه وبذل المحبّة والعطف له، من أجل الأعمال التي لا تتوقّف على جهودهنّ حصرًا، إنّهنّ يرتكبن خطأً كبيرًا»[1].

لكنّ هذا الأمر لا يعني أن تكون المرأة حبيسة دارها، لا دور لها سوى الإنجاب وتدبير شؤون المنزل؛ لأنّ هذه الوظيفة تستبطن في حقيقتها دورًا آخر عميقًا وبليغًا، وهو بناء الإنسان، الذي يحصل من خلال العلم والمعرفة. لذا، فإنّ النبع الذي تسقي منه الأمّ أولادها حنانًا وعطفًا، هو نفسه الذي يمكنها أن تغدق عليهم منه العلم والوعي، والتقوى والفضيلة والإيمان. وهذا يستلزم منها التأهّب والاستعداد، للنهوض بهذه الوظيفة على أكمل وجه، بأن تتوجّه لطلب العلم والتحلّي بالفضيلة والتقوى، ومتابعة أوضاع المجتمع الاجتماعيّة والسياسيّة.

بذلك، يمكن للمرأة أن تحتضن أسرتها لتزرع بها القيم والفضائل، وتوجّهها بطريقة واعية نحو طلب العلم والبحث عن الحقيقة، واكتشاف مكنونات النفس ومعرفتها، وتشجّعها لتسييرها في طريق الحقّ. وبذلك، يمكن للمرأة أن تكون نموذجًا لقدوة عمليّة، فعلها وعلمها وإيمانها يحكي عن شخصيّة المربّية الشجاعة، الّتي أرجع الإمام الخمينيّ نصر الأمّة إليها بقوله: «لو جرّدوا الأمم من النساء الشجاعات والمربّيات للإنسان، لانهزمت هذه الأمم وآلت إلى الانحطاط»[2].

المرأة في ميادين الجهاد والثورة

لمّا كانت المرأة لها من التأثير ما يمكّنها من أن تصنع إنسانًا، فإنّ تأثيرها يمكن أن يصيب جميع جوانب حياة الإنسان، ويظهر في جميع الساحات التي يتحرّك بها، ومنها الساحات الجهاديّة والحركات الثوريّة. وربّما كانت ساحات الجهاد هذه، من أبرز الساحات التي تعكس أهمّيّة دور المرأة ومدى تأثيرها، سواء بالعمل المباشر الذي يرتبط بحضورها الشخصيّ

(1) الإمام الخامنئيّ دام ظله، مكانة المرأة في الإسلام.
(2) الإمام الخمينيّ قدس سره، مكانة المرأة في فكر الإمام الخمينيّ، من حديث في جمع من نساء قمّ، بتاريخ 1979/3/6م.

في هذه الميادين، أو غير المباشر، حيث تكون هي الرافد والدافع الأساسيّ للرجل فيها.

فالمرأة هي التي تربّي جنودًا وقادةً ليكونوا بواسل في ميدان الجهاد، بتحمّل الصعاب لنيل إحدى الحسنيين: إمّا النصر وإمّا الشهادة. والإمام الخامنئيّ دام ظله، يشير في كلامه إلى أثر المرأة في ميدان الجهاد بقوله: «الرجل الذي يحمل سلاحًا، وينطلق إلى ميدان الجهاد والشهادة، هو في الحقيقة وليد بيئة صنعتها له امرأة، سواء كانت أمًّا أو أختًا أو زوجةً»[1].

إذًا، المرأة هي شريكة الرجل في جهاده، وحضورها المتميِّز هو ما يسهّل له مقدّمات النصر. وما ورد عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**أيُّما امرأة أعانت زوجها على الحجّ والجهاد أو طلب العلم، أعطاها الله من الثواب ما يعطي امرأة أيّوب عليه السلام**»[2]، وما وعد الله المرأة من الثواب، دليل على أنّ إعانة المرأة للرجل في ميدان الجهاد، هي ركنٌ أساسيّ تتقوّم به الحركة الجهاديّة.

منذ صدر الإسلام، سجّلت المرأة حضورًا بارزًا في ساحات الجهاد، وسيرة السيّدة فاطمة عليها السلام خير شاهد على ذلك، لما تزخر به من المواقف الجهاديّة، التي تُعتبر نهجًا يُتبع وقدوة يُحتذى بها. فقد بدأت عليها السلام رحلة الجهاد منذ الطفولة في مكّة مع والدها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بمعاناته مع المشركين والكفّار. وأكملت رحلتها بعد الهجرة إلى المدينة، زوجةً لقائد أغرّ في ميادين الحرب والجهاد. وهذا ما يمكن اختصاره بكلام للإمام الخامنئيّ دام ظله، بقوله: إنّها عليها السلام «تُعتبر شخصيّة مميّزة، بحيث إنّ جميع النساء المجاهدات والثوريّات والمميّزات والسياسيّات في العالم يمكنهنّ أن يأخذن الدروس والعبر من حياتها القصيرة والمليئة بالمحتوى والمضمون»[3].

ولا يتمّ الحديث عن دور المـرأة في ساحات الجهاد، من دون ذكر السيّدة زينب عليها السلام، وكلام الإمام الخامنئيّ دام ظله بحقّها، إذ يقول: «في الواقع، إنّ كربلاء من دون زينب عليها السلام ما كانت لتبقى»[4]، وهذا يبرز ما كان لها من حضور أساسيّ في المعركة، ودور رساليّ فعّال في تحقيق النصر. فبعد أن شهدت قتل أخيها وإمام زمانها،

(1) الإمام الخامنئيّ دام ظله، المرأة علم عمل وجهاد، لجنة التأليف في مركز المعارف للتأليف والتحقيق، ص 47.
(2) الشيخ الطبرسيّ، مكارم الأخلاق، ص 201.
(3) الإمام الخامنئيّ، إنسان بعمر 250 سنة، ص119.
(4) المصدر نفسه، ص 180.

وقدّمت أبناءها شهداء، نهضت بحمل ثقيل لتحرس الأطفال والنساء، ثمّ وقفت أمام العدوّ بعظمة، وخاطبته بلسان فصيح بليغ، لتعلن له هزيمته بقول لا يزال صداه يهزّ أركانه: «**ما رأيت إلّا جميلًا**»[1].

أمّا الحضور المباشر للمرأة في ساحات الحرب، فقد كان مشهودًا في صدر الإسلام. كانت المرأة تحضر في ميدان الحرب، وتتولّى مهامّ معالجة الجرحى في ساحة المعركة، وأحيانًا كانت تبارز بالسيف خلال الحروب الشديدة إن اقتضت الضرورة.

يَنقل العلامة المجلسي في البحار يقول: «نَسِيبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ الْمَازِنِيَّةُ كَانَتْ تَخْرُجُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزَوَاتِهِ تُدَاوِي الْجَرْحَى، وَكَانَ ابْنُهَا مَعَهَا؛ فَأَرَادَ أَنْ يَنْهَزِمَ وَيَتَرَاجَعَ، فَحَمَلَتْ عَلَيْهِ، فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّ، إِلَى أَيْنَ تَفِرُّ عَنِ اللَّهِ وَعَنْ رَسُولِهِ؟! فَرَدَّتْهُ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ فَقَتَلَهُ، فَأَخَذَتْ سَيْفَ ابْنِهَا فَحَمَلَتْ عَلَى الرَّجُلِ فَضَرَبَتْه»[2].

وفي زماننا المعاصر، شهدت كلّ الساحات الجهاديّة في وجه الطواغيت حضور المرأة، ليكون لها سهم في تحقيق النصر، ولتكون - كما وصفها الإمام الخمينيّ قدس سره - «في صفّ جنود الإسلام، وعلى قدم المساواة مع نساء صدر الإسلام»[3]، سواء بحضورها خلف الجبهات وتأمين احتياجات المجاهدين من طعام ولباس، أو بمداواة الجرحى وإسعافهم، وغير ذلك من المهمّات التي تُعتبر مقدّمة للعمل الجهاديّ، وسببًا لاستمراره وتحقيق أهدافه المقدّسة، أو في مشاركتها في الثورات. وكلام الإمام الخامنئيّ بحقّ النساء اللواتي شاركن في الثورة الإسلاميّة، يبيّن الدور البارز للمرأة في تفعيل هذه الحركات الثوريّة. يقول: «لو لم تنضمّ النساء إلى الثورة، لما انتصرت، ولما خرج الشباب من البيوت للالتحاق بصفوفها. لو لم تسمح أمّهاتهم بذلك، ولم يشجّعْنَهم على الأقلّ، ولو لم تعشق النساء الثورة، لما ضحّى الرجال هكذا بكلّ حرّيّة في سوح الثورة»[4].

(1) العلّامة المجلسيّ، بحار الأنوار، ج 45، ص 116
(2) المصدر نفسه، ج20، ص23.
(3) الإمام الخمينيّ، المرأة في فكر الإمام الخمينيّ، ص210، من حديث له في جمع من نساء قمّ، بتاريخ 1979/3/6.
(4) من كلمة الإمام السيّد عليّ الخامنئيّ دام ظله في لقائه عددًا من الممرّضات، بمناسبة ذكرى ميلاد السيّدة زينب الكبرى عليها السلام ويوم الممرّضة، بتاريخ 1370/8/22 هـ.ش.

يقول الإمام الخمينيّ قدس سره: «الشعب الذي توجد نساؤه في ساحات النضال ضدّ القوى العظمى، وفي مواجهة القوى الشيطانية، ويكنّ سبّاقات في ذلك على الرجال، لهو شعب منتصر»[1]. وهذه القوى الشيطانيّة مهما تعدّدت وجوهها، تبقى لها هويّة واحدة، وهي الاستكبار، وجعل الشعوب مستضعفة راضخة تحت قوّة السلاح، ثم إغلاق باب الفكر الأصيل والنيّر. ومواجهة هذا العدوّ، مهما تعدّدت أشكاله، من ثورات وصرخات نضاليّة تهزّ عروشهم، إلى مشاركة فاعلة خلف الجبهات بإعداد مقاتل وتجهيز آخر، وتضميد الجراحات، تبقى هويّتها واحدة، وهي التسلّح بالعقيدة الراسخة، وتقديم كلّ ما يلزم في سبيل إعلاء كلمة الحقّ وحفظ الروح الإسلاميّة. وهنا يكمن الدور الأوّل للمرأة، بأن تبني نفسها على الإيمان والفكر الأصيل، لتغرس ذلك في بيئتها ومجتمعها، وتنطلق بعده إلى النضال والمواجهة بأشكالها الأخرى.

دور المرأة في القتال

إنّ الشريعة الإسلاميّة قد تكفّلت ببيان دور المرأة في القتال، وميّزت بين نوعين من الجهاد:

1. **الجهاد الابتدائيّ:** هو جهاد المشركين ابتداءً لدعوتهم إلى الإسلام.
2. **الجهاد الدفاعيّ:** يكون عندما تتعرّض بلاد الإسلام للغزو والهجوم من قبل العدوّ.

ثمّ بيّنت الشريعة شروط من يجب عليهم الجهاد بنوعيه. ففي النوع الأوّل، تُعتبر الذكوريّة شرطًا في من يجب عليهم الجهاد، فيسقط عن المرأة. أما في النوع الثاني، فالدفاع واجب على القادر، سواء الرجل أو المرأة، بلا فرق بينهما، وهذا ما أفتى به مراجعنا العظام. فالإمام الخمينيّ قدس سره يقول: «الجهاد غير واجب على النساء، ولكنّ الدفاع واجب على كلّ فرد في حدود القدرة والاستطاعة»[2].

كما أنّ الإمام الخامنئيّ دام ظله يقول في هذا الأمر:

«إنّه في حال الجهاد الدفاعـيّ كما هو قائم اليوم، فإنّ واجب الجهاد يتوجّه إلى جميع

(1) الإمام الخمينيّ، مكانة المرأة في فكر الإمام الخمينيّ، ص180، من نداء إلى الشعب الإيرانيّ بتاريخ 1978/01/22م.
(2) الإمام الخمينيّ، الاستفتاءات، ج1، ص 503.

المكلّفين، سواء أكانوا رجالًا أم نساءً. بل يجب عليهم حمل السلاح والمواجهة إذا تطلّب الدفاع ذلك. إلّا أنّ هذا يحتاج إلى تشخيص القيادة، وما تضعه من خطط وتقسيم الأدوار بحسب ما تراه مناسبًا، من مصلحة جهاديّة تخدم العمل العسكريّ والمقاوم بشكل عامّ. فإذا شخّصت القيادة ضرورة مشاركة المرأة في حمل السلاح والقتال المباشر مع العدوّ، وجب عليها القيام بذلك...، أمّا إذا ما وجب الجهاد على المرأة، لزم أن تتحقّق المقدّمات التي تمكّنها من أداء هذا الواجب، وهذا ما نجده صريحًا في كلام الإمام الخمينيّ قدس سره: «إذا ما كان الدفاع واجبًا على الجميع، ينبغي أن تُهيَّأ مقدّمات الدفاع أيضًا، ومن جملة ذلك موضوع التدريب العسكريّ، وتعليم فنون القتال لمن لا يجيدها. فالأمر ليس بهذه الصورة، بأنّه يجب علينا الدفاع، ولكن لا ندري كيف ندافع. بل يجب أن نتعلّم كيف ندافع»[1].

لكن، لا يخفى أنّ هذه التدريبات والاستعدادت للقيام بهذا الواجب، يجب أن تكون تحت ظلّ الأحكام الشرعيّة، بحيث لا تخلّ بحجاب المرأة، ولا تخدش عفّتها وسترها. وهذا ما بيّنه الإمام الخمينيّ قدس سره في كلامه: «ومن الطبيعيّ أنّ المحيط الذي تتدرّبْن فيه على الفنون العسكريّة، يجب أن يكون محيطًا سالمًا، محيطًا إسلاميًّا، وأن تُراعى فيه جوانب العفاف وجميع الشؤون الإسلاميّة»[2].

المرأة ودورها السياسيّ

لا ريب في أنَّ المشاركة في الحياة السياسيّة تعدُّ من الأدوار الاجتماعيّة للمرأة، التي أكّدتها الشريعة الإسلاميّة.

وقد سطّر التاريخ الإسلاميّ مواقف سياسيّة عديدة للنساء في عهد صدر الإسلام، أبرزها مشاركتهنّ في بيعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وفي الهجرة مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ومشاركتهنّ في الإصلاحات السياسيّة؛ كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث كان النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، يوجّه دعوته

(1) الإمام الخمينيّ، مكانة المرأة في فكر الإمام الخمينيّ، ص207، من حديث في جمع من النساء بمناسبة يوم المرأة، بتاريخ 1986/2/10م.

(2) المصدر نفسه، ص208.

منذ اليوم الأوّل إلى جميع الشرائح الاجتماعيّة. وكنتيجة طبيعيّة لهذه الدعوة، لبّت المرأة نداء النبيّ ﷺ، بأداء دورها الرساليّ وحضورها في الميادين المختلفة؛ ومنها الميدان السياسيّ. ينقل المؤرّخون أنَّ امرأة اسمها «هفراء بنت عبيد بن ثعلبة»، شاركت في أوّل بيعة جرت مع النبيّ ﷺ قبل الهجرة في العقبة. وفي البيعة الثانية من السنة اللاحقة، حضرت امرأتان على الأقلّ. كما شارك الجميع في البيعة العامّة لأهل مكّة عند فتحها. وتطرّق القرآن أيضًا إلى قضيّة إقبال النساء على البيعة، وأمر النبيّ ﷺ بقبولها. قال تعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

وخلال الهجرة أيضًا، التي كانت تُمثِّل أمرًا بالغ الأهمّيّة للمسلمين، سواء الهجرة السرّيّة إلى الحبشة، التي شارك فيها ما يقرب من 20 امرأة من مجموع مئة شخص من المهاجرين، أو الهجرة إلى المدينة قبل هجرة النبيّ ﷺ، وبعد أن أودع المسلمون ـ أموالهم في مكّة، وكانوا يتّجهون إلى المدينة على أثر النبيّ ﷺ، ويجتازون حوالى 500 كيلومتر، متحمّلين الصعاب والمشاقّ[2].

هذه المواقف التي ذكرناها، وغيرها من المواقف السياسيّة للمرأة المسلمة، خيرُ دليل على أنّ الإسلام شجّع المرأة على أداء دورها السياسيّ، بل اعتبره واجبًا شرعيًّا واستجابة للدعوة الإلهيّة. وهذا ما أكّده الإمام الخمينيّ قدس سره في سياق الحديث عن دور النساء في الثورة الإيرانيّة الإسلاميّة، وتدخّلهنَّ في أمور البلاد؛ إذ قال: «من الذي استنفر هؤلاء النساء، حتّى يتدخّلنَ في جميع أمور البلاد تدخّلًا في محلّه؟ إنّ الله هو الذي دعاهنّ، إنّهنّ يُلبّين نداء الله»[3].

(1) سورة الممتحنة، الآية 12.
(2) مكانة المرأة وحقوقها في الإسلام، لجنة التأليف في مركز المعارف للتأليف والتحقيق، ص 226 (بتصرف).
(3) راجع صحيفة الإمام، ج13، ص 28.

المفاهيم الرئيسة

1. قدّم الإسلام النموذج الأمثل والأكمل للمرأة، وأعطاها قيمة حقيقيّة، لأنّه نظر إليها على أنها إنسان لا تقلّ شأنًا عن الرجل.
2. الوظيفة الأساس التي تتعيّن على المرأة، هي بناء الإنسان وتربيته.
3. على المرأة أن تستعدّ وتتأهّل لأداء وظيفتها . بناء الإنسان . وذلك بالإيمان وطلب العلم، ومواكبة أوضاع المجتمع الاجتماعيّة والسياسيّة وغيرها.
4. للمرأة دور بارز في الثورات والحركات الجهاديّة، بحضور مباشر خلف الجبهات، أو غير مباشر، بأن تكون الرافد والدافع للرجل في مشاركته.
5. حدّد الإسلام حجم مشاركة المرأة في القتال العسكريّ، فأوجب عليها الجهاد الدفاعيّ دون الابتدائيّ.

الدرس الحادي عشر

المرأة والحياء

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يتعرَّف إلى معنى الحياء.

2 . يبيّن مفهوم الحياء من خلال الآيات والروايات الشريفة.

3 . يشرح الآثار الشخصيّة والأسريّة والاجتماعيّة للحياء عند المرأة.

ما هو الحياء؟

الحياء لغة: «هو انقباض النفس عن الشيء القبيح، وتركه من أجل مخافة الذمّ، وبخلافه الوقاحة والبذاءة»[1]. قال ابن منظور: «الحياءُ: التوبة والحشمة»[2].

«وهو ملكةٌ نفسانيّةٌ توجب انقباض النفس وانزجارها من ارتكاب القبح العرفيّ أو العقليّ أو الشرعيّ، وهو من الصفات المحمودة في الإنسان، لتوسّطه بين طرفين مذمومين، هما: الوقاحة التي هي الجرأة على القبائح، والخجل الذي هو انحصار النفس عن الفعل الحسن»[3].

الحياء في الآيات والروايات

1. الحياء في الآيات:

أشار القرآن المجيد بشكل واضح وصريح إلى مفهوم الحياء ومظاهره، في العديد من آياته الشريفة، منها:

أ.الحياء من الله:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾[4]. والحياء ينبثق من الإيمان والعلم بأنّ الحق تعالى يرى ويعلم، فهو السميع الرقيب.

---

(1) الراغب الأصفهانيّ، مفردات ألفاظ القرآن، ص 270.

(2) ابن منظور، لسان العرب، ج3، ص429.

(3) الشيرازيّ، السيّد محمّد باقر الموسويّ الحسينيّ، لوامع الأنوار العرشيّة في شرح الصحيفة السجّاديّة، تصحيح مجيد هادي زاده، مركز البحوث الكمبيوتريّة التابع لحوزة أصفهان العلميّة، إيران - أصفهان، 1425هـ - 2004م، ط1، ج3، ص9.

(4) سورة العلق، الآية 14.

ب.الحياء في طريقة التكلّم:

قال تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾[1]. وهذا النوع من الحياء هو في طريقة التكلّم، فقد نهى الله تعالى المرأة عن ترقيق الصوت للرجل الأجنبيّ.

ج.الحياء في النظر:

قال تعالى: ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٣٠ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ﴾[2]. فقد أوجب الله على المؤمنين والمؤمنات غضّ البصر والامتناع عن النظر المحرّم، للوصول إلى الطهر والتزكية (ذلك أزكى لهم). وهذه المسألة من أبرز مظاهر الحياء من الله تعالى، على مستوى السلوك وحفظ الجوارح، ومنها البصر.

د. الحياء أثناء المشي:

قال تعالى: ﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ﴾[3]. تبيّن الآية الكريمة أنَّ ابنة نبيّ الله شعيب عليه السلام حين توجّهت إلى النبيّ موسى عليه السلام لتخاطبه كانت تمشي على استحياء، أي كان الحياء ظاهرًا من خلال طريقة المشي. وفي هذا إشارة للمرأة بوجوب الانضباط أثناء المشي، ووجوب التكلّل بثوب الحياء.

هـ.الحياء في التستّر:

إنَّ تبرّج المرأة وإظهار زينتها ومفاتنها مخالف للحياء، ومن هنا جاء الأمر الإلهيّ بالتستّر، ونهى عن إبراز الزينة، صونًا للمرأة وحفظًا لحيائها. قال تعالى: ﴿وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ﴾[4].

(1) سورة الأحزاب، الآية 32.
(2) سورة النور، الآيتان 30 - 31.
(3) سورة القصص، الآية 25.
(4) سورة النور، الآية 31.

و.الحياء عند دخول البيوت والاستئذان:

دعت الشريعة الإسلاميّة إلى تربية النفس على الحياء، وبيّنت مظاهره من خلال آداب الاستئذان وأحكامه، فقد قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَـٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَـٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾[1].

ز.الحياء في الضيافة:

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ﴾[2]. الآية في منطوقها تبيّن آداب التعامل مع الرسول ﷺ، والالتزام بالحياء أثناء استضافة الرسول ﷺ للقوم. كما يشير لنا مفهوم الآية إلى أن آداب الضيافة والزيارة بشكل عامّ تسري في كلّ زمان ومكان، وهذا مظهر من مظاهر الحياء وتجلّياته على مستوى العلاقات الاجتماعيّة.

ح.الحياء والتعفّف الاقتصاديّ:

من أبرز وجوه حياء الإنسان المؤمن الامتناع عن سؤال الناس، والتعفّف عن طلب الحوائج منهم، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ ضَرۡبٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعۡرِفُهُم بِسِيمَىٰهُمۡ لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗاۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾[3].

2. الحياء في الروايات:

عندما نستقرئ الروايات الشريفة التي تناولت مسألة الحياء، نلاحظ أنَّ طائفة من هذه الروايات خطابها عامّ موجّهٌ للرجل والمرأة على حدّ سواء، كقول رسول الله ﷺ: «**إنَّ**

(1) سورة النور، الآية 58.
(2) سورة الأحزاب، الآية 53.
(3) سورة البقرة، الآية 273.

لكلّ دين خلقًا، وإنّ خلق الإسلام الحياء»[1]. وقوله ﷺ أيضًا: «**الحياء من الإيمان**»[2].

بينما طائفة أخرى من الروايات قد خصّت المرأة بالحياء والعفّة، وأكّدت زيادة الحياء عند النساء. فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**الحياء عشرة أجزاء، تسعة في النساء وواحد في الرجال**»[3]. وتشير بعض الروايات إلى أنّ الله تعالى صان النساء بقوّة حيائهنّ، فقد ورد عن النبيّ ﷺ: «**... ولكنّ الله صانهنّ بزيادة حيائهنّ**»[4].

والسبب في تخصيص المرأة بالحياء والعفّة، يكمن في مكانة المرأة ودورها، وفي كونها قلب المجتمع، ونبضه الذي يضخّ القيم والفضائل. فإن صلحت المرأة صلح المجتمع بأكمله، وإن خلعت المرأة ثوب الحياء، فسد المجتمع وازداد تيهًا وضلالا.

فصون المرأة صونٌ للمجتمعات البشريّة، وضمانة لعدم انحرافها وفسادها. لذا، نجد أنَّ الإمام المهديّ عليه السلام خصّ النساء في الدعاء بالتحلّي بهذين الخلقين العظيمين، فقال عليه السلام: «**وتفضّل... على النساء بالحياء والعفّة**»[5].

آثار الحياء عند المرأة

إنّ المنظومة الإلهيّة الأخلاقيّة ذات صبغة اجتماعيّة وتربويّة، تهدف إلى بناء الفرد والمجتمع. والحياء هو أساس هذه القيم الأخلاقيّة، وفتّاحٌ لكلّ الفضائل الأخرى. وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى هذه الحقيقة في قوله: «**الحياء مفتاح كلّ الخير**»[6].

(1) الميرزا حسين النوري الطبرسيّ، مستدرك الوسائل، ج8، ص466.

(2) العلّامة المجلسيّ، بحار الأنوار،ج 51، ص385.

(3) المصدر نفسه،ج 100، ص245.

(4) عن سعد بن طريف، عن الأصبغ بن نباتة قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «خلق الله الشهوة عشرة أجزاء، فجعل تسعة أجزاء في النساء، وجزءًا واحدًا في الرجال. ولولا ما جعل الله فيهن من الحياء على قدر أجزاء الشهوة، لكان لكلّ رجل تسع نسوة متعلّقات به». انظر: الكلينيّ، الكافي، ج5، ص481، باب فضل شهوة النساء على شهوة الرجال.

(5) الشيخ جواد القيّومي، صحيفة المهديّ عليه السلام، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقمّ المشرّفة، إيران - قم، 1375 ش، ط2، ص20.

(6) التميميّ الآمدي، عبد الواحد بن محمّد، تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم، تحقيق وتصحيح مصطفى درايتي، مكتب الإعلام الإسلاميّ، إيران - قمّ، 1407هـ، ط1، ص 257.

كما أنّ اتّصاف المرأة بالحياء، يُساهم في بلورة شخصيّتها الإنسانيّة التي أرادها لها الإسلام، إذ جعل المرأة جوهرة مصونة من التلوّث والانحراف والعرض أمام الآخرين. فإذا استطاعت صون نفسها وحمايتها، فهي على غيرها أقدر، وإلّا ففاقد الشيء لا يعطيه. ولحياء المرأة ثمارٌ متنوّعة تجنيها على الصعيد الشخصيّ والأسريّ والمجتمعيّ.

1. الآثار الشخصية:

هي مجموعة الخصال الحميدة والفضائل والمقامات المعنويّة، التي تجنيها المرأة إن تمسّكت الحياء واكتست به. منها:

أ. ازدياد اليقين: الحياء يزيد اليقين عند الإنسان، وقد أشار النبيّ الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم إلى ذلك بقوله: «**استح من الله استحياءك من صالحي جيرانك، فإنّ فيها زيادة اليقين**»[1].

ب. محو الذنوب: الحياء يزيل الذنوب والمعاصي وجميع الموبقات والخطايا. فكلّما استحى الإنسان من الله تعالى أكثر، زالت ذنوبه بقدر حيائه منه تعالى. ويشير الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام إلى هذه المعادلة الإلهيّة في قوله: «**الحياء من الله يمحو كثيرًا من الخطايا**»[2].

ج. الوقاية من فعل القبيح: الحياء بكلّ أقسامه وصوره يكون للإنسان كالدرع الحصين الّذي يحمي الإنسان من كلّ القبائح، ويصدّ عنها. وقد ورد عنه عليه السلام: «**الحياء يصدّ عن فعل القبيح**»[3].

د. العفّة: عُرّفت العفّة بأنها انقياد القوّة الشهويّة للعاقلة في ما تأمرها به وتنهاها عنه، حتّى تكتسب الحريّة وتتخلّص من أسر عبوديّة الهوى[4].

(1) العلّامة المجلسيّ، بحار الأنوار، ج78، ص200.

(2) التميميّ الآمدي، تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم، ص257، وورد عنهم عليهم السلام: «أربع مَنْ كنَ فيه وكان من قرنه إلى قدمه ذنوبًا، بدّلها الله تعالى حسنات: الصدق، والحياء، وحسن الخلق، والشكر»، الكافي، ج2، ص221.

(3) التميميّ الآمدي، تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم، ص257.

(4) النراقيّ، الملّا محمّد مهدي، جامع السعادات، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان - بيروت، 2002م، ط 7، ج1، ص 70.

وتُعدّ العفّة من أعظم الفضائل الأخلاقيّة والإنسانيّة، وأشرف الصفات التي يجب أن تتحلّى بها المرأة، ولا ينبغي أن تتخلّى عنها. وقد عُدّ العفاف زكاة الجمال، كما عبّر أمير المؤمنين عليه السلام: «**زكاة الجمال العفاف**»[1].

فالعفاف يوجب ضبط النفس وحفظها عن الرذائل والمعاصي، وخصوصاً لدى المرأة الّتي في صيانتها لنفسها ضمانة لصيانة المجتمع، وقد جُعلت الصيانة من أبرز ثمار العفّة، كما عبّر أمير المؤمنين عليه السلام: «**ثمرة العفّة الصيانة** »[2].

وهناك علاقة تلازميّة بين العفّة والحياء، فبمقدار ما تمتلك المرأة من حياء، تنعكس عفّتها وتتجلّى في سلوكها وتصرّفاتها. وقد رُوي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**على قدر الحياء تكون العفّة**»[3].

وتُعتبر العفّة من أهمّ القيم الإنسانيّة التي تصون المرأة وتحفظ كرامتها. وقد أشار الشهيد مطهّري إلى هذه الحقيقة في سياق التحدّث عن فلسفة الحجاب، فقال: «عندما تخرج المرأة من البيت وهي محجّبة ومتسربلة بالوقار، وتكون قد راعت جانب العفاف، فإنّ الأفراد الفاسدين والمتهتّكين لا يجرؤون على التعرّض لها»[4].

2. الآثار الأسريّة:

إنّ حياء المرأة ينعكس بصورته الأوّليّة داخل أسرتها، فتظهر قسمات الحياء وتتجلّى في سلوكيّات أفراد أسرتها. وبدرع الحياء تتمكّن المرأة من صون أسرتها من الانحرافات. وفي المقابل، إنَّ تغييب هذه الفضيلة له أثره المباشر في هدم الأسرة وزعزعة كيانها، فيقع القلق والاضطراب النفسيّ، فضلاً عن المفاسد والجرائم الأخلاقيّة داخل الأسرة، وتصدّع قيم الحياة الزوجيّة وأسس استقرارها- فحياء المرأة أساسٌ في استقرار الأسرة وقيامها بوظيفتها المنوطة بها، في ظلّ المودّة والرحمة والسكينة.

(1) التميميّ الآمدي، تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم، ص256. الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج7، ص46.
(2) المصدر نفسه، ص256.
(3) الليثيّ الواسطيّ، عيون الحكم والمواعظ، ص 327.
(4) مرتضى مطهّري، مسألة الحجاب، ترجمة جعفر صادق الخليلي، آينده درخشان، إيران - قم، 1430هـ - 2009م، ط2.

3. الآثار الاجتماعيّة:

عندما نتحدّث عن الآثار السلبيّة لترك الحياء في الحياة الاجتماعيّة، نتحدّث عن فقدان الإيمان والارتباط بالغيب، وتمزّق المجتمع على جميع الصعد والمجالات. فالحياء يعدّ باعثًا قويًّا للستر وعدم التجاهر في ارتكاب المعاصي، وهذا له أثره التربويّ في الفرد والمجتمع. وكذلك العفاف، فإنّ له الدور الجوهريّ في حراسة الفضيلة في المجتمع. وإنّ خلع المرأة لهذا الثوب النقيّ الذي جوهره العفّة والحياء، له أثره التدميريّ في المجتمع بأكمله. فالمجتمع السليم هو ذلك المجتمع الذي تحرسه القيم والمنظومة الأخلاقيّة، وعلى رأسه الحياء المقرون بالعفّة، وذلك الذي يجعل المجتمع مجتمعًا راقيًا مصونًا من الانحرافات والفساد. فالحياء والعفّة هما عنوانا الفضيلة للمجتمع. وهذا ما أشار إليه باقر علوم الأوّلين والآخرين، الإمام محمّد بن عليّ الباقر (عليه وعلى آبائه آلاف التحيّة وأزكى السلام) بقوله: «**الحياء والإيمان مقرونان في قرن، فإذا ذهب أحدهما تبعه صاحبه**»[1].

تجلّيات الحياء والعفّة ومظاهرهما عند السيّدة الزهراء عليها السلام والسيّدة زينب عليها السلام

لقد جسّدت السيّدة الزهراء عليها السلام أروع النماذج للعفّة والحياء عند المرأة. ومن مظاهر عفّتها وحيائها، تشدّدها في خمارها وحجابها، فقد وُصف خمارها بأنّه يصل إلى نصف عضدها، كما جاء بالإسناد عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «**فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة، وما كان خمارها إلاّ هكذا، وأومأ بيده إلى وسط عضده**»[2].

ونُقل عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**إنّ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، استأذن عليها أعمى فحجبته، فقال لها النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: لِمَ حجبته وهو لا يراك؟ فقالت: يا رسول الله، إن لم يكن يراني فأنا أراه، وهو يشمّ الريح. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «أشهد أنّك بضعة منّي**»[3]».

ومن مظاهر عفّة الزهراء عليها السلام، أنّها عندما اشتكت شكوتها التي قُبضت فيها، قالت

(1) العلّامة المجلسيّ، بحار الأنوار، ج75، ص177.
(2) الشيخ الطبرسيّ، مكارم الأخلاق، ص93.
(3) العلّامة المجلسيّ، بحار الأنوار، ج 43، ص91.

لأسماء بنت عميس: «**ألا تجعلين لي شيئًا يسترني، فإنّي أستقبح ما يُصنع بالنساء، يُطرح على المرأة الثوب فيصفها**». فقالت أسماء: «إنّي رأيت شيئًا يُصنع بالحبشة، فصنعت لها هيئة النعش». فقالت عليها السلام: «**اصنعي لي مثله، واستريني سترك الله من النار**»[1]. فكان نعشها أوّل نعش في الإسلام، واتُّخذ بعد ذلك سُنّة. وتجدر الإشارة إلى أنَّ حياء السيّدة الزهراء عليها السلام وعفّتها لم يشكّلا عقبةً أمام دورها في الدفاع عن الإسلام والدعوة إليه، ويدلّ على هذه الحقيقة خطبها وما أُثر عنها من أخبار، تتضمّن مضامين إسلاميّة راقية.

وكذا كانت ابنتها السيّدة زينب عليها السلام، مثالًا يُحتذى به في الطهر والعفّة والحياء. ينقل يحيى المازنيّ[2] أنّه لم يرَ زينب ولم يسمع صوتها ولو مرّة واحدة، وأنّها عليها السلام كلّما أرادت زيارة جدّها، كانت تفعل ذلك ليلًا؛ حيث كان يمشي أبوها أمامها وأخواها الحسن والحسين على جانبيها. وعندما كانت تصل إلى قبر جدّها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كان عليّ عليه السلام يطفئ الشموع المضاءة في أطراف القبر. وقد سأل الإمام الحسن عليه السلام عن سبب هذا الأمر، فأجابه الإمام عليه السلام: «**أخشى أن ينظر أحد إلى شخص أختك زينب**»[3].

وقد جمعت الحوراء عليها السلام بين الحياء وقوّة الشخصيّة وبلاغة الخطاب، ويدلُّ على الأمر خطبتها عليها السلام في مجلس الطاغية ابن زياد؛ حيث جمعت عليها السلام بين الحياء وقوّة الشخصيّة وبلاغة المنطق، ووصفها «حذيم الأسديّ»: «لم أر والله خفرة أنطق منها، كأنّما تنطق وتفرغ عن لسان أمير المؤمنين عليه السلام»[4].

(1) الشيخ الطوسيّ، محمّد بن الحسن، تهذيب الأحكام في شرح المقنعة، تحقيق وتعليق السيّد حسن الموسويّ الخرسان، طهران، دار الكتب الإسلاميّة، 1364ش، ط3، ج1، ص469.

(2) هو من العلماء ورواة الحديث، عاش مدة طويلة في المدينة في جوار عليّ عليه السلام. وكان منزله إلى جوار المنزل الذي كانت تسكنه زينب عليها السلام.

(3) نقدي، الشيخ جعفر، زينب الكبرى، مكتبة المفيد، إيران - قم، لا.ت، لا.ط، ص22.

(4) العلّامة المجلسيّ، بحار الأنوار، ج 45، ص 115.

المفاهيم الرئيسة

1. الحياء لغة: هو انقباض النفس عن الشيء القبيح، وتركه من أجل مخافة الذمّ، وبخلافه الوقاحة والبذاءة. والحياء اصطلاحًا، هو ملكةٌ نفسانيّةٌ توجب انقباض النفس وانزجارها من ارتكاب القبح العرفيّ أو العقليّ أو الشرعيّ.
2. أشار القرآن المجيد بشكل واضح وصريح إلى مفهوم الحياء ومظاهره في العديد من آياته الشريفة: منها: الحياء من الله، الحياء في طريقة التكلّم، الحياء في النظر، الحياء في التستّر، الحياء في الضيافة، الحياء عند دخول البيوت والاستئذان.
3. عندما نستقرئ الروايات الشريفة التي تناولت مسألة الحياء، نلاحظ أنَّ طائفة من هذه الروايات خطابها عامّ موجّهٌ للرجل والمرأة على حدّ سواء. بينما طائفة أخرى من الروايات قد خصّت المرأة بالحياء والعفّة؛ والسبب في تخصيص المرأة بالحياء والعفّة يكمن في مكانة المرأة ودورها، وفي كونها قلب المجتمع ونبضه الذي يضخّ القيم والفضائل.
4. لحياء المرأة ثمارٌ متنوّعها تجنيها على الصعيد الشخصيّ والأسريّ والمجتمعيّ.
5. من الآثار الشخصيّة لحياء المرأة: ازدياد اليقين، محو الذنوب، الوقاية من فعل القبيح، العفّة.
6. إنّ حياء المرأة ينعكس بصورته الأوّليّة داخل أسرتها؛ إذ تتمكّن المرأة من صون أسرتها من الانحرافات.
7. إنّ خلع المرأة ثوب العفّة والحياء، له أثره التدميريّ في المجتمع بأكمله. فالمجتمع السليم هو ذلك المجتمع الذي تحرسه القيم والمنظومة الأخلاقيّة، وعلى رأسها الحياء المقرون بالعفّة.

الدرس الثاني عشر

الحجاب ومواكبة العصر

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يتعرَّف إلى معنى الحجاب لغةً واصطلاحًا.

2 . يشرح غايات الحجاب وأهدافه.

3 . يبيّن حدود الحجاب الشرعيّ، ويميّز بينه وبين السفور المقنَّع.

معنى الحجاب

الحِجابُ لغةً: السترُ، يقال: حَجَبَ الشيءَ يَحْجُبُه حَجْبًا وحِجابًا وحَجَّبَه: سَتَرَه. وقد احْتَجَبَ وتحَجَّبَ إذا اكْتنَّ من وراءِ حِجابٍ. وامرأَة مَحْجُوبةٌ: قد سُتِرَتْ بِسِترٍ[1]. فالحجاب في اللغة بمعنى الستر، والتستّر بستر. والحجاب هو اسم لما يُحتجب به.

وحجاب المرأة في الإسلام[2]، يعني أنّه يجب على المرأة أن تستر بدنها عدا «الوجه» و«الكفّين» عند وجود رجل أجنبيّ ينظر إليها، وأن لا تظهر زينتها أمام الرجال الأجانب. وعليه، فإنّ الحجاب الذي يأمر به الإسلام، ليس البقاء في الدار وعدم الخروج منها، فليس في الإسلام ما يدعو إلى حبس المرأة، ما دامت تراعي الضوابط والحدود الشرعيّة في الخروج من المنزل.

غايات الحجاب

إنّ تشريع الستر في الإسلام، كسائر أحكام الشريعة، له غايات ومصالح يهدف إلى تحقيقها.

ومسألة الحجاب لا تُقارَب من زاوية الحرّيّة الشخصيّة فحسب، لأنّ لها بعدًا اجتماعيًّا؛ باعتبار أنّ السفور ليس عملًا فرديًّا تمارسه المرأة داخل بيتها لتُترك وشأنها، وإنّما تخرج بفعلها هذا إلى الشارع، لتواجه به الناس والمجتمع. وفي ما يلي نستعرض أهمّ غايات ومقاصد الستر والحجاب.

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادّة حجب، ج1، ص 298.

(2) إنّ استعمال لفظ الحجاب كمصطلح، جديد نسبيًا، أمّا في مصطلح الفقهاء المتقدّمين، فقد كانت كلمة الستر هي المستعملة بمعنى الحجاب اليوم، ولا يزال لفظ الستر هو المستعمل في كتابي الصلاة والنكاح، وسائر الأبواب الفقهيّة.

1 . تحقيق الأمن الأخلاقيّ:

إنّ الحجاب يهدف إلى حماية الأمن الأخلاقيّ للمجتمع الذي تخرقه المرأة غير المحتشمة، في ارتدائها اللباس الفاضح والمثير. وقد ورد في الحديث عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، أنّ السيّد المسيح عليه السلام قال: «**إنّ موسى عليه السلام نبيّ لله أمركم أن لا تزنوا، وأنا آمركم أن لا تحدّثوا أنفسكم بالزنا، فضلًا عن أن تزنوا**»[1].

فكيف للرجل، ولا سيّما في ظروفنا الحاليّة وعصرنا الراهن، وهو العصر الذي يتأخّر فيه سنّ الزواج وتكثر أسباب إثارة الشهوة، أن لا يتأثّر بهذه البيئة، وهو محاطٌ بكلّ هذا التبرّج والتفنّن في إبراز مفاتن المرأة، ولا توجد لديه حالة من الطوارئ الغريزيّة، وربّما يدفعه إلى التحرّش بالمرأة؟!

فلا ريب في أنّ الحجاب يُساهم في تعزيز المناعة الأخلاقيّة في المجتمعات، مقابل السفور الذي يُعتبر مدخلًا إلى التفلّت الأخلاقيّ.

2 . الاطمئنان النفسيّ:

إنّ الغريزة الجنسيّة غريزة قويّة عميقة الأغوار، كلّما استجبت لها بشكل متفلّت وغير منضبط، ازدادت عتوًّا؛ كالنار التي تزداد اشتعالًا كلّما ألقمتها حطبًا.

وقد وضع الإسلام تدابير خاصّة لتطويع هذه الغريزة وتقويمها، وتحقيق الاطمئنان النفسيّ؛ فعيَّن للرجل وللمرأة، أحكامًا وضوابط شرعيّة لتنظيم حركة الشهوة، حتى لا تخرج عن حدود السيطرة. فبالنسبة «إلى النظر»، وضع للرجل والمرأة واجبًا مشتركًا، فقال: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ﴾[2]، ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾[3]. فيجب على الرجل والمرأة أن يمتنعا عن النظر إلى المحارم، فلا يحدّق بعضهم النظر إلى بعض بنظرات فيها الشهوة والرغبة؛ أي إنّ نظر أحدهما إلى الآخر ينبغي أن لا يكون بقصد التلذّذ. وقد خصّص النساءَ بالستر، وذلك بأن

(1) الشيخ الكلينيّ، الكافي، ج5، ص452.
(2) سورة النور، الآية 30.
(3) سورة النور، الآية 31.

يسترن أبدانهنّ عن الرجال الأجانب، وأن لا يظهرن زينتهنّ في المجتمعات، وأن لا يرتكبن أمرًا بأيّ شكل أو صورة أو لون أو ذريعة يستثرن به الرجل.

وعليه، فإنَّ الالتزام بهذه الأحكام الشرعيّة يمكّن الانسان من تطويع الغريزة وضبطها، فيتحقّق لديه اطمئنانٌ نفسيّ وقلبيّ.

3 . تمتين المجتمع وزيادة فاعليّته:

إنّ إخراج العلاقات الجنسيّة من المحيط الزوجيّ إلى المحيط الاجتماعيّ، يضعف من قوّة العمل والنشاط في المجتمع، على العكس ممّا يقوله معارضو الحجاب، من أنّ الحجاب يشلّ نصف أفراد المجتمع عن العمل. فالإسلام لا يقول إنّ على المرأة أن تكون جليسة الدار، ولا يقول ليس لها حقّ الارتواء من مناهل العلم، والنزول إلى ميادين العمل. بل إنّه يرى تحصيل العلم والمعرفة فريضة واجبة على كلّ من الرجل والمرأة. وهو لا يحرم المرأة من أيّ نشاط اقتصاديّ خاصّ. فالإسلام لا يمكن أن يهدف مطلقاً إلى بقاء المرأة عاطلة من العمل، فتكون عائلة على غيرها، بل يريدها منتجةً، ولكن بما يتلاءم مع ظروفها الخاصّة.

إذًا، إنّ ستر البدن، عدا الوجه والكفين، لا يحول دون القيام بأيّ عمل من الأعمال، ثقافيًّا كان أو اجتماعيًّا أو اقتصاديًّا. بل على العكس، إنَّ ما يؤدّي إلى شلل قوى المجتمع، هو تلويث محيط العمل بالأهواء الشهوانيّة والغرائز الحيوانيّة، من دون أيَّ ضوابط وحدود.

4 . حماية الحياة العائليّة:

إنَّ كلّ ما يوطّد العلاقة العائليّة ويتسبّب في استحكام الروابط بين الزوجين، يكون مفيدًا للحياة العائليّة، ويستوجب الاستزادة منه على قدر الإمكان. وعلى العكس من ذلك، فإنّ كلّ ما يضعف من هذه الروابط بين الزوجين، ويوجد بينهما الفتور والبرودة، يكون مضرًّا بالحياة العائليّة، ويستوجب مكافحته والقضاء عليه.

إنَّ فلسفة الحجاب ومنع العلاقة الجنسيّة إلّا عن طريق الحياة الزوجيّة المشروعة، هي أنّ الزواج الشرعيّ يسبغ السعادة والراحة على نفس كلّ من طرفي الزواج وروحه. أمّا في حالة

التحرّر الجنسيّ والتفلّت والسفور، فيسعى الزوجان - كما هو منتشر في هذا العالم والزمان - إلى إشباع غرائزهما خارج الدائرة العائليّة، فيتحوّلان إلى طرفين متنافسين، ويرى كلّ منهما الآخر حائلًا في طريقه، وتكون النتيجة أنّ الحياة العائليّة تقام على أساس من العداء والنفور.

5 . **الحماية الأمنيّة والاقتصاديّة للمرأة:**

الحجاب الإسلاميّ الشرعيّ يحمي المرأة من كلّ نظرات السوء التي تلاحقها، ومن التحرّش الجنسيّ، الذي قد ينجرّ أحيانًا إلى ما يُعرف بظاهرة الاغتصاب. والحجاب يؤمّن للمرأة الحماية الاقتصاديّة فضلًا عن حمايتها الأمنيّة، إذ يخفّف عنها الكثير من الأعباء الماليّة التي قد تنفقها على اللباس والزينة والتبرّج، ويخرجها من حالة القلق التي قد تعيشها المرأة السافرة نتيجة انهماكها المستمرّ في أمر التبرّج، وقلقها الدائم بشأن لباسها وزينتها ومظهرها.

حدود الحجاب الشرعيّ

ليكون الحجاب إسلاميًّا وشرعيًّا، لا بدَّ في ثوب المرأة من:

1. أن يستر تمام بدن المرأة، ما عدا الوجه والكفّين.
2. أن لا يصف ما تحته . أي يجسِّم مفاتن المرأة . ولا يكون شفّافًا على نحو يُرَى جسدُها من خلاله.
3. أن لا يصدق عليه عنوان الزينة، إذ إنّ بعض اللباس هو زينة في حدّ نفسه من خلال تصميمه، أو ألوانه وتركيبها.
4. أن لا يكون اللباس مثيرًا للشهوة، أو مستلزمًا للريبة نوعًا، كالملابس الضيّقة التي تظهر مفاتن المرأة.

فما استجمع هذه الشرائط فهو لباس شرعيّ.

السفور المقنَّع

انتشرت ظاهرة سيّئة في مجتمعاتنا الإسلاميّة، وهي ظاهرة «السفور المقنّع»؛ حيث تتّجه بعض الفتيات إلى ارتداء «حجاب»، هو في الحقيقة أقربُ إلى السفور منه إلى

الحجاب. وهو عبارة عن اللباس الذي يتناسب مع عالم الأزياء، والتصاميم الحديثة التي تكون مثيرة للشهوة والريبة.

وفي ضوء ما شرحناه وبيّناه عن معنى الحجاب الإسلاميّ وحدوده، سيبدو واضحًا أنّ «حجاب الموضة» لا يُعتبر حجابًا شرعيًّا؛ لأنّه لا يستجمع شروط الحجاب الشرعيّ.

ولا بدَّ من الإشارة إلى وجود أيدٍ شيطانيّة خفيّة، تسعى بشكل مستمرّ إلى تشويه الحجاب الإسلاميّ، ونزع قدسيّته وقيمته المعنويّة، فتروِّج لأزياء وألوان وأشكال مختلفة من الألبسة غير الشرعيّة تحت عناوين برّاقة؛ كالتحضّر والتمدّن ومواكبة العصر.

هذه الأيدي الشيطانيّة، المتمثّلة بأعداء الإسلام، تتحيّن الفرص لتبثّ سمومها في عقول الشبّان والفتيات، فتستغلّ الطبيعة اللطيفة للمرأة وميلها الفطريّ نحو التجمّل والزينة، لتنقل الثقافة المنحرفة، فتفرغ مفهوم الأناقة والتجمّل من المعنى الحقيقيّ الموضوع لهما، وتروّج للسفور واللباس غير الشرعيّ من خلال وسائلها الإعلاميّة والإعلانيّة المختلفة[1].

وعليه، فإنَّ التمسّك بالحجاب الشرعيّ والالتزام بضوابطه وحدوده الشرعيّة، مسؤوليّة ملقاة على عاتق المرأة، ونعمة إلهيّة ينبغي الحفاظ عليها. وفي هذا الصدد، يقول الإمام الخامنئيّ دَامَ ظِلُّهُ:

«الحجاب وقار ورصانة وقيمة للمرأة، إنّه رجحان كفّة سمعتها واحترامها. ينبغي معرفة قدر ذلك حقّ المعرفة، ويجب تقديم الشكر للإسلام على قضيّة الحجاب هذه، فهذا من النعم الإلهيّة»[2].

إنّ عظمة المرأة لا تكمن في جذب أنظار الرجال وهوس المهووسين إلى نفسها، وليس هذا فخرًا للمرأة، وليس هذا تعظيمًا لها، بل هو تحقير للمرأة. إنَّ عظمة المرأة تكمن في

(1) يوجد العديد من البرامج المتخصّصة بالمرأة، والتي تُبثّ على مختلف المحطّات الفضائيّة العربيّة، والتي تروّج للسفور وتلّقي الضوء على جمال المرأة وزينتها، وأساليب تصفيف الشعر أو التبرّج، أو طريق لفّ الحجاب... ناهيك عن برامج الأزياء وعروضها والمسابقات العالميّة والمحلّية.

(2) لجنة التأليف في مركز المعارف للتأليف والتحقيق، الإمام الخامنئيّ دَامَ ظِلُّهُ، خطاب الوليّ 2012م، دار المعارف الإسلاميّة الثقافيّة، لبنان - بيروت، 1434هـ - 2013م، ط1، ص170، خطابه في لقاء مدّاحي أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، بمناسبة ولادة السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام، في طهران - حسينيّة الإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّهُ، بحضور جمع من الشعراء والمدّاحين لأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، بتاريخ 2012/05/12م.

الحفاظ على الحجاب والحياء والعفاف الأنثويّ الذي أودعه الله في جبلّتها، فتقوم بجعل هذا كلّه مع العزّة الإيمانيّة، وتضيف إليه الشعور بالتكليف والمسؤوليّة، فتُعمل تلك اللطافة في محلّها وذاك الحزم الإيماني في محلّه. فمثل هذا التركيب الدقيق مختصٌّ بالنساء فقط، ومثل هذا العمل الدقيق من اللطف والحزم من خصائص النساء»[1].

هل الإسلام يرفض «الموضة» و«الأزياء»؟

هل يعني ما تقدّم أنّ الإسلام يرفض تطوير الحجاب، ولا يرتضي فكرة «الموضة» بشكل كامل، ويدعو إلى الجمود على حجاب معيّن أو لباس خاصّ، لجهة الشكل أو اللون أو الزيّ؟

الجواب عن ذلك بالنفي، فالمبدأ في قضيّة الحجاب هو ما يحقّقُ الستر المادّيّ والمعنويّ، وهذا المبدأ ثابت ولا يخضع للنقاش والجدال والتغيير. وأمّا الوسيلة ممّا يتّصل بلون اللباس أو شكله أو هيئته، فهي خاضعةٌ لاختلاف الثقافات والمجتمعات. فليس شرطًا أن تلبس المسلمة اليوم ما كانت تلبسُه المرأة في زمن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم. فقد ورد في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «**خيرُ لباسِ كلِّ زمانٍ لباسُ أهلِهِ**»[2]. حتّى إنّه ليس من الضروريّ أن ترتدي البنت الزيّ نفسه الذي ترتديه أمّها، وهو الخطأ الذي ترتكبه الكثير من الأمّهات، في أن تكون ابنتها نسخة أخرى عنها. يقول الإمام عليّ عليه السلام في ما رُويَ عنه: «**لا تقسروا أولادكم على آدابكم، فإنّهم مخلوقون لزمان غير زمانكم**»[3].

وعليه، فإنَّ الأزياء على اختلاف أشكالها، إن كانت لا تتعارض مع الضوابط والحدود التي رسمتها الشريعة الإسلاميّة، فإنَّ الإسلام يرتضيها ولا يرفضها، أمّا في حال تعارضها وتنافيها مع المبادئ والقيم الإسلاميّة، فهذه الأزياء مرفوضة بشكلٍ حتميّ.

---

(1) لجنة التأليف في مركز المعارف للتأليف والتحقيق الإمام الخامنئيّ دام ظله، خطاب الوليّ 2010م، دار المعارف الإسلاميّة الثقافيّة، لبنان - بيروت، 2011م، ط1، ص149، خطابه بمناسبة ذكرى ولادة السيّدة زينب عليها السلام ويوم الممرّضة، في طهران، بحضور جمع غفير من الممرّضات النموذجيّات، بتاريخ 2010/04/21م، 1431/05/06هـ.ق، 1389/02/01هـ.ش.

(2) الشيخ الكلينيّ، الكافي، ج6، ص444.

(3) ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة، تحقيق وتصحيح محمّد أبو الفضل إبراهيم، نشر مكتبة آية الله المرعشي النجفي، إيران - قم، 1404هـ، ودار إحياء الكتب العربيّة - عيسى البابي الحلبيّ وشركاه، 1378هـ - 1959م، ط1، ج20، ص267.

العباءة السوداء مصداق للستر

لم يؤسّس الإسلام مفهومًا خاصًّا في اللباس، ولم يعتمد زيًّا رسميًّا في اللون أو الشكل، وربّما تشير بعض الشواهد التاريخيّة والآثار إلى أنّ اللون الأسود لم يكن هو اللون الرسميّ أو الغالب في عهد رسول الله ﷺ.

بل إنّ المتعارف عليه بين الفقهاء كراهة لبس الأسود، وخصوصًا في الصلاة. وقد وردت بعض النصوص التي استفيد منها كراهة لبس السواد. منها ما ورد في الحديث عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «**يكره السواد إلّا في ثلاثة: الخفّ والعمامة والكساء**»[1].

إلّا أنّنا نحثّ أخواتنا المؤمنات على ارتداء العباءة السوداء، باعتبار أنّها تمثّل المصداق الأكمل للستر والحجاب في هذا العصر، لميزات وخصائص في هذا اللباس.

المتعارف بين الفقهاء أنّ الكساء بمعنى الملحفة، هو الذي يلفّ البدن فوق الثياب، أو العباءة التي توضع على الكتف.

ورد في لسان العرب: «كسا: الكِسْوةُ والكُسْوةُ: اللباس، واحدة الكُسا قال الليث: ولها معانٍ مختلفة».

يقال: «كَسَوْت فلانًا أَكْسُوه كِسْوةً، إذا أَلبسته ثوبًا أَو ثيابًا فاكْتَسى»[2].

وعلى كلّ حال، فلو كان الكساء بمعنى الملحفة التي تشتمل على البدن، فإنّ العباءة المتعارفة عندنا تكون من مصاديق الكساء.

كما أنّنا يمكن أن نستفيد من بعض الروايات، وقد وردت في لباس المصلّي[3]، أنّه كانت للنساء في عصر رسول الله ﷺ والأئمّة من بعده، ملاحف يشتملن بها، وتغطّي كلّ أجسادهنّ، كنّ يلبسنها فوق الثياب. وقد استفاد بعضهم من هذا المعنى من خلال آية سورة الأحزاب من قوله تعالى: ﴿قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ

(1) الشيخ الحرّ العامليّ، وسائل الشيعة، ج4، ص 382.
(2) ابن منظور، لسان العرب، ج15، ص 223، فصل الكاف.
(3) راجع: الشيخ الحرّ العامليّ، وسائل الشيعة، ج4، ص 407.

مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾[1]، فقد ورد في تفسير البيان تفسير الجلباب بالملاءة كما تقدّم. وفي تاج العروس: «الملحفة: ثوب ليس له بطانة يكسو جسد المرأة»[2].

وعلى كلّ حال، فإنّ للعباءة خصائص تجعلها تحقّق المستوى الأعلى من الستر المادّيّ والمعنويّ، وهي:

1. إنّها تستر تمام بدن المرأة من رأسها حتّى قدميْها، أي إنّها تتميّز بالستر الشامل.
2. إنّها تستر شكل الجسد ولون البشرة، فلا تحكي عمّا تحتها من أعضاء الجسد.
3. إنّ اللون الأسود الناشف، غير اللامع أو المزخرف، يعدم كلّ أوصاف الزينة.
4. صار اللون الأسود من شعائر الشيعة، وحزناً على شهادة سيّد الشهداء[3].
5. صارت العباءة من شعائر الحالة الإسلاميّة في لبنان وإيران، والمناطق التي تنتمي إلى خطّ الولاية.
6. تخفّف الأعباء الاقتصاديّة التي تترتّب على مصاريف الألبسة المتنوّعة أو المرتفعة الثمن.
7. تساوي في المظهر بين كلّ طبقات المجتمع، الغنيّة والفقيرة.

هذه الخصائص في العباءة، تؤهّلها لأن تكون المصداق الأفضل الذي يحقّق غايات تشريع الستر والحجاب وأهدافه، الّتي تحدّثنا عنها بأفضل صورة ممكنة.

(1) سورة الأحزاب، الآية 59.

(2) الزبيديّ، تاج العروس، علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان - بيروت، 1414هـ - 1994م، لا.ط، ج6، ص 244، مادّة لحف.

(3) لعلّ أوّل من طرح لبس السواد في العزاء الحسينيّ هو المحدّث البحرانيّ (1186هـ)، وقبله لا تكاد تجد ذكرًا لتفضيل السواد في مجالس العزاء وغيرها، فيكون هذا السلوك متأخّرًا، إلا أنّه لا شكّ في أنّ السواد صار اليوم من شعارات الحزن ومظاهره عند الشيعة.

المفاهيم الرئيسة

1. الحجاب في اللغة بمعنى الستر، والتستّر بستر. والحجاب هو اسم لما يُحتجب به. وحجاب المرأة في الإسلام، يعني أنّه يجب على المرأة أن تستر بدنها عدا «الوجه» و«الكفّين»، عند وجود رجل أجنبيّ ينظر إليها، وأن لا تظهر زينتها أمام الرجال الأجانب.
2. من أهمّ غايات الستر والحجاب ومقاصدهما: تحقيق الأمن الأخلاقيّ، الاطمئنان النفسيّ، تمتين المجتمع وزيادة فاعليّته، حماية الحياة العائليّة، الحماية الأمنيّة والاقتصاديّة للمرأة.
3. من أبرز ضوابط اللباس الشرعيّ للمرأة:
   أ. أن يستر تمام بدن المرأة، ما عدا الوجه والكفّين.
   ب.أن لا يصف ما تحته - أي يجسّم مفاتن المرأة - ولا يكون شفّافًا، بحيث يُرَى جسدُها من خلاله.
   ج. أن لا يصدق عليه عنوان الزينة، إذ إنّ بعض اللباس هو زينة في حدّ نفسه من خلال تصميمه، أو ألوانه وتركيبها.
   د. أن لا يكون اللباس مثيرًا للشهوة، أو مستلزمًا للريبة نوعًا، كالملابس الضيقة التي تظهر مفاتن المرأة.
4. السفور المقنَّع هو عبارة عن اللباس الذي يتناسب مع عالم الأزياء والتصاميم الحديثة، التي تكون مثيرة للشهوة والريبة.
5. إنّ للعباءة خصائص تجعلها تحقّق المستوى الأعلى من الستر المادّيّ والمعنويّ.

الدرس الثالث عشر

المرأة وحُسن المظهر

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يتعرّف إلى مفهوم الزينة وبعض مصاديقها.

2 . يميِّز بين أشكال الزينة: المحلَّلة والمحرَّمة.

3 . يتعرَّف إلى أنواع الزينة: الظاهرة والباطنة.

تمهيد

جعل الله تعالى الإنسان في أحسن قوام، وأبدعَ تكوينَهُ في أجمل هيئة، يقول تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[1]. وأسكنهُ في أحضان الطبيعة الخلاّبة، بجمالها الساحر، حيث تُظلّه سماء تضيئها الكواكب والنجوم، وتقلّه أرض تخضرّ أرجاؤها بألوان الأشجار والنباتات المثمرة والزاهية، يقول تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾[2].

لقد أضفى الله تعالى على الكون مسحة من الروعة والجمال، ليستمتع الإنسان بهذا الجمال، فتنشرح نفسه، وترتاح مشاعره. بل إنّ جمال الطبيعة وزينة الحياة كلّها من أجل الإنسان، يقول تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾[3].

والنفس الإنسانيّة تأنسُ للنظافة وحبّ الجمال، وهي تحملُ فطرةً بيضاء نقيّة، لذلك حَبّبَ الإسلام إلينا الاهتمام بالنظافة، وإظهار الأناقة والتزيّن والجمال، وجعل ذلك من الآداب التي يتحلّى بها الفرد في حياته الشخصيَّة والعامّة.

إنَّ «مظهر المؤمن» أمر محوريٌّ، اهتمَّتْ به الشريعة الإسلاميَّة من خلال الآيات الكريمة والروايات الشريفة، ولم تجعلهُ حكرًا على المسلمين. إنَّما هو ثقافة، بل حاجة لكلّ عقل إنسانيّ وجسد بشريّ.

---

(1) سورة التين، الآية 4.

(2) سورة ق، الآيتان 6 - 7.

(3) سورة الأعراف، الآية 32.

وقد يتساءل بعضنا: أين يسري مفهوم النظافة؟ وهل نصح الإسلام بآدابٍ مختصَّة بالنظافة؟

وما المقصود بالتزيّن؟

وهل أطلق الإسلام في حليَّة استعمال الزينة، من دون وضع سياج من الضوابط الشرعيَّة لصيانتها؟

وما الكنزُ الدفين وراء اهتمام الإسلام بالصورة على المستوى المادّيّ والشكليّ: في الجسد، والملبس، والبيت، والشارع، والبيئة المحيطة؟

هذا ما سوف نبيّنه في درسنا الحاليّ.

النظافة أدب إسلاميّ

النظافة هي الطَهَارَة، والنَقاوَة، والصَفاء. وقد أولى الدين الإسلاميّ مسألة النظافة اهتمامًا خاصًّا، حتّى إنَّ بعض الأحاديث الشريفة جعلتْ النظافة من الأمور التي بُنيَ عليها الإسلام. ففي الحديث عن رسول اللّه ﷺ: «**تنظّفوا بكلّ ما استطعتم، فإنّ اللّه تعالى بنى الإسلام على النظافة، ولن يدخل الجنّة إلّا كلّ نظيف**»[1].

والدين الإسلاميّ الحنيف، هو دين الفطرة، وبالتالي فإنّ جُلَّ الأحكام التي أتى بها توافق الفطرة السليمة. ومن هنا، فإنّ النظافة من القيم التي أكّدها الإسلام، معتبرًا:

أ. أنّها من الكمالات الإنسانيَّة.

ب. أنّها من أخلاق الأنبياء عليهم السلام. ففي الحديث عن الإمام الرضا عليه السلام: «**من أخلاق الأنبياء التنظّف**»[2].

ج. أنّها من جنود العقل. ففي وصيّة الإمام الكاظم عليه السلام لهشام بن الحكم، في مقام تعداد جند العقل: «**النظافة، وضدّها القذارة**»[3].

(1) السيوطيّ، الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، ج1، ص517.
(2) الشيخ الكلينيّ، الكافي ج5، ص567.
(3) الشيخ الصدوق، علل الشرائع، ج1، ص115.

مصاديق النظافة

أكَّد الإسلام نظافة الجسد، ونظافة البيوت والشوارع، وكلّ ما حولنا من نِعم الجمال. ومن أبرز مصاديق النظافة الأمور الآتية:

1. نظافة الجسد:

والبداية من نظافة الجسد التي دعا الإسلام إليها باعتبارين:

الأوّل: احترام الذات، ففي الحديث عن الرسول الأكرم ﷺ: «**طهّروا هذه الأجساد طهّركم الله، فليس من عبد يبيت طاهرًا إلّا بات معه ملك في شعاره، لا ينقلب ساعة من ليل يسأل الله شيئًا من أمر الدنيا والآخرة إلّا أعطاه إيّاه**»[1].

الثاني: احترام الآخر، ففي الحديث عن الإمام عليّ عليه السلام: «**تنظّفوا بالماء من الريح المنتنة الذي يُتأذى به، تعهّدوا أنفسهم، فإنّ الله عزّ وجلّ يبغض من عبده القاذورة، الذي يتأنّف به من جلس إليه**»[2].

ومن الأمور المتعلّقة بنظافة الجسد: نظافة الفم. ففي الروايات دعوة وتأكيد لتنظيف الأسنان وتطييب الفم بالسواك. فعن الرسول الأكرم ﷺ: «**تخلّلوا، فإنّه من النظافة، والنظافة من الإيمان، والإيمان وصاحبه في الجنّة**»[3].

ونظافة اليدين، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**غسل اليدين قبل الطعام وبعده، زيادة في العمر... ويجلو البصر**»[4].

نظافة الثياب: من نِعم الله تعالى على الإنسان أن خلق لهُ ما يصنعُ منه ثيابه، فيجمِّل مظهره، ويتّقي به الحرّ والبرد. من هنا، على الإنسان أن يهتمّ بنظافة ملبسه وطهارته؛ لأنّ ذلك يزيد من حسن الثوب ورونقه. وقد أكّدت تعاليم الشريعة أهمّيّة تنظيف الثياب، قال

(1) الميرزا النوريّ، مستدرك الوسائل، ج1، ص 297.
(2) الصدوق، الشيخ محمّد بن عليّ بن بابويه، الخصال، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقمّ المشرفة، إيران - قم، 1403هـ - 1362ش، لا.ط، ص620.
(3) الميرزا النوريّ، مستدرك الوسائل، ج16، ص319.
(4) الشيخ الكلينيّ، الكافي، ج6، ص290.

تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[1]. وكذلك عن رسول الله ﷺ: «**من اتّخذ ثوبًا فلينظّفه**»[2]. وأشارت الروايات إلى الأثر الجميل لتنظيفها، فعن رسول الله ﷺ أنّه قال لإحدى زوجاته: «**اغسلي هذين الثوبين، أما علمْتِ أنّ الثوب يسبّح، فإذا اتّسخ انقطع تسبيحه**»[3].

2. نظافة البيوت:

أكّدت الروايات الواردة عن النبيّ عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام، أهمّية الاعتناء بنظافة البيوت بنحو دقيق، وهذا ما نلاحظه في الأحاديث الآتية:

أ. غسل الأواني: غسل الأواني التي يتناول فيها الإنسان طعامه أمر ضروريّ للغاية، سواء على المستوى الصحّيّ أو الدينيّ. وقد أكّدته الأحاديث، إذ ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «**غسل الإناء وكسح الفناء، مجلبة للرزق**»[4].

ب. إزالة القمامة: فقد ورد عن الرسول الأكرم ﷺ: «**لا تبيّتوا القمامة في بيوتكم وأخرجوها نهارًا، فإنّها مقعد الشيطان**»[5]. كما أنّها مقعد الأمراض والحشرات الضارّة أيضًا.

ج. التخلّص من حوك العنكبوت: تشير الروايات إلى أنّ بقاءه في الدار يُورث الفقر. ففي الحديث عن الإمام عليّ عليه السلام: «**نظّفوا بيوتكم من حوك العنكبوت، فإنّ تركه في البيت يورِث الفقر**»[6].

د. كنس البيوت: إنّ بيت المسلم لا يخلو من الصلاة، أو أداء فريضة، تنفلًا أو تهجدًا؛ ولذلك لا بدَّ من المحافظة على طهارته وإزالة الأوساخ والغبار منه بالكنس وغيره، لنيل محبّة الله والمحافظة على البركات والفيوض المعنويَّة والماديّة. عن الإمام الباقر عليه السلام: «**كنس البيوت ينفي الفقر**»[7].

(1) سورة المدثّر، الآية 4.
(2) الشيخ الكليني، الكافي، ج6 ص441.
(3) السيوطيّ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور، دار المعرفة للطباعة والنشر، لبنان - بيروت، لا.ت، لا.ط، ج4، ص185.
(4) الشيخ الصدوق، الخصال، ص54.
(5) الشيخ الحرّ العامليّ، وسائل الشيعة، ج5، ص319.
(6) المصدر نفسه، ج5، ص322.
(7) المصدر نفسه، ج5، ص317.

3. نظافة الشوارع:

ذمّت الروايات أولئك الذين يؤذون الناس بوضع القاذورات في الشوارع والطرقات العامّة. ففي الحديث عن النبيّ الأكرمﷺ: «**من سلّ سخيمة**[1]**على طريق عامر من طرق المسلمين، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**»[2].

والإسلام زرع بذور النظافة في تراب البشريَّة، لتُنبِتَ سنابل الجمال والزينة في رحاب شعاع السُّنن المحمّديَّة.

ما هي الزينة؟

الزينة لغة: هي من الزَّين، أي خلاف الشَّين. وهي اسم جامع لكلّ شيء يُتزيّن به، وتحسين الشيء بغيره من لُبسةٍ أو حليةٍ أو هيئة[3].

ويعرِّف الراغب الأصفهانيّ الزينة: «الزينة الحقيقيَّة: ما لا يشين (يعيب) الإنسان في شيء من أحواله، لا في الدنيا ولا الآخرة. فأمَّا ما يزينه في حالة دون حالة، فهو من وجه شين. والزينة بالقول المجمل ثلاث: زينة نفسيَّة كالعلم والاعتقادات الحسنة، وزينة بدنيَّة، كالقوَّة وطول القامة، وزينة خارجيَّة، كالمال والجاه»[4].

الزينة في الآيات والروايات

ورد لفظ الزينة في القرآن الكريم في صور متعدّدة وبمعانٍ مختلفة، فمرّة يتحدّثُ عن زينة السماء: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾[5]، وأخرى عن زينة الطبيعة، وثالثة يأمر الناس بالتزيّن: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾[6].

---

(1) السخيمة: الغائط، ابن منظور، لسان العرب، ج12، ص283.

(2) النيسابوريّ، أبو عبد الله الحاكم، المستدرك على الصحيحين، إشراف يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة للطباعة والنشر، لبنان - بيروت، لا.ت، لا.ط، ج1، ص 186.

(3) ابن منظور، لسان العرب،ج6، مادّة: زين.

(4) الراغب الأصفهانيّ، مفردات ألفاظ القرآن، ص 288.

(5) سورة الصافّات، الآية 6.

(6) سورة الأعراف، الآية 32.

ورابعة ينهى عن أخذ الزينة بشكل معيَّن: ﴿وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ﴾[1].

وكذلك حثَّت الروايات عن المعصومين عليهم السلام، على التجمُّل والسعي في تحسين المظهر، عبر بعض الآداب التي تنسجم مع ميول البشر ورغباتهم وطبائعهم. عن أبي عبد الله عليه السلام: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**إنّ الله جميلٌ يُحبّ الجمال، ويُحبّ أن يرى أثر النعمة على عبده**»[2]. ومن الملاحظ أنَّ التزيّن والتجمّل يتردَّدان بين أوتار عدّة، فهما تلبية لفطرة وطبيعة إنسانيَّة، وهما تلبية لحاجة واقعيَّة حياتيَّة، وهما مفتاح للراحة، وفخّ للترف والبذخ والتميُّز.

أقسام الزينة وحكمها

الأصل في الزينة الإباحة، وقد حثّ الشارع على التزيّن؛ كسنن الفطرة وخصالها. وبذلك تدخل الزينة تحت عباءة الاستحباب: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾[3].

وقد يُحذّر الشارع منها، ويعدُ فاعلها بالعقاب. وهذه هي الزينة المحرّمة المنهيّ عنها: ﴿وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ﴾[4]. فالزينة قسمان: محلّلة ومحرّمة، تختلف باختلاف مواضعها.

مواضع الزينة المحلَّلة

إنَّ الله جميلٌ، له الجمال المُطلق، جمال الذات، وجمال الصفات، وجمال الأفعال، ويحبُّ أن يرى من عبده كلّ جميل، لذلك حبَّب إلينا فعل التجمُّل والتزيّن في مواضع، منها:

1. **التجمُّل والتزيّن أثناء العبادة:** إذ قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾[5]. والأمر هنا بالتزيّن الجميل عند الحضور إلى المسجد للصلاة والطواف

(1) سورة النور، الآية 31.
(2) الشيخ الكليني، الكافي، ج6، ص438.
(3) سورة الأعراف، الآية 31.
(4) سورة النور، الآية 31.
(5) سورة الأعراف، الآية 31.

وغيرهما من الأمور التي يُذكر فيها الله تعالى، ويشمل بإطلاقه سائر وجوه العبادة والذكر[1]. واللافت في بداية الآية الكريمة ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾، إشارة إلى الإطلاق والعموم لجميع بني البشر، نساءً ورجالاً برسالة واحدة، تحثُّهم على فطرة التزيّن والتجمُّل[2].

2. **التجمّل والتزيّن للإخوان:** عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «**أنّه كان ينظر في المرآة، ويرجّل جمّته، ويمتشّط، وربما نظر في الماء وسوى جمّته فيه. ولقد كان يتجمّل لأصحابه فضلًا على تجمّله لأهله، وقال: إنّ الله يُحبّ من عبده إذا خرج إلى إخوانه أن يتهيّأ لهم ويتجمّل**»[3].

عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «**قال أمير المؤمنين عليه السلام: ليتزيّن أحدكم لأخيه المسلم كما يتزيّن للغريب الذي يُحبّ أن يراه في أحسن الهيئة**»[4].

3. **تجمُّل كلّ من الزوجين للآخر وتزيّنه:** من الجميل الإشارة إلى هذه الرؤية المتوازنة في الإسلام. فالإنسان بطبعه ينفر من القبيح، ويرغب في الجميل، امرأة كان أو رجلًا، كلاهما سواء في هذه الطبيعة. يقول الإمام الصادق عليه السلام في تهيّؤ المرأة لزوجها: «**عليها أن تتطيّب بأحسن طيبها، وتلبس أحسن ثيابها، وتتزيّن بأحسن زينتها**»[5].

وكذلك على الزوج أن يعمل بآداب التنظّف والتطيّب والتزيّن لزوجته. فعن الحسن بن الجهم أنّه قال: «**رأيت أبا الحسن عليه السلام اختضب، فقلت: جُعلت فداك، اختضبت؟! فقال: نعم، إنّ التهيئة ممّا يزيد في عفّة النساء. ولقد ترك النساء العفّة بترك أزواجهنّ التهيئة. ثمّ قال: أيسرّك أن تراها على ما تراك عليه إذا كنت على غير تهيئة؟ قلت: لا، قال: فهو ذاك. ثمّ قال: من أخلاق الأنبياء التنظّف والتطيّب وحلق الشعر وكثرة الطروقة**»[6].

---

(1) يراجع: العلّامة الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، ج8، ص 79.
(2) يراجع: المصدر نفسه، ص 79.
(3) الشيخ الحرّ العامليّ، وسائل الشيعة، ج5، ص11.
(4) الشيخ الكلينيّ، الكافي، ج6، ص440.
(5) المصدر نفسه، ج5، ص 508.
(6) الشيخ الحرّ العامليّ، وسائل الشيعة، ج20، ص 246.

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأٓيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[1].

مواضع الزينة المحرَّمة

الزينة من النّعم الإلهيَّة، وهي من ضروريّات الأخلاق الإسلاميَّة، ولكن حين الخروج عن جادّة الشريعة، يتجلَّى شعار الحرمة والنهي عن استخدامها. ومن تلك الموارد:

1. **الإسراف في استعمال الزينة:** ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[2]. إنّ الأناقة من غير سرف، والتجمّل في غير تكلّف، من آداب الإسلام وتوجيهاته. إنَّه الإسلام الذي ينشد لبنيه علوّ المنزلة وجمال الهيئة. قد يأخذ الإسراف في التزيّن بصاحبه إلى حالة الإدمان أو الهوس بكلّ جديد الزينة، وقد يعتقدُ أنّ الإسراف علامة على التحضّر؛ أو أنّه يصبح شخصيّة مهمَّة إذا أغدق في الصرف. ويُستشفّ من القرآن مراعاة الاعتدال في جميع الأحوال، فلا يسرف في التجمُّل والتزيّن بذريعة العمل بسنن الله، بل يستهلك بشكل متوازن يتّسم بالدقّة والمراقبة.
2. **الإفراط في التعلّق بالزينة:** إنَّ حبَّ المال واللباس والغذاء، كوسائل للحياة والكمالات، من الأمور التي لا إشكال فيها، بل هي من الأمور الراجحة والضرورية للإنسان، ولكن إذا أصبح المرء يعشق التجمُّل وحبّ الحليّ ووسائل الزينة، على نحو يصبح القلب فارغًا من العشق الإلهيّ[3]، ويفيض بحبّ المادّيَّات والتعلّق بالشهوات، وتخنقهُ آثار الغرور، والعجب، وحبّ الظهور، والشعور بالعلوّ، وهنا يجب عليه التحرّز والانتباه لكي لا يقع في منزلقات الشهوات وآثارها السلبية.
3. **التزيّن باللباس المحرَّم:** أحلّ الله تعالى للمسلم أن يلبس ما يشاء من الثياب التي تحسّن مظهره، إلّا أنّه تعالى حرَّم عليه أنواعًا من اللباس، وهي:

(1) سورة الأعراف، الآية 32.
(2) سورة الأعراف، الآية 31.
(3) القائمي، الدكتور علي، تربية الفتاة في الإسلام، ترجمة البيان للترجمة، بيروت- لبنان، دار الصفوة، لا.ت، لا.ط، ص390.

لباس الشهرة

وهو على أنواع عدّة:

1. اللباس الذي يجعل الإنسان عرضة لكلام الناس والاستهزاء والتقوّل عليه. وقد أكّدت كثير من الروايات حرمة هذا النوع من اللباس. ففي الرواية أنّه دخل «عبّاد بن بكر البصريّ» على الإمام الصادق عليه السلام، وعليه ثياب شهرة غلاظ، فقال عليه السلام: «**يا عبّاد ما هذه الثياب؟**» فقال: «يا أبا عبد الله، تعيب عليّ هذا؟»، قال عليه السلام: «**نعم، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من لبس ثياب شهرة في الدنيا، ألبسه الله ثياب الذلّ يوم القيامة**»[1].
2. من ثياب الشهرة أن يلبس الرجل لباس المرأة، وتلبس المرأة لباس الرجل. فقد كثرت الروايات في ذمّ هذا النوع من اللباس ومن يلبسها. ففي الرواية عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**لعن الله المحلّل والمحلّل له، ومن تولّى غير مواليه، ومن ادّعى نسبًا لا يُعرف، والمتشبّهين من الرجال بالنساء، والمتشبّهات من النساء بالرجال...**»[2].
3. الحرير للرجال: فقد وردت في النهي عن لبسه للرجال الروايات الكثيرة. منها ما رُوي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: «**لا يصلح للرجل أن يلبس الحرير**»[3]. والمحرّم من الحرير الملبوس هو الثوب الحرير مئة في المئة، أمّا لو كان ممزوجًا بالحرير وغيره، فإنّ لبسه جائز. والنتيجة أنّه يجوز للإنسان أن يلبس ما يشاء من الثياب، ما لم تكن ثياب شهرة، أو من حرير خالص.

مظاهر الزينة

من مظاهر الزينة والتجمّل والتزيّن، حُسن اختيار الثوب وحُسن الترتيب والأناقة، واستخدام الطيب، فهي وسائل اعتمدها الإنسان المحبّ لأسس الجمال والترتيب والنظافة، وهي مسائل تشمل الرجال والنساء، والصغار والكبار، وكلّ فئات المجتمع.

(1) العلّامة المجلسيّ، بحار الأنوار، ج67، ص316.
(2) الشيخ الحرّ العامليّ، وسائل الشيعة، ج71، ص284.
(3) المصدر نفسه، ج4، ص372.

1. حسن اختيار الثوب:

للثوب وظيفتان: وظيفة الستر، ووظيفة التزيّن. لذلك على النساء انتقاء ما يناسبهنَّ ويلائمهنّ من الثياب، مع مراعاة الضوابط الشرعيّة، بأن:

أ. يكون اللباس ساترًا لجميع البدن، ما عدا الوجه والكفّين.

ب. يكون واسعًا فضفاضًا لا يُظهر مفاتن البدن.

ج. لا يكون شفافًا حتّى لا يظهر ما تحته.

د. لا يكون زينة في نفسه، لافتًا للنظر في لونه، كما هي الحال في الألوان الفاقعة الجاذبة للأنظار.

هـ. لا يكون مشتملًا على التطريز والزخارف اللافتة للأنظار.

و. أن لا يشتمل الثوب على صبغة الترويج للثقافة المعادية، كحمله لشعارات غربيّة أو منافية لأجواء حالتنا الإسلاميّة.

وفي اختيار الثوب، لا بدّ من الالتفات إلى تخصيص ثوب للصلاة، وآخر للعمل، وثالث للمنزل، وأنّ كلّ مرحلة عمريّة تتطلّب نوعًا من الملابس، ولباس الصيف القطنيّ يختلف عن لباس الشتاء الصوفيّ، فالثياب كلّها من خلق الله عزّ وجلّ، وقد أكرمنا بأن ألهمنا أن نغزلها، وننسجها، ونخيطها، ونصبغها، كي نتزيّن بها ونحسن الاختيار.

2. الترتيب والأناقة في الملبس:

إصلاح حال ثيابك إصلاح لشأنك، وقد حبّب الإسلام للمسلم أن يكون ذا هيئة حسنة، وأن يكون كريم المظهر، فهو سفير الإسلام في وجوده أينما حلّ. فتمتّع بما خلق الله لك من زينةٍ، وثيابٍ، وريش، من دون إسراف ولا مخيلةٍ، ولا عُلوٍّ على الناس.

قد يكون الثوب مرآة تعكس نمط تفكير الشخص وحاله، فإنّ الثوب المرتّب والنظيف والطاهر والأنيق، يبعثُ على الثقة بالنفس، والراحة والحيويّة، والنظام في الأمور الشخصيّة والعامّة، والدّقّة لدى الفرد.

وعليه، فإنّ الترتيب والأناقة في الملبس مظهرٌ حضاريٌّ ومدنيّ، له العديد من الأبعاد التربويّة بين الناس.

3. الطيب[1]:

اهتمّت الشريعة الإسلاميّة بمسألة الطيب بشكل خاصّ، وأولته اهتمامًا بالغًا. فقد كان الرسول الأكرم ﷺ يهتمّ بالتطيّب ويأمر أصحابه به. وقد اعتبرت بعض الروايات أنّ المال الذي ينفقه الإنسان في الطيب مهما كثر، فلا يُعدّ إسرافًا، ترغيبًا للمؤمنين في المحافظة على هذه السنّة المطهّرة. فعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**ما أنفقت في الطيب فليس بسرف**»[2].

وقد حدّدت لنا الشريعة الغرّاء أوقاتًا يُستحبّ فيها التطيّب، ومن هذه الأوقات: التطيّب للصلاة، والتطيّب في الصيام، والتطيّب نهار الجمعة.

ومن أدب الطيب أن يكون لله أوّلًا، قبل أن يكون لأيّ شيء آخر، وقد أكّدت بعض الروايات الشريفة ذلك. منها ما رُوي عن رسول الله عليهم السلام: «**من تطيّب لله تعالى، جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك الأذفر. ومن تطيّب لغير الله، جاء يوم القيامة وريحه أنتن من الجيفة**»[3].

ولا نغفل عن نهي الإسلام المرأة عن الخروج من البيت متعطّرة. ففي الرواية عن الرسول الأكرم ﷺ: «**أيّما امرأة استعطرت فمرّت على قوم ليجدوا من ريحها فهي زانية**»[4]. ولكنّ الإسلام لم يقمع غريزة الأنثى التي تهتمّ بجمالها، بل فتح لها أفقًا آخر تتمتّع فيه بكامل الأنوثة، من خلال التزيّن للزوج بشتّى أنواع التزيّن، حتّى تحافظ على محبّتها في قلبه. فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**لتتطيَّب المرأة المسلمة لزوجها**»[5].

لباس التقوى خير

عن الإمام الصادق عليه السلام: «**فالبسْ وتجمّل، فإنَّ الله جميل يحبُّ الجمال، وليكنْ من حلال**»[6].

---

(1) www.almaaref.org/maarefdetails.php?id=1752&subcatid

(2) الشيخ الطبرسيّ، مكارم الأخلاق، ص41.

(3) الفيض الكاشاني، المحجّة البيضاء في تهذيب الأحياء، ج8، ص105.

(4) الشيخ الكلينيّ، الكافي، ج6، ص442.

(5) الشيخ علي النمازي الشاهرودي، مستدرك سفينة البحار، تحقيق وتصحيح الشيخ حسن بن عليّ النمازي، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقمّ المشرفة، إيران - قم، 1418هـ، لا.ط، ج6، ص611.

(6) العلّامة المجلسيّ، بحار الأنوار، ج 76، ص302.

إنَّ حبَّ الزينة والتزيّن، من أقوى غرائز البشر الدافعة لهم إلى إظهار سنن الله في الخليقة.

ولقد منَّ الله على بني آدم كلّهم بلباسِ الزينة، حين قال عزّ شأنه: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾[1].

«اللباس» هنا لم يقتصر على ستر البدن، إنَّما تعدّاه إلى التجمّل والزينة. قال تعالى: «وريشًا»، والمقصود منها الزينة والتجمُّل، بما يرمز ريشُ الطيور من رونق الألوان المختلفة وجمالها، بحيث يجعل أجسامكم أجمل ممَّا هي عليه. ثمّ تحدَّث القرآن عقيب هذه الجملة عن اللباس المعنويّ: «ولباس التقوى»، وتشبيه التقوى باللباس تشبيه قويّ الدلالة، لأنَّه كما أنَّ اللباس يحفظ البدن من الحرّ والقرّ، ويقي الجسم الكثير من الأخطار، ويستر العيوب الجسمانيَّة، وهو زينة وجمال ومظهر حسن للإنسان، كذلك روح التقوى، من عفاف وحياء وعمل صالح، هي ستر ووقاية من الكثير من الأخطار والعيوب الفرديَّة والاجتماعيَّة، وتعدّ زينة كبرى تضيف إلى شخصيَّة الإنسان رفعة وسموًّا، وتزيدها جلالًا وبهاءً[2].

وعليه، أنزل الله تعالى نوعين من اللباس: لباس الزينة يجمّل الظاهر، ولباس التقوى يجمّل الباطن. فهناك تلازم بين اللباس للستر والزينة وتقوى الله في النفوس. فالتقوى لباس يستر عورات القلوب ويزيّنها، والثياب تستر عورات الجسم وتزيّنها.

يقول الإمام عليّ عليه السلام: «**الصورة الجميلة أوّل السعادة**»[3]. ولكن، هل الزينة الظاهرة في اللباس والمسكن والسيارة والطعام.. من الأولويّات في الحياة الدنيا؟

نعم، قلنا سابقًا، حُبّب إلينا أن نتزيَّن ونجمّل أنفسنا. ففي الروايات حثّ على تزيين الشعر وترجيله، وعلى تجمُّل المرأة ولو بقلادة، وعلى تهيّؤ الإنسان لاستقبال الإنسان

(1) سورة الأعراف، الآية 26.

(2) راجع: الشيرازيّ، ناصر مكارم، مختصر الأمثل في كتاب الله المنزل، إعداد علي بابائي، دار جواد الأئمّة، لبنان - بيروت، 1428هـ - 2007م، ط1، ج2، ص 112.

(3) الليثيّ الواسطيّ، عيون الحكم والمواعظ، ص228.

المؤمن. إلّا أنَّ الزينة الظاهرة المادّيَّة غير ثابتة وستزول مع مرور الزمن. ولكنّ الأهمّ يكمن في الزينة الباطنيّة والحقيقيَّة، والباقية آثارها حتّى مع فناء الجسد، زينة النفس بالكمالات والفضائل المعنويَّة، أي أن يكون الجوهر الروحيّ سليمًا، يأنسُ بالعفاف بعيدًا عن أيّ أمراضٍ قلبيّةٍ قد تفتك به: «**إيّاك أن تتزيّن للناس وتبارز الله بالمعاصي**»[1]. يجبُ أن يكون هناك تناغم وتوازن بين زينة الظاهر وزينة الباطن، بل أن يفيض الباطن على الظاهر، لأنّه الأصل والغاية والأساس الذي سيسجد ويحاكي النور الأبديّ.

وعليه، فالزينة الظاهريَّة وسيلة عذبة للحياة المادّيَّة، لا غاية نصبو إليها بحدّ ذاتها. وعلينا أن نحذر من الوقوع في فخّ الهوس بها، والاهتمام بالتحلّي بالزينة الباطنيَّة، بالحفاظ على المستوى الروحيّ، بالثبات على الصراط المستقيم.

(1) الشيخ الحرّ العامليّ، وسائل الشيعة، ج3، ص344.

المفاهيم الرئيسة

1. «مظهر المؤمن» أمر محوريٌّ، اهتمّت به الشريعة الإسلاميَّة من خلال الآيات الكريمة والروايات الشريفة، ولم تجعله حكرًا على المسلمين، إنَّما هو ثقافة، بل حاجة لكلّ عقل إنسانيّ وجسد بشريّ.
2. الدين الإسلاميّ الحنيف هو دين الفطرة، وبالتالي، فإنّ جلّ الأحكام التي أتى بها، توافق الفطرة السليمة.
3. إنّ النظافة من القيم التي أكّدها الإسلام، معتبرًا:
   أ. أنّها من الكمالات الإنسانيَّة.
   ب. أنّها من أخلاق الأنبياء عليهم السلام.
   ت. أنّها من جنود العقل.
4. أكَّد الإسلام نظافة الجسد، ونظافة البيوت، ونظافة الثياب والشوارع، وكلّ ما حولنا من نِعم الجمال.
5. حبَّب إلينا فعل التجمُّل والتزيّن في مواضع منها: التجمُّل والتزيّن أثناء العبادة، والتجمّل والتزيّن للإخوان، وتزيُّن كلّ من الزوجين للآخر.
6. الزينة من النعم الإلهيَّة، وهي من ضروريّات الأخلاق الإسلاميَّة. ومن مصاديقها: حسن اختيار الثوب، الترتيب والأناقة في الملبس، استخدام الطيب.
7. من موارد الزينة المحرّمة الإسراف في استعمال الزينة، التزيّن من دون مراعاة الحلّيَّة، والتزيّن باللباس المحرَّم، ولباس الشهرة، ولبس الحرير للرجال، والتشبّه بالكافرين.
8. من المحرّمات لباس الشهرة: هو اللباس الذي يجعل الإنسان عرضة لكلام الناس والاستهزاء. وكذلك من ثياب الشهرة، أن يلبس الرجل لباس المرأة، وتلبس المرأة لباس الرجل.
9. الزينة الظاهريَّة وسيلة عذبة للحياة المادّيَّة، لا غاية نصبو إليها بحدِّ ذاتها، وعلينا أن نحذر من الوقوع في فخّ الهوس بها، والاهتمام بالتحلّي بالزينة الباطنيَّة، بالحفاظ على المستوى الروحيّ، والثبات على الصراط المستقيم.

الدرس الرابع عشر

الاختلاط (1)

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يتعرّف إلى مفهوم الاختلاط وفق الرؤية الإسلاميّة.

2 . يميّز بين موارد حليّة الاختلاط وحرمته.

3 . يتعرّف إلى الضوابط الشرعيّة للاختلاط.

تمهيد

لا ريب في أنَّ الدين الإسلاميّ دينٌ متكامل، لم يكتفِ بسلسلة من الأحكام العباديّة والمواعظ الفرديَّة فحسب، بل خاطب المجتمع الإنسانيّ، وعمد إلى صيانته. لذا، نجد أنّ العديد من أحكام الشريعة السمحة، قد نظرت بِملاكها إلى المصلحة العامّة، وشدّدت عليها، وحرَّمت ما يُلحق الضرر بها.

ومن هذه الأحكام الاجتماعيّة، نجد الضوابط التي رسمت حدود العلاقة بين الرجل والمرأة، وبيّنت حكم الاختلاط بين الجنسين، وفصلت بين موارد الحرمة والجواز.

وفي درسنا الحاليّ، سنتناول معنى الاختلاط، ونحدّد أنواعه، ونذكر الضوابط الشرعيّة للاختلاط الجائز. وختامًا سوف نعرّج على الآيات والروايات الشريفة، لننهل من معينها، ونتبيَّن معالم تلك الضوابط الشرعيّة، وأبرز مصاديقها.

ما هو الاختلاط؟

الاختلاط لغةً: ضَمُّ الشيء إلى الشيء. وخالطَ القوم مخالطة: أي داخلهم.

وخالَطه خلاطًا: مازجه. فإنّ أصل الخلط تداخل أجزاء الأشياء بعضها في بعض. وقد تُوُسِّع فيه حتى قيل: رجل خليط، إذا اختلط بالناس كثيرًا، والجمع خلطاء، مثل: شريف وشرفاء[1].

أمّا اصطلاحًا، فهو اجتماع الرجال والنساء بشكل مباشر، كالوجود في مكان واحد: (المنزل، السوق، الطريق...)، أو بشكل غير مباشر، كالتواصل عبر وسائل التواصل

(1) الدكتور أحمد فتح الله، معجم ألفاظ الفقه الجعفريّ، لا.ن، لا.م، 1415هـ - 1995م، ط1، ص 180.

الاجتماعيّة: (الفايس بوك، الواتساب...). فكلّ لقاء لأحد الجنسين مع الآخر هو نوع من أنواع الاختلاط.

وينقسم الاختلاط بين الجنسين إلى اختلاط محرّم واختلاط جائز. فالاختلاط الجائز هو الذي يكون بين المرأة ومحارمها[1]، أو بين المرأة وغير المحارم مع مراعاة جميع الضوابط الشرعيّة للاختلاط، فلا يقترن بالنظرات المريبة، أو اللبس غير المحتشم، أو الخضوع في القول.

أمَّا الاختلاط المحرّم، فهو الذي يقع بين المرأة والرجل الأجنبيّ مع الإخلال بالضوابط الشرعيّة من أحد الطرفين.

الاختلاط في الآيات والروايات الشريفة

لم يرِد لفظ الاختلاط بمعناه الاصطلاحيّ بشكل صريح ضمن الآيات القرآنيّة[2]؛ إنَّما حُدّدت ضوابطه وأحكامه الشرعيّة، في العديد من آيات الأحكام، لا سيّما في الآيات التي تتحدث عن أحكام الستر والنظر، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾[3]. والمقصود من الخضوع في القول ترقيق الصوت، وتليين الكلام، واحتواؤه على الميوعة، ممَّا يثير الريبة بين الرجل والمرأة، ويصدق عليه الاختلاط بلحاظ ما.

وكما في قوله تعالى أيضًا: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ

(1) المقصود من المحارم: الأب والجدّ، الابن والحفيد، الأخ من الأب والأمّ أو من أحدهما، أبناء الأخ، أبناء الأخت، العمّ والخال المباشران أو غير المباشرين، أي عمّ الأب والأمّ وخالهما. وهؤلاء لا يجوز للفتاة الزواج بهم، ويجوز لها إبداء زينتها لهم ومصافحتهم، وسائر التصرّفات الّتي تجوز مع المحارم.

(2) ورد مفهوم الاختلاط بمدلوله اللغويّ في العديد من الآيات الشريفة، ومن هذه الموارد :
قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ (سورة التوبة، الآية 102) أي ضمّوا ومزجوا.
وقوله تعالى: ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ﴾ (سورة البقرة، الآية 220)، أي تداخلوهم. وقوله: ﴿أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ﴾ (سورة الأنعام، الآية 146) ، أي انضمّ والتصق.
وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ (سورة ص، الآية 24)، أي الشركاء، سُمّوا كذلك لأنّ الشراكة تحصل بالخلط قبل العقد.

(3) سورة الأحزاب، الآية 32.

أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ﴾[1]؛ فقد أمر الله تعالى الرجال والنساء بغضّ البصر، بمعنى أن لا يُطيل الرجل النظر إلى المرأة، وكذا العكس. والغضُّ هو الخفضُ والنقصان من الطرف، وغضُّ البصر يعني عدم التحديق والإمعان في الشيء.

وفي الآية نجد أيضًا خطابًا موجّهًا للنساء، وأمرًا منه تعالى بوجوب الستر وحفظ الفرج، وعدم إظهار الزينة لغير المحارم من الرجال.

وقد ذكر القرآن الكريم شخصيّات نشأت في بيئة مختلطة، وكانت قدوة وأسوةً للرجال والنساء في العفّة والطهارة. ومن أبرز هذه الشخصيّات السيّدة مريم عليها السلام التي حصّنت نفسها في مجتمع مليء بالفساد. قال تعالى: ﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾[2].

كذلك نبيّ الله يوسف عليه السلام يمثّل الأسوة الحسنة في العفّة والطهارة، إذ على الرغم من وجود البيئة الفاسدة والمجتمع المختلط، ووجود مقدّمات الرذيلة والفتنة، حصّن نفسه واستعاذ بربّه: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[3].

هذه الآيات القرآنيّة، وغيرها من الآيات التي تسلّط الضوء على جانب من ضوابط الاختلاط بين المرأة والرجل الأجنبيّ، يُعاضدها الكثير من الروايات والأحاديث الشريفة، التي بيّنت المعالم السويّة للعلاقة بين الطرفين. نستعرض الأبرز منها على الشكل الآتي:

1. **الستر والعفّة وتجنّب مخالطة الرجال:** ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أنّه أمر النساء في البيعة بتجنّب مجالسة الرجال في الخلاء. فقد ورد عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قوله: «**فِيمَا أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم مِنَ الْبَيْعَةِ عَلَى النِّسَاءِ، أَنْ لَا يَحْتَبِينَ وَلَا يَقْعُدْنَ مَعَ الرِّجَالِ**

(1) سورة النور، الآيتان 30 - 31.
(2) سورة التحريم، الآية 12.
(3) سورة يوسف، الآية 23.

فِي الْخَلَاءِ»[1]. كما أمر الرسول ﷺ، النساء بالعفّة، وقد وصف رسول الله ﷺ المرأة العفيفة بأنّها خير النساء وأفضلهنّ. فعَنْ أَبِي حَمْزَةَ قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «**إِنَّ خَيْرَ نِسَائِكُمْ... الْعَفِيفَةُ الْعَزِيزَةُ فِي أَهْلِهَا...**»[2]. وخير قدوة في العفّة والتستّر الأكمل، هي سيّدة نساء العالمين عليها السلام. فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «**إنّ فاطمة بنت رسول الله ﷺ، استأذن عليها أعمى فحجبته، فقال لها النبيّ عليها السلام: «لِمَ حجبته وهو لا يراك؟ فقالت: يا رسول الله، إن لم يكن يراني فأنا أراه، وهو يشمّ الريح**». فقال النبيّ عليه السلام: «**أشهد أنّك بضعة منّي**»[3].

2. **آداب مشي النساء:** تكفّلت الروايات الشريفة ببيان الآداب الاجتماعيّة الخاصّة بالنساء، التي بيّنت كيفيّة المشي أثناء خروجها إلى المجتمع المختلط بالرجال الأجانب. عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَيْسَ لِلنِّسَاءِ مِنْ سَرَاةِ الطرِيقِ (يعني وسطه)، وَلَكِنْ جَنْبَيْهِ**»[4].

3. **النهي عن النظر المحرَّم:** ورد في العديد من الروايات نهيٌ صريح عن النظر المحرَّم، وتأكيدٌ لغضّ الطرف. عن أبي عبد الله عليه السلام: «**ما من أحدٍ إلا ويصيب حظًا من الزنا، فزنا العينين النظر...**»[5]. ووصفت بعض الروايات النظرة المحرّمة بأنّها من سهام إبليس، وأنّها لا تجرّ على صاحبها غير الحسرة والندامة. فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «**النظرة سهم من سهام إبليس مسموم، وكم من نظرة أورثت حسرة طويلة**»[6].

4. **النهي عن اللمس والمصافحة:** فقد ورد عن رسول الله ﷺ: «**من صافح امرأة حرامًا جاء يوم القيامة مغلولًا، ثمّ يُؤمر به إلى النار**»[7].

(1) الشيخ الكلينيّ، الكافي، ج 5، ص 519.
(2) المصدر نفسه، ج5، ص 324.
(3) العلّامة المجلسيّ، بحار الأنوار، ج43، ص 91.
(4) الشيخ الكلينيّ، الكافي، ج5، ص519.
(5) المصدر نفسه، ج5، ص809.
(6) المصدر نفسه، ج5، ص559.
(7) الشيخ الحرّ العامليّ، وسائل الشيعة، ج20، ص197.

5. **نهي الرجال عن محادثة النساء ومراقبتهنَّ:** نجد طائفة أخرى من الروايات تخاطب الرجال، وتنهاهم عن محادثة النساء أو مراقبتهنَّ.

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: «**ثَلَاثَةٌ مُجَالَسَتُهُمْ تُمِيتُ الْقَلْبَ: الْجُلُوسُ مَعَ الْأَنْذَالِ، وَالْحَدِيثُ مَعَ النِّسَاءِ، وَالْجُلُوسُ مَعَ الْأَغْنِيَاءِ**»[1]. وفي مورد آخر قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: «**إِنَّ لِأَهْلِ الدِّينِ عَلَامَاتٍ يُعْرَفُونَ بِهَا: صِدْقَ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءَ الْأَمَانَةِ، وَوَفَاءً بِالْعَهْدِ، وَصِلَةَ الْأَرْحَامِ، وَرَحْمَةَ الضُّعَفَاءِ، وَقِلَّةَ الْمُرَاقَبَةِ لِلنِّسَاءِ...**»[2].

6. **النهي عن المفاكهة والممازحة:** لم تكتفِ الشريعة ببيان كيفيّة الكلام، بل حدَّدت مقداره بالاقتصار على مورد الحاجة والضرورة، ونهت عن المزاح والضحك والمفاكهة، بل حرّمت ذلك إذا استلزام المفسدة، أو خوف الوقوع في الفتنة والريبة[3]. وفي السياق، ورد عن أبي بصير أنّه قال: كنت أُقرئ امرأة، كنت أعلّمها القرآن، فمازحتها بشيء، فقدمت على أبي جعفر عليه السلام، فقال لي: «**أيّ شيء قلت للمرأة؟**» فغطّيت وجهي، فقال عليه السلام: «**لا تعودنّ إليها**»[4].

الأحكام الشرعيّة للاختلاط

إنَّ المعيار الفاصل في تحديد الفرق بين حرمة الاختلاط وجوازه، يكمن في مدى الالتزام بالشريعة الإسلاميّة، التي قدَّمت لنا باقةً من الأحكام المتعلقّة بالاختلاط بين الجنسين.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ بعض هذه الأحكام خاصّة بالمرأة، كحكم التستّر والحجاب، وكيفيّة الكلام، والمشي، والبعض الآخر من الأحكام مشتركٌ بين الرجل والمرأة، كأحكام النظر واللمس والمصافحة، وتجنّب المفاكهة، والأحكام التي تتعلّق بالخلوة والاختلاط المباشر وغير المباشر.

(1) الشيخ الكلينيّ، الكافي، ص641.
(2) المصدر نفسه، ج2، ص293.
(3) انظر: لجنة التأليف في مركز المعارف للتأليف والتحقيق، الأحكام الشرعيّة للمرأة، دار المعارف الإسلاميّة الثقافيّة، لبنان - بيروت، 1436هـ - 2015م، ط1، ص 177.
(4) الشيخ الحرّ العامليّ، وسائل الشيعة، ج14، ص144.

1. أحكام الخلوة بين المرأة والرجل:

أ. لا تجوز الخلوة بين الرجل والمرأة الأجنبيّين. والخلوة هي أن يكونا في مكان وحدهما، وليسا في معرض رؤية الآخرين ودخولهم عليهما.

ب. يجوز للمرأة الركوب في سيّارة سائقها الأجنبيّ - إذا كان لديها سائق خاصّ - أو كانت تعمل في مؤسّسة ما ويجري إيصالها إلى منزلها، ما لم يصدق عليه الخلوة، وكانت تأمن من الوقوع في الحرام أو المفسدة والريبة[1].

2. أحكام الاختلاط المباشر:

أ. النظر المحرّم: يجب عليهما - المرأة والرجل الأجنبيّ - ترك النظر المحرّم على التفصيل المتقدّم.

ب. غضّ البصر: بمعنى أن لا يُطيل الرجل النظر إلى المرأة، وكذا العكس. والغضّ هو الخفض والنقصان من الطرف، وغضّ البصر يعني عدم التحديق والإمعان في الشيء.

ج. التبرّج والزينة: يجب على المرأة ترك التبرّج والزينة بجميع أقسامهما حال الاختلاط ووجود الناظر الأجنبيّ.

د. العطر والطيب: ينبغي للمرأة ترك الطيب الذي تنبعث منه الرائحة. بل لو كان لافتًا للنظر أو ترتّبت عليه مفسدة، فلا يجوز الخروج به أمام الأجنبيّ.

هـ. المصافحة: يحرم على المرأة أن تُصافح الأجنبيّ.

و. المزاح والضحك: ينبغي ترك المزاح والضحك حال الاختلاط. بل لو كان ذلك يستلزم المفسدة بين الطرفين، أو كان فيه خوف الفتنة والريبة، فلا يجوز.

ز. الخضوع في القول: بمعنى أن يُؤدَّى الكلام بطريقة تحتوي على الميوعة، ممّا يُثير الريبة بين الطرفين، بل لا يجوز إذا أدّى إلى ذلك[2].

(1) الأحكام الشرعيّة للمرأة، لجنة التأليف في مركز المعارف للتأليف والتحقيق، ص99، طبقاً لفتاوى الإمام الخامنئيّ دام ظله.
(2) المصدر نفسه، ص99 - 100.

3. أحكام الاختلاط غير المباشر:

لا فرق بين الاختلاط المباشر وغير المباشر على مستوى التكاليف والأحكام الشرعيّة. فكلّ ما ورد من أحكام شرعيّة خاصّة بالنظر والكلام، تقع أيضًا في دائرة الاختلاط غير المباشر.

أ. لا تجوز المحادثة بين المرأة والرجل الأجنبيّ، سواء كانت مباشرة أو عبر الهاتف، أو عبر الانترنت، أو بالمراسلة، أو عبر المنتديات، أو عبر البريد الإلكترونيّ، وما شابه ذلك، إذا كانت مثيرة للشهوة، أو كانت بقصد التلذّذ والريبة، أو مع خوف الافتنان، أو استلزمت الوقوع في الحرام أو المفسدة.

ب. لا مانع من المحادثات والحوارات الفكريّة والثقافيّة العامّة، الدينيّة وغيرها، التي تجري بين الجنسين (من غير المحارم)، على مختلف وسائل التواصل الاجتماعيّ بالكتابة، أو الكلام المباشر أو المسجّل، بشرط مراعاة الحدود الشرعيّة وعدم ترتّب المفسدة.

ج. يجوز بناء علاقات الصداقة مع الجنس الآخر عبر مواقع التواصل الاجتماعيّ من دون المقابلة المباشرة، مع مراعاة الحدود الشرعيّة، وعدم خوف الوقوع في الحرام أو ترتّب المفسدة، وإلّا فلا يجوز.

د. لا يجوز التعارف والتسلية بالكلام المكتوب أو المسجّل بين الجنسين على وسائل التواصل الاجتماعيّ إذا كان فيه خوف الفتنة والريبة، أو مع ترتّب المفسدة، أو كان يستلزم الوقوع في الحرام.

هـ. إذا كان الضحك والمزاح وتبادل النكت عبر «الجوّال» أو في المنتديات فيه خوف الفتنة والريبة، أو ترتّبت عليه المفسدة، أو كان يستلزم الوقوع في الحرام، فلا يجوز.

و. مجرّد الحبّ والمودّة بين الرجل والمرأة الأجنبيّين لا مانع منه في نفسه، إلّا إذا أدّى إلى الوقوع في الحرام أو ترتّبت عليه مفسدة. ولكن مع ذلك، فلا وجه لإظهار المرأة مودّتها أو حبّها للرجل الأجنبيّ أو العكس؛ لأنّه كثيرًا ما يؤدّي إلى إثارة الشهوة والفتنة وترتّب المفسدة[1].

(1) انظر: لجنة التأليف في مركز المعارف للتأليف والتحقيق، فقه التواصل الاجتماعيّ، دار المعارف الإسلاميّة الثقافيّة، لبنان - بيروت، 1435هـ - 2014م، ط1، ص40-39، طبقاً لفتاوى الإمام الخامنئيّ دام ظله.

المفاهيم الرئيسة

1. الاختلاط لغةً: ضَمُّ الشيء إلى الشيء. وخالطَ القوم مخالطة: أي داخلهم. أمّا اصطلاحًا، فهو اجتماع الرجال والنساء بشكل مباشر، كالوجود في مكان واحد: (المنزل، السوق، الطريق...)، أو بشكل غير مباشر، كالتواصل عبر وسائل التواصل الاجتماعيّة: (الفايس بوك، الواتساب...). فكلّ لقاء بين الجنسين هو نوع من أنواع الاختلاط.
2. ينقسم الاختلاط بين الجنسين إلى: اختلاط محرّم واختلاط جائز.
3. لم يرِد لفظ الاختلاط بمعناه الاصطلاحيّ بشكل صريح ضمن الآيات القرآنيّة؛ إنَّما حُدّدت ضوابطه وأحكامه الشرعيّة في العديد من آيات الأحكام، لا سيّما في الآيات التي تتحدّث عن أحكام الستر والنظر.
4. إنَّ المعيار الفاصل في تحديد الفرق بين حرمة الاختلاط وجوازه، يكمن في مدى الالتزام بالشريعة الإسلاميّة، التي قدَّمت لنا باقةً من الأحكام المتعلقّة بالاختلاط بين الجنسين.
5. بيّنت الروايات والأحاديث الشريفة المعالم السويّة للعلاقة بين الطرفين، وأشارت إلى الأمور الآتية: ستر النساء وعفّتهنّ وتجنّب مخالطة الرجال، آداب مشي النساء، النهي عن النظر المحرَّم، النهي عن اللمس والمصافحة، نهي الرجال عن محادثة النساء ومراقبتهنَّ، النهي عن المفاكهة والممازحة بين المرأة والرجل الأجنبيّ.
6. من الأحكام الشرعيّة للاختلاط:

أ. لا تجوز الخلوة بين الرجل والمرأة الأجنبيّين، والخلوة هي أن يكونا في مكان وحدهما، وليسا في معرض رؤية الآخرين ودخولهم عليهما.

ب. يجب عليهما (المرأة والرجل الأجنبيّ)، ترك النظر المحرّم. كما يجب على المرأة ترك التبرّج والزينة بجميع أقسامهما حال الاختلاط ووجود الناظر الأجنبيّ.

ج. ينبغي ترك المزاح والضحك حال الاختلاط، بل لو استلزم ذلك المفسدة بين الطرفين، أو كان فيه خوف الفتنة والريبة، فلا يجوز.

الدرس الخامس عشر

الاختلاط (2)

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يتعرّف إلى مفاسد الاختلاط المحرّم.

2 . يحدّد مصاديق الاختلاط المحرّم.

3 . يدرك كيفيّة الوقاية من الوقوع في الاختلاط المحرّم.

تمهيد

يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «إنّ الثقافة الإسلاميّة هي ثقافة عدم الاختلاط بين الرجل والمرأة. ومثل هذه الحياة تستطيع - برعاية الموازين العقليّة - أن تحقّق السعادة، وأن تتقدّم بصورة صحيحة، وقد شدّد الإسلام عليها. وهذه تخالف تمامًا القضية التي أرادها وعمل لها طلاب الشهوة. وإنّ أصحاب السلطة والمال والقدرة من رجالهم ونسائهم ومن تحت سلطتهم، رغبوا في إزالة هذا الحاجز الموجود بين الرجل والمرأة، وهذا شيء يعود بالضرر على حياة المجتمع وعلى أخلاق المجتمع، وهدر لعفّة المجتمع، والأسوأ من ذلك أنّه يهزّ أركان الأسرة»[1].

انطلاقًا من كلام الإمام القائد الخامنئيّ دام ظله، سوف نستكمل البحث في قضيّة الاختلاط، ونسلّط الضوء على الآثار السلبيّة للاختلاط المحرَّم، ونعدّد بعض مظاهر الاختلاط في المجتمع، لنبيّن في ختام درسنا طرائق الوقاية والمعالجة.

مفاسد الاختلاط المحرّم

لقد أشارت بعض الروايات إلى جانب من ملاكات الأحكام، منها ما ورد في الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**إنّ الله تبارك وتعالى لم يحرّم ذلك على عباده وأحلّ لهم ما سواه، من رغبة منه في ما حرّم عليهم، ولا زهد في ما أحلّ لهم. ولكنّه خلق الخلق، فعلم ما تقوم به أبدانهم، وما يصلحهم، فأحلّه لهم وأباحه، تفضّلًا منه عليهم**

(1) خطاب الإمام الخامنئيّ دام ظله بمناسبة ولادة السيّدة زينب الكبرى عليها السلام، في طهران، بحضور حشود من الأخوات، بتاريخ 1415/05/05 هـ.ق.

به لمصلحتهم. وعلم ما يضرّهم، فنهاهم عنه وحرّمه عليهم، ثمّ أباحه للمضطرّ، وأحلّه له في الوقت الذي لا يقوم بدنه إلّا به...»[1]. فما أمرنا الله بترك أمرٍ، وما نهانا عن القيام بفعل، إلّا لاقتضاء مصلحة ودفع ضرر.

ولأنَّ عواقب الاختلاط المذموم وأضراره متعدّدة، نهت الشريعة السمحة عنه، وأمرت بتجنّبه. وهذه العواقب يمكن تفريعها على الشكل الآتي:

أ. **ارتفاع الحياء:** إنَّ الاختلاط يؤدّي إلى ارتفاع الحياء الذي يمثّل الحصانة الأساس لعفّة الإنسان، وحائلًا دون وقوعه في المحرّمات. وارتفاعُ الحياء عند المرء يعني سلب الرحمة الإلهيّة، وبالتالي اضمحلال إيمانه ودينه؛ لأنَّ الحياء والدين متلازمان. فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**الحياء والإيمان مقرونان في قرن، فإذا ذهب أحدهما تبعه صاحبه**»[2]. وعن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «**الحياء من الإيمان، والإيمانُ في الجنّة**»[3]. وعنه عليه السلام أنّه قال: «**لا إيمان لمن لا حياء له**»[4].

ب. **انعدام الغيرة:** من الآثار السلبيّة أيضًا، انعدام غيرة الرجال إثر اختلاط نسائهم بالرجال الأجانب. لذا نجد أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام خاطب أهل العراق مؤنّبًا، مستنكرًا مزاحمة النساء للرجال، وعدم اكتراث رجالهم لهذا الأمر. فقد ورد عنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام أَنَّه قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: «**يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ، نُبِّئْتُ أَنَّ نِسَاءَكُمْ يُدَافِعْنَ الرِّجَالَ فِي الطَّرِيقِ، أَمَا تَسْتَحْيُونَ**»[5]. وفِي حَدِيثٍ آخَرَ قَالَ عليه السلام: «**أَمَا تَسْتَحْيُونَ وَلَا تَغَارُونَ، نِسَاؤُكُمْ يَخْرُجْنَ إِلَى الْأَسْوَاقِ وَيُزَاحِمْنَ الْعُلُوجَ**»[6].

(1) الشيخ الحرّ العامليّ، وسائل الشيعة، ج42، ص 99.
(2) الشيخ الكلينيّ، الكافي، ج2 ص106.
(3) المصدر نفسه، ج1، ص 7.
(4) المصدر نفسه، ج2، ص 106.
(5) المصدر نفسه، ج5، ص 538.
(6) المصدر نفسه، ج5، ص537.

ج. **العزوف عن الزواج:** الاختلاط قد يكون سببًا للعزوف عن الزواج، لتصوّر الشابّ أنَّه يمكن إشباع الغريزة بغير زواج أو نفقة أو مسؤوليّات. وعزوفُ الشباب عن الزواج في المجتمعات الغربية أو التأخّر فيه، خيرُ دليل على هذا الأمر.

د. **الوقوع في الحرام:** الاختلاط مقدّمة قد توصل إلى فعل المحرّمات والوقوع فيها، بدءًا من النظر المحرَّم، وصولًا إلى الكلام المحرَّم، ثمّ إلى الزنا، وانتشار الأطفال غير الشرعيّين ومجهولي النسب، وغير ذلك من الذيول والتبعات النفسيّة والاجتماعيّة. لذا، نجد أنَّ الإمام أبا عبد الله عليه السلام حذَّر من النظرة المحرّمة، واعتبرها الخطوة الأولى نحو الرذيلة واتّباع الشيطان. فقد ورد في حديث عنه عليه السلام: «**النظرة بعد النظرة، تزرع في القلب الشهوة**»[1].

وقيل: إنَّه حينما سُئل يحيى بن زكريّا عليه السلام: ما بدء الزنا؟ فأجاب:« **بالنظرة والتمنّي**»[2].

هـ. **الانحلال الأخلاقيّ للمجتمع:** إنَّ رفع الحواجز الشرعيّة في العلاقة بين الرجل والمرأة يؤدّي إلى الوقوع في العلاقات المحرّمة والزنا، وغيرها من الرذائل التي تجرّ المجتمع إلى الفساد والانحلال الأخلاقيّ. وخير شاهد على هذا الأمر، ما نجده في المجتمعات الغربيّة والأميركيّة. فقد ذكر التقرير الذي أعدَّه مكتب الأمم المتّحدة لعام 2011م، أنَّ حوالى 20 مليون طفل يولدون سنويًّا مجهولي النسب في أميركا. وهذا الأمر ناتجٌ من التفلّت وعدم الانضباط في العلاقة بين الرجل والمرأة.

مظاهر الاختلاط المحرم

يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «إنَّ مسألة الاختلاط بين النساء والرجال، التي أطلقوا عليها اسم المساواة، هي للأسف ليست مساواةً، بل هي اختلاطٌ بين النساء والرجال، اختلاطٌ مضرّ، مملوء بالسموم المهلكة. وهو بلاء موجود في المجتمعات اليوم، وأكثر ما

(1) الشيخ الحرّ العامليّ، وسائل الشيعة، ج2، ص192.

(2) راجع: الإمام أحمد المرتضى، شرح الأزهار، مكتبة غمضان، اليمن - صنعاء، لا.ت، لا.ط، ج4، ص113.

يسود المجتمعات الغربيّة نفسها»[1]. فبلاء الاختلاط يظهر في المجتمعات بوجه عامّ، والمجتمع الغربيّ بوجه خاصّ. وأبرز مظاهر الاختلاط في مجتمعنا:

1 . الخلوة المحرّمة:

الخلوة هي الاختلاء والعزلة والانفراد بين رجل وامرأة، لا توجد بينهما علاقة شرعيّة، بعيدًا عن الأنظار، ممّا يؤدي إلى إثارة الشهوة والنظر واللمس المحرّمين، ويوجب الفتنة والفساد. وهو أمر حرّمه الشارع، لما يترتّب عليه من آثار ومفسدة. وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إنّ الرجل والمرأة إذا خليا في بيت، كان ثالثهما الشيطان**»[2]. فأيّ خلوة لا يُؤمَن فيها من الوقوع في الحرام يجب تجنّبها.

ويذكر الإمام الخمينيّ قدس سره في رسالته العمليّة، تحديدًا شرعيًّا للخلوة المحرَّمة، فيقول: «إذا اجتمع الرجل والمرأة في محلّة خلوة، بحيث لم يوجد أحدٌ هناك، ولا يتمكّن غيرهما من الدخول، فإن كانا يخافان الوقوع في الحرام، فيجب أن يتركا المكان»[3].

والأصل في تحريم الخلوة بالأجنبية قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**لا يَخْلُونَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ فَإِنَّ ثالِثَهُما الشَّيْطانُ**»[4].

والمعتبرة من الخلوة المحرّمة أن لا يكون معهما ثالث من ذكر أو أنثى بحيث يحتشم جانبه ولو زوجة أو جاريةً أو محرم له.

2 . الاجتماعات العائليّة:

كالسهرات المختلطة أو اللقاءات والزيارات العائليّة التي تحدث داخل الأسرة الواحدة، والتي لا تكاد تخلو من المفاكهة والممازحة، وغيرها من المظاهر غير الإسلاميّة.

ويُنقل عن الإمام الخمينيّ قدس سره، حرصه الشديد على عدم اختلاط النساء بغير المحارم،

---

(1) لجنة التأليف في مركز المعارف للتأليف والتحقيق، الإمام الخامنئيّ دام ظله، خطاب الولي 2013م، دار المعارف الإسلاميّة الثقافيّة، لبنان - بيروت، 1435هـ - 2014م، ط1، ص645، خطابه في لقاء أعضاء المجلس الأعلى للثورة الثقافيّة، بمناسبة الذكرى السنويّة لتأسيس المجلس الأعلى للثورة الثقافيّة، في طهران، بحضور أعضاء المجلس الأعلى للثورة الثقافيّة وأركان النظام، بتاريخ: 2013/12/10م، 1392/09/19هـ.ش.، 1435/02/07 هـ.ق.

(2) الشيخ الحرّ العامليّ، وسائل الشيعة، ج19، ص154.

(3) الإمام الخميني قدس سره ، توضيح المسائل، المسألة رقم 2445.

(4) الهيثمي، مجمع الزوائد، ج5، ص223.

حتّى ضمن البيت الواحد. تقول السيّدة فاطمة الطباطبائيّ: «لم يكن الإمام يرى من ضرورةٍ للتحدّث مع غير المحارم من النساء، لذلك كنّا لا نجلس مع أيّ من أحفاده إذا بلغ سنّ التكليف الشرعيّ في غرفةٍ واحدة في بيت الإمام. والطريف أنّه إذا دخل أحدُ هؤلاء غرفة الإمام ونحن عنده، لم يكن يأمرنا بالخروج، بل كان يطلب من حفيده أن يخرج. أو إذا كنتُ عنده وأراد حفيدٌ له بلغ سنّ التكليف أن يدخل عليه، وهذا الحفيدُ هو بمثلِ سنّ ولدي، نهاه عن الدخول بسبب حضوري عنده»[1].

3 . الاختلاط في الأماكن الدراسيّة:

من مظاهر الاختلاط في العديد من المجتمعات، عدم الفصل بين الإناث والذكور في المراكز والمؤسّسات التعليميّة. وقد أولت الشريعة الإسلاميّة اهتمامًا بارزًا بتعليم المرأة؛ فأمرت بتعليمها، ولم تمنع ارتيادها ميادين العلم، لكنَّها أوجبت على المرأة الالتزام بالضوابط والأحكام الخاصّة بها. يقول الإمام الخامنئيّ دَامَ ظِلُّهُ في بيان الردّ على استفتاء حول جواز دخول المرأة المراكز العلميّة المختلطة: «لا مانع من دخول النساء هذه المراكز، ولكن يجب عليهنَّ حفظ الحجاب. وعلى الرجال الامتناع عن النظر إلى ما لا يجوز لهم النظر إليه، وعن الاختلاط الموجب لخوف الفتنة والفساد»[2].

4 . الاختلاط في أماكن العمل:

من أبرز وجوه الاختلاط بين الرجل والمرأة في مجتمعاتنا، هو وجودهما واشتراكهما في العمل. فإن لم تُراعَ الحدود الشرعيّة صدقت الحرمة، وكان ذلك مظهرًا للاختلاط غير الجائز. من هنا، شدّد الإمام الخمينيّ قُدِّسَ سِرُّهُ على ضرورة مراعاة الضوابط الشرعيّة حال اختلاط الرجال بالنساء ضمن ميادين العمل المختلفة ودوائره، فقال قُدِّسَ سِرُّهُ: «إنّ عمل المرأة يجب أن يكون ضمن أجواء سليمة تُراعي الضوابط الشرعيّة، ويُمكن إيجازها في الأمور الآتية: الابتعاد عن الاختلاط ومراعاة ضوابطه الشرعيّة عند الضرورة له؛ وإذ إنّ العمل في بعض

(1) ملحق صحيفة اطلاعات، 13690 30 14».

(2) الخامنئيّ، الإمام السيّد عليّ الحسينيّ، أجوبة الاستفتاءات، مكتب الوكيل الشرعيّ العامّ للإمام الخامنئيّ في لبنان، لبنان - بيروت، 1431هـ - 2010م، ط7، ج2، ص89.

الأمكنة الحكوميّة وغيرها، كالمؤسّسات الخاصّة، لا ينفكّ عن الاختلاط. فيجب على المرأة أن تُراعي ضوابط الاختلاط، فلتعمل المرأة ولكن بالحجاب، ولا مانع من عملها في الدوائر الحكوميّة، ولكن مع مراعاة الحجاب الشرعيّ، والحفاظ على الشؤون الشرعيّة»[1].

5 . الاختلاط عبر مواقع التواصل الاجتماعيّ:

هو الاختلاط غير المباشر ضمن فضاء العالم الافتراضيّ: (فايس بوك، تويتر، واتس اب...)، في غُرف الدردشة والمحادثة.

والاختلاط الافتراضيّ لا يختلف عن الاختلاط الواقعيّ والمباشر لجهة الحرمة، فالضوابط والحدود الشرعيّة واحدة، إلاّ أنَّ الفرق لا يعدو كونه شاشة تحول دون اجتماع المرأة والرجل في مكانٍ واحد.

سبل المعالجة والوقاية

إنّ العلاج الأفضل لموضوع الاختلاط المحرّم بعد بيانه، يكمن في العودة إلى الضوابط الشرعيّة التي وضعها الإسلام، وحثّ المرأة على الحفاظ على ثوب عفّتها وحيائها، وبيان أنّ الجمال الحقيقيّ للمرأة هو عفافها، كما عبّر أمير المؤمنين عليه السلام: «**زكاة الجمال العفاف**»[2].

ويقول العلّامة المطهّري قدس سره في هذا الصدد: «الإسلام يعارض الاختلاط، ولا يعارض مشاركة المرأة في الحياة الاجتماعيّة مع التحفّظ على الستر. والإسلام يقول: لا للحبس، ولا للاختلاط، بل للحدّ. إنّ سيرة المسلمين العمليّة منذ زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قائمة على عدم منع النساء من المشاركة في الفعّاليّات العامّة، ولكن مع رعاية الحدّ»[3].

ويكمن السبيل الأفضل للوقاية والعلاج، في نشر ثقافة عدم الاختلاط، وتسليط الضوء على الآثار السلبيّة للاختلاط، وضرورة تجنّبها.

---

(1) من حديث للإمام الخمينيّ قدس سره، في جمعٍ من علماء الدين وطلبة العلوم الدينيّة، قمّ، بتاريخ: 1979/03/06م.
(2) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج7، ص46.
(3) مرتضى مطهّري، مسألة الحجاب، ص157.

ويتحقّق ذلك من خلال بثّ الوعي في مختلف الشرائح الاجتماعيّة، بدءًا بمحيط الأسرة، وانطلاقًا من تربية الأطفال وتنشئتهم، وصولًا إلى الأقارب وغيرهم. فتربية الطفل منذ الصغر على ثقافة عدم الاختلاط، وتوعيته على مفاسد الاختلاط، لها دورها الفعّال في هذا المجال.

وقد أشار الإمام الخامنئيّ دام ظله إلى ذلك بقوله: «الاختلاط بين الرجل والمرأة يختلف عن الاختلاط بين الرجال أنفسهم، وعن اختلاط النساء فيما بينهنّ. لذا، على كلّ من الرجل والمرأة أن يأخذ هذه المسألة بنظر الاعتبار. فإذا رُوعيت هذه المسألة من قبل الطرفين، تستطيع المرأة أن تمارس كلّ النشاطات التي يمارسها الرجل، وذلك حسب قدرتها الجسميّة، ورغبتها في العمل، والفرصة المتاحة لها»[1].

(1) من حديث للإمام الخامنئي دام ظله، في التجمّع العظيم لتكريم النساء المجاهدات في الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران.

المفاهيم الرئيسة

1. ورد في الروايات إشارة إلى جانب من ملاكات الأحكام، فما أمرنا الله بترك أمرٍ، وما نهانا عن القيام بفعل، إلّا لاقتضاء مصلحة ودفع ضرر.
2. من أبرز عواقب الاختلاط المذموم: ارتفاع الحياء، انعدام الغيرة، العزوف عن الزواج، الوقوع في الحرام، الانحلال الأخلاقيّ للمجتمع.
3. مظاهر الاختلاط المحرّم: الخلوة المحرّمة، الاجتماعات العائليّة المختلطة، الاختلاط في الأماكن الدراسيّة، الاختلاط في أماكن العمل، الاختلاط عبر مواقع التواصل الاجتماعيّ.
4. إنّ العلاج الأفضل لموضوع الاختلاط المحرّم بعد بيانه، يكمن في العودة إلى الضوابط الشرعيّة التي وضعها الإسلام، وحثّ المرأة على الحفاظ على ثوب عفّتها وحيائها، إضافة إلى نشر ثقافة عدم الاختلاط، وتسليط الضوء على الآثار السلبيّة للاختلاط، وضرورة تجنّبها.

الدرس السادس عشر

المرأة القدوة

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يتعرّف إلى أهمّيّة وجود القدوة الحسنة.

2 . يبيّن كيفيّة الاقتداء بالسيّدة الزهراء عليها السلام .

3 . يبيّن المسيرة الجهاديّة للسيّدة آمنة الصدر (بنت الهدى).

تمهيد

يقول الله عزّ وجلّ في محكم كتابه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ﴾[1]. ويقول - عزّ من قائل - في موضع آخر: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾[2]. تختصر هاتان الآيتان مبدأً مهمًّا جدًّا في حياة البشر، ألا وهو القدوة والاقتداء، وتقدّمان نموذجًا عمليًّا لمن يصلح أن يكون في ذاك الموقع. تركّز الآية الأولى على الأمر بالاقتداء، وهو في الحقيقة أمر ينسجم ويتناسب مع طبيعة الإنسان. فالطبيعة البشريّة تألف السير على خطى نموذجٍ موجودٍ أمامها، ويصعب عليها إلى حدٍّ كبير أن تسير من دون قدوة. وتأتي الآية الثانية لتعيّن لنا أفضل قدوة وأجلّها، رسول الله محمّد ﷺ، وأهل بيته تبعاً، وكلّ من سار على خطاه ﷺ. فوجود القدوة في حياة المؤمن يوضّح له معالم الطريق التي ينبغي له سلوكها، وكيفيّة سلوك تلك الطريق، وما يتوجّب عليه فعله وتركه. والأهمّ من كلّ ذلك، أنّه يبيّن وجود القدوة الحقّة في حياة المؤمن وإمكانيّة الوصول إلى العالية: (القرب الإلهيّ، العبودية الحقّة)، ويبعث في نفسه أملًا بأنّ هناك من استطاع، ويشعل في قلبه حماسة تدفعه للاستمرار دومًا وعدم التوقّف. كما أنّ حياة القدوة تمثّل النموذج الأصحّ والأسلم ليجعل حياته وفقها، وتشكّل ميزانًا لكلّ أموره وشؤونه، وتسهّل عليه ما سيعترضه في طريق تكامله.

---

(1) سورة الأنعام، الآية 90.

(2) سورة الأحزاب، الآية 21.

السيّدة فاطمة عليها السلام القدوة

تمثّل حياة السيدة فاطمة عليها السلام الأنموذج الأرقى الذي تجسّدت فيه كلّ أبعاد الدين، إذ كانت سلام الله عليها حاضرة في كلّ الجبهات وعلى كلّ صعيد. فكانت عليها السلام الابنة والزوجة والأمّ، والمربّية وربّة المنزل، والمبلّغة والمجاهدة، والعابدة والعالمة. لم يشغلها شيء عن شيء، ولم تقصّر في أداء أيّ دور من أدوارها، بل إنّ أداءها كان الأعظم دومًا، ومنسجمًا مع كمالها. لم يشغلها عمل المنزل المنهك في ذاك الزمن، الذي ترك أثره على جسدها الطاهر، من أن تتهجّد في الليالي، ولم يكن تصدّيها لتبليغ الدين ونصرة الحقّ ليشغلها عن زوجها وأطفالها. فكان التوازن والاعتدال، وإعطاء كلّ دور حقّه المحكوم لإرادة الله عزّ وجلّ، هو الحاكم على حياة السيّدة فاطمة عليها السلام، وكان الله عزّ وجلّ حاضرًا في كلّ حركة وكلّ سكنة في حياتها عليها السلام. لذا، لم يكن في حياتها عليها السلام أيّ شيء من الإفراط أو التفريط، وحاشا أن يكون كذلك. كما أنّه لم يكن قيامها بأدوارها الدنيويّة وانشغالها بالأمور الحياتيّة، ليبعدها عن ساحة العبادة، ويمنع من كونها في أعلى الدرجات في مقامها عند الله عزّ وجلّ. فكانت سيّدة نساء العالمين، ونورًا وقدوة لكلّ من أرادت الوصول إلى الله في حياتها.

أنا أعتبر نفسي قاصراً عن ذكر فضائل السيّدة الزهراء عليها السلام، لكنّني أكتفي بذكر رواية شريفة وردت في كتاب الكافي بسند معتبر، وقد جاء في هذه الرواية أنّ الإمام الصادق عليه السلام قال: مكثت فاطمة عليها السلام بعد أبيها في هذه الدنيا 75 يوماً، وقد غلبتها اللوعة والحزن، وكان جبرائيل الأمين ينزل عليها ويعزّيها ويذكر لها مسائل عن المستقبل. ظاهر الرواية أنّ هناك تردّدًا وتواصلًا في هذه الفترة، أي كان هبوط جبرائيل وصعوده كثيراً، ولا أظنّ أنّه كان ينزل بهذا الشكل على غير الطبقة الأولى من الأنبياء العظام. لقد ظلّ يتردّد في ظرف 75 يومًا، ويخبرها بما سيحدث في المستقبل، وما سيجري على ذرّيّتها، وكان أمير المؤمنين عليه السلام يكتب ذلك. لقد كان كاتباً للوحي، كما كان كاتب وحي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[1].

(1) الإمام الخمينيّ، صحيفة الإمام، ج20، ص12.

فاطمة عليها السلام الابنة

يروي لنا التاريخ كيف أنّها عليها السلام كانت خير عون لأبيها صلى الله عليه وآله وسلم، في سنوات الدعوة الأولى، حيث قاسى صلى الله عليه وآله وسلم وتحمّل من الآلام ما لم يتحمّله نبيّ، حتّى قال: «**ما أُوذي نبيّ مثل ما أُوذيت**»[1]. كلّ ذلك على مرأى ابنته الصغيرة ومسمعها، فكانت تخفّف عنه وتضمّد جراحه، وتتحمّل رؤية هذا الأذى اللاحق بأبيها العزيز فداءً للإسلام، حتّى أمست أمّ أبيها: «**فاطمة أمّ أبيها**»[2].

بعض شؤون فاطمة عليها السلام الحياتيّة

يكفي في بيان شيء من عظمتها (سلام الله عليها)، ما رُوي عن الأمير عليه السلام في حديثه عنها: «**ولا أغضبتني، ولا عصت لي أمرًا، ولقد كنت أنظر إليها فتنكشف عنّي الهموم والأحزان**»[3]. كما أنّها كانت تراعي إمكانات زوجها، فلا تطلب ما لا يقدر عليه. تقول عليها السلام: «**يا أبا الحسن، إنّي لأستحيي من إلهي أن أكلّف نفسك ما لا تقدر عليه**»[4]. فكانت تقوم بالأعمال المنزليّة الشاقّة. وفي رواية عن عليّ عليه السلام، أنّه قال لرجل من بني سعد: «**ألا أحدّثك عنّي وعن فاطمة؟ إنّها كانت عندي، وكانت من أحبّ أهله إليه صلى الله عليه وآله وسلم، وإنّها استقت بالقربة حتّى أثّر في صدرها، وطحنت بالرحى حتّى مجلت يداها، وكسحت البيت حتّى اغبرّت ثيابها، وأوقدت النار تحت القدر حتّى دكنت ثيابها، فأصابها من ذلك ضرر شديد...**»[5]. هذا، وكانت تتولّى مهمّة تبيان الدين وأحكامه للنساء، فعن الإمام العسكريّ عليه السلام أنّه قال: «**حضرت امرأة عند الصدّيقة فاطمة الزهراء عليها السلام فقالت: إنّ لي والدة ضعيفة، وقد لبس عليها في أمر صلاتها شيء، وقد بعثتني إليك أسألك. فأجابتها فاطمة عليها السلام عن ذلك. فثنّت فأجابت، ثم ثلثّت فأجابتها، إلى أن عشّرت، فأجابت. ثمّ خجلت من الكثرة فقالت: لا أشقّ عليك يا بنت رسول الله. قالت فاطمة عليها السلام:**

(1) العلّامة المجلسيّ، بحار الأنوار، ج39، ص56.
(2) المصدر نفسه، ج43، ص19.
(3) المصدر نفسه، ج43، ص130.
(4) المصدر نفسه، ج37، ص103.
(5) الشيخ الصدوق، علل الشرائع، ج 2، ص 366.

هاتي وسلي عمّا بدا لك...»[1]. هذا إضافةً إلى اعتنائها بأطفالها، فقد جاء في رواية أنّ أمير المؤمنين عليه السلام، دخل على فاطمة عليها السلام وهي في الحجرة الطاهرة، فرآها تعجن عجينًا للخبز، ووضعت طينًا في الماء لتغسل به رأس ولديها الحسن والحسين عليهما السلام[2].

فاطمة عليها السلام المجاهدة[3]

منذ نعومة أظفارها، عاشت السيّدة فاطمة عليها السلام حياة مليئة بالجهاد في سبيل إعلاء كلمة الحقّ ونصرة الدين. وقد تتالت المصائب عليها بعد رحيل أبيها صلى الله عليه وآله وسلم عن دار الدنيا. ومع كلّ ما جرى، لم تنثنِ عليها السلام عن جهادها ودفاعها عن الرسالة الإسلاميّة، حتّى قضت عليها السلام شهيدة بعد ثلاثة أشهر تقريبًا من رحيل والدها على أبعد الروايات[4].

السيّدة آمنة الصدر (بنت الهدى)[5]

ولادتها ونشأتها:

وُلدت الشهيدة الخالدة «آمنة بنت آية الله السيد حيدر الصدر» (بنت الهدى)، عام 1356هـ - 1937م، في مدينة الكاظميّة، في بيت عريق في العلم والجهاد والتقوى. وكانت أصغر شقيقيْها وأختهما الوحيدة. لم تختلف حالها عن حال باقي أسرتها في مكابدة الفقر والحرمان، وتحمّل الصعاب والمشاقّ، بروح غمرها الإيمان والقناعة بأدنى ضروريّات الحياة. لم ترَ بنت الهدى أباها ولا تتذكّره - فقد مات ولم تزل صغيرة - إلّا أنّ الله عزّ وجلّ عوّضها عن ذلك بأخويْها: المرحوم السيّد إسماعيل الصدر، والشهيد السيّد محمد باقر الصدر.

تعلّمها وكتابتها:

تعلّمت الشهيدة بنت الهدى القراءة والكتابة في البيت على يد والدتها - رحمها الله - بدايةً، وكانت والدتها تثني على ابنتها وقدرتها على التعلّم والاستيعاب والفهم. ثمّ

(1) العلّامة المجلسيّ، بحار الأنوار، ج2، ص3.
(2) الأنصاري الزنجاني، الشيخ إسماعيل، الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء عليها السلام، دار دليلنا، إيران - قم، ط1، ج17، ص 180.
(3) راجع: القزوينيّ، السيّد محمّد كاظم، فاطمة الزهراء عليها السلام من المهد إلى اللحد، مكتبة بصيرتي، إيران - قم، 1414هـ، لا.ط، ص 264 - 390.
(4) راجع: باقر القرشيّ، حياة سيّدة نساء العالمين، ص 384. (بتصرّف)
(5) بتصرّف: من موقع شبكة المعارف الإسلاميّة، موقع أرشيف قناة المنار، موقع أعلام الشيعة الإماميّة.

استكملت مراحل تعليمها القراءة والكتابة على يد أخويْها، وشمل ذلك علوم العربيّة في أكثر جوانبها، حتّى تمكّنت من كتابة الشعر في السنوات المبكرة من عمرها، كما علّماها النحو والمنطق، والفقه والأصول.

كانت الشهيدة بنت الهدى - رحمها الله - حريصة على تثقيف نفسها ثقافة إسلاميّة رفيعة، سواء في مراحل حياتها الأولى، أو فترة ما قبل الاستشهاد. فكانت تنفرد ساعات من النهار في غرفتها، تغوص في أعماق الكتب التي كانت أكثرها مستعارة من معارفها، فتمكّنت من توسيع أفق ثقافتها توسّعًا شاملًا متعدّد الأبعاد. وكتاباتها في مجلّة الأضواء في تلك الفترة (1966)، تعكس لنا جوانب من تلك الأبعاد، ذلك أنّ مجلّة الأضواء التي كانت تصدرها جماعة العلماء في النجف الأشرف، لم تكن منبرًا إلّا للنتاجات المتميّزة فقط. وكانت بنت الهدى - رحمها الله - من أبرز من كتب فيها، بل كانت الرائدة الأولى في الكتابة والتأليف. وأصبح همّ هذه الفتاة الرساليّة، تحرير النساء من قيود الجهل والسطحيّة، فبدأت رحلتها المباركة، وهي لمّا تزل يافعة.

امتازت الشهيدة بنت الهدى بوعي حيال الفراغ الكبير في الكتابات التي تستهدف المرأة المسلمة، ما جعلها تقدم على خطوة جريئة ورائدة في مجال الكتابة الموجّهة والهادفة لتثقيف المرأة المسلمة، بما يضمن لها كرامتها ويحصّنها من الانحراف والضياع.

سلوكها داخل الأسرة:

عاشت الشهيدة بنت الهدى مع والدتها وأخيها وابنة عمّها أمّ جعفر، زوجة الشهيد محمّد باقر الصدر قدس سره، وقد شكّلت أنموذجًا يُحتذى به، فقد كان عليها أن تقوم بمهامّ عدّة في بيت أخيها، وهي:

1 . المهامّ والوظائف التي تقوم بها تجاه السيّد الشهيد الصدر، أو ما قد يكلّفها به في مجالات متعدّدة، من تدريس أو إقامة ندوات، أو إشراف مباشر على مدارس دينيّة، أو غير ذلك.

2 . دورها في استقبال الضيوف من النساء، والاهتمام بتلبية حاجاتهنّ الفقهيّة والفكريّة، والمساهمة في حلّ مشاكلهنّ العائليّة والزوجيّة.

3 . دورها في تربية بنات السيّد الشهيد تربية لائقة وصحيحة.

4 . دورها في خدمة والدتها المعظّمة . رحمها الله . فقد كانت بحاجة إلى المزيد من العناية والاهتمام بسبب كبر العمر، والأمراض المتعدّدة التي كانت تعانيها.

5 . دورها في القيام ببعض شؤون البيت، بمساهمة أمّ جعفر.

نشاطاتها وجهادها:

في عام 1958م، تشكّلت في العراق «جمعيّة الصندوق الخيريّ الإسلاميّ» في مدينة بغداد، وسرعان ما توسّعت هذه الجمعيّة وأنشأت لها فروعًا متعدّدة. كانت هذه الجمعيّة متميّزة بنشاطاتها، وفي الحقل التعليميّ، وكانت تشرف على العديد من المدارس. وقد جرى اختيار السيّدة آمنة الصدر في عام 1967، لتكون المشرفة على مدارس الزهراء عليها السلام في الكاظميّة. رحّبت السيّدة بنت الهدى بهذه المهمّة المقدّسة، التي اعتبرتها خطوة أخرى في توسيع نطاق نشاطها الإسلاميّ العامّ، وتمكّنت بفطنتها وذكائها وثقافتها الرفيعة، من اكتساب احترام النسوة اللائي كنّ على اتصال معها ومحبّتهنّ.

كانت تنجز أعمالها في الإشراف على مدارس الزهراء عليها السلام ، إضافة إلى مدرسة إسلاميّة أخرى للبنات، ثمّ تنفق ما تبقّى من نهارها في لقاء معلّمات مدارس الزهراء عليها السلام ، إضافة إلى التقاء الطالبات الجامعيّات، والمؤمنات الملتزمات، لتفيض في حديثها لهنّ عن مسؤوليّة المرأة المسلمة، في وقت بدأت بوادر الصحوة الإسلاميّة تلوح في الأفق. هذا إضافةً إلى مقالاتها وكتاباتها وقصصها المتنوّعة.

واستمرّت هذه السيّدة الفاضلة تؤدّي واجبها الإسلاميّ بحزم وإخلاص، حتّى صدر قرار عن «مجلس قيادة الثورة البعثيّ»، في عام 1972، نصّ على تأميم المدارس الأهليّة كافّة. وكان الهدف من هذا القرار، القضاء على «قلاع الحجاب» هذا، بحسب وصف أحدهم لها. واتّضح بعد ذلك أنّ الهدف كان هذه المدارس، فلم يكن أمام السيّدة الفاضلة إلاّ أن تخرج وتترك الإشراف. لم تقتنع السيّدة الفاضلة بالرجوع إلى موقعها مطلقًا، على الرغم من الكتب الرسميّة التي بُعثت إليها. كانت تجيب من يسألها عن سبب قرارها الحازم هذا، من خلال دموعها،

وآهاتها الحرّى التي تصبغ كلماتها بلون كلون الدم: «لم يكن الهدف من وجودي في المدرسة، إلاّ نيل مرضاة الله، ولمّا انتفت الغاية من المدرسة بتأميمها، فما هو جدوى وجودي بعد ذلك؟».

شهادتها:

عاشت الشهيدة بنت الهدى كلّ الأحداث التي مرّ بها الشعب المسلم في العراق، ابتداءً من عام 1972م، حينما أودع النظام الجائر شقيقها السيّد الشهيد مستشفى مدينة الكوفة، بعد اعتقاله، مقيّدًا إلى سريره بسلاسل الحديد، بتهمة التحريض على الانتفاضة. خرجت السيّدة الشهيدة مكبّرة في مرقد الإمام عليّ عليه السلام في عام 1979م، بعد أن اعتقل جلاوزة النظام السيّد الشهيد قائلة: «الظليمة.. الظليمة.. أيّها الناس، هذا مرجعكم قد اعتُقل». ودوّى صوتها هادرًا، وهي تخاطب مدير أمن النجف المجرم أبا سعد وجلاوزته: «الناس الآن نيام، لكنّهم لن يبقوا نيامًا، ولا بدّ للشعب من أن يستيقظ من سباته ويهبّ من نومه». وعلى أثر ذلك انطلقت التظاهرات في النجف الأشرف أوّلًا، وفي أغلب أنحاء العراق ثانيًا، استجابة لاستغاثة السيّدة الشهيدة. وأطلق النظام سراح السيّد الشهيد، لكنّه وضعه تحت الإقامة الجبريّة مع شقيقته الفاضلة. واستمرّت الإقامة فترة عشرة أشهر تقريبًا، عانى فيها البيت الكريم الأمرّين من الأذى والاضطهاد، إذ كان قد حوصر بشكل تامّ، من قبل أزلام السلطة، وسجّلت الشهيدة معاناتها في كتاب «أيّام المحنة». وفي 5 نيسان من عام 1980م، اُعتقل المرجع الشهيد الصدر مع شقيقته الفاضلة، وأُودعا أحد سجون بغداد، حيث أُعدما بشكل فجيع بعد ثلاثة أيام.

لم تنثنِ بنت الهدى ولم تتراجع، وبرّت بقسمها الذي قطعته على نفسها، وحقّقت أملها الذي أعلنته لإحدى تلميذاتها بقولها: «إنّ حياتي من حياة أخي، وسوف تنتهي مع حياته إن شاء الله».

من مؤلّفاتها:

الفضيلة تنتصر، امرأتان ورجل، الباحثة عن الحقيقة، الخالة الضائعة (مجموعة قصصيّة)، ليتني كنت أعلم (مجموعة قصصيّة)، صراع من واقع الحياة (مجموعة قصصيّة)، ذكريات على تلال مكّة، كلمة ودعوة، بطولة المرأة المسلمة، المرأة مع النبيّ، لقاء في المستشفى.

المفاهيم الرئيسة

1. إنّ وجود القدوة في حياة الإنسان أمرٌ لا بدّ منه، فهو يوضح له معالم الطريق التي ينبغي له سلوكها، وكيفيّة السلوك، وما يتوجّب عليه. ويبيّن إمكانيّة الوصول، ويبعث الأمل دومًا، ويشعل فيه حماسة تدفعه للاستمرار. كما تمثّل حياة القدوة النموذج الأصحّ والأسلم ميزانًا لكلّ أموره وشؤونه.
2. تمثّل حياة السيّدة فاطمة عليها السلام الأنموذج الأرقى الذي تجسّدت فيه أبعاد الدين، وقد أدّت كلّ أدوارها من دون أن يطغى شيء على شيء، فكان التوازن والاعتدال وإعطاء كلّ دور حقّه وفق الإرادة الإلهيّة، هي سمة حياتها سلام الله عليها.
3. كانت السيّدة فاطمة عليها السلام خير عون لأبيها، لا سيّما في سنوات الدعوة الأولى. بعد انتقالها إلى حياتها الزوجيّة، كانت تتولّى إدارة شؤون المنزل وأعبائه، والاعتناء بأطفالها. كما كانت تتولّى مهمّة تبيان الدين وأحكامه للنساء.
4. عاشت السيّدة فاطمة عليها السلام حياة مليئة بالجهاد في سبيل إعلاء كلمة الحقّ، وقد تتالت المصائب عليها بعد رحيل أبيها، إلّا أنّها لم تنثنِ عليها السلام عن جهادها ودفاعها عن الرسالة، حتّى قضت عليها السلام شهيدة.
5. وُلدت الشهيدة آمنة بنت آية الله السيّد حيدر الصدر (بنت الهدى)، في مدينة الكاظميّة، في بيت عريق في العلم. تعلّمت القراءة والكتابة على يد والدتها، ثمّ استكملت مراحل تعليمها على يد أخويْها.
6. عاشت الشهيدة بنت الهدى مع والدتها وعائلة أخيها، فكانت تقوم بوظائف عديدة، كالتدريس وإقامة الندوات. وكانت تستقبل النساء، وتهتمّ بمعالجة مشاكلهنّ، إضافةً إلى الاهتمام بوالدتها.
7. اختيرت السيّدة آمنة لتكون المشرفة على مدارس الزهراء عليها السلام في الكاظميّة. إضافةً إلى مدرسة إسلاميّة أخرى للبنات. وبرغم ذلك، كانت تنفق ما تبقّى من نهارها في لقاء معلّمات مدارس الزهراء، والطالبات الجامعيّات والملتزمات، لتفيض في حديثها

لهنّ عن مسؤوليّة المرأة المسلمة.

8. عاشت الشهيدة بنت الهدى كلّ الأحداث التي مرّ بها الشعب المسلم في العراق. بعد أن اعتقل جلاوزة النظام السيّد الشهيد، خرجت إلى مرقد الإمام عليّ عليه السلام قائلة: «الظليمة.. الظليمة.. أيّها الناس، هذا مرجعكم قد اعتُقل». وعلى أثر ذلك، انطلقت التظاهرات في أغلب أنحاء العراق. وفي 5 نيسان 1980م، اُعتقل المرجع الشهيد الصدر، مع شقيقته الفاضلة، وأُودعا أحد سجون بغداد، حيث أُعدما بشكل مفجع.

مركز المعارف للتأليف والتحقيق

مِنْ مؤسّساتِ جمعيَّةِ المعارفِ الإسلاميَّةِ الثقافيَّةِ، متخصِّص بالتحقيقِ العلميِّ وتأليفِ المتونِ التعليميَّةِ والثقافيَّةِ، وفقَ المنهجيَّةِ العلميَّةِ والرؤيةِ الإسلاميَّةِ الأصيلةِ.

ISBN: 978-614-467-093-4

جمعية المعارف الإسلامية الثقافية
AL - MAAREF ISLAMIC CULTURAL ASSOCIATION
لبنان ـ بيروت ـ المعمورة ـ الشارع العام
تلفون: 471070 1 961+ فاكس: 476142 1 961+
www.almaaref.org.lb
Email:info@almaaref.org.lb